

بلاط سيف الدولة وأثره في الحياة الادبية

رسالة قدمها الى الدائرة العربية

في الجامعة الاميركية في بيروت

غازي محمد عنبتاوي

للحصول على درجة

"استاذ في الآداب"

الجامعة الاميركية في بيروت

بيروت - لبنان

حزيران سنة ١٩٦٠

## مقدمة

لا شك في ان الفترة التي يقضيها الباحث في البحث عن موضوع يدرسه ، من الفترات الدقيقة التي تتنازع خلالها احساسات مختلفة ، فهو تارة يفكر في موضوع ما ليكتب فيه ، وفجأة ينتقل الى التفكير في موضوع آخر ، وهكذا الى ان يوفق في اختيار الموضوع . والباحث في تفكيره هذا وتردده يأخذ بالاعتبار نقطتين هما : هل بحث اخذ الموضوع قبله أم لا ؟ وهل تتوفر لديه مصادر البحث ان هو اراد المباشرة في موضوعه أم لا ؟ وهذا هو ما حدث عندما بدأت البحث عن موضوع ادرسه ، يكون المتم لعملي الدراسي في هذه الجامعة . ففكرت بالكتابة عن المرحوم الشيخ ابراهيم اليازجي اولا ، وفكرت بالكتابة عن تطور نظرية اعجاز القرآن ثانيا ، وفكرت في امكانية تحقيق مخطوط ونشره ثالثا . ثم اقترح علي استاذي الدكتور محمد يوسف نجم الكتابة عن " بلاط سيف الدولة وأثره في الحياة الادبية " فقبلت الاقتراح ، وبمرور الايام اصبح الاقتراح حقيقة ممثلة في هذه الرسالة التي تولى دراستي لهذا الموضوع .

وللإجابة عن النقطتين اللتين ذكرت اقول ان هنالك ثلاثة مصادر او ثلاثة كتب تناولت أجزاء من هذا الموضوع . اول هذه الكتب هو " سيف الدولة وعصر الحمدانيين " للاستاذ سامي الكيالي ، وكان مقتصرا بادي الامر على الناحية التاريخية ثم زيدت عليه اضافات قصيرة في الطبعة الثانية . والدراسة الثانية كانت للدكتور مصطفى الشكعة بعنوان " فنون الشعر في مجتمعات الحمدانيين " وعنيت ببحث فنون الشعر في حلب والموصل ، ويمكن القول بانها اشتملت على دراسة جزئية لموضوعي ، وظهرت هذه الدراسة بعد ان كتبت قطعت شوطا بعيدا في بحثي . أما

المصدر الثالث فكان " الشعر في ظل سيف الدولة " للدكتور درويش الجندی ، وظهرت هذه الدراسة بعد ان شارفت على نهاية الطريق في بحثي هذا ، وكانت تتناول أجزاء من الموضوع الواسع المتشعب الذي ابحث فيه . كذلك توفرت لي مصادر هذا البحث ، ولكن معظمها يتناول قلة من الشخصيات ذات العلاقة ببلاط سيف الدولة الحمداني . فكثيرة هي المصادر التي بحثت في المتنبي ، وكثيرة هي المصادر التي بحثت في ابي فراس ، وقليلة هي المصادر التي بحثت في بقية رجال البلاط من شعراء وادباء ونحاة .

واعترضتني الصعاب في هذا البحث ، فالموضوع واسع متشعب كدت اضل السبيل في بحثه ودراسته ، والمصادر تعلمنا بأن هنالك علاقات بين سيف الدولة والادباء ، وتعارق الناس على وجود هذه العلاقات ، ولما اردت استبانة هذه العلاقات وجدت لها قليلة جدا حتى انه لا يمكن تحديد نوع العلاقة بين سيف الدولة والادباء ، وثمة امر اخر من هذه الصعوبات ذلك هو قلة المصادر المخطوطة بين يدي ، فاضطرت ان اعتمد على امانة الباحثين الذين تسنت لهم فرصة الاطلاع على هذه المخطوطات .

وحاولت جهدي ، في هذا الموضوع الواسع المتشعب في الاحاطة باطرافه ، وبناءه ، وبناء منهجيا صحيحا ، متوصلا بين الحين والحين الى بعض النتائج المرجوة ، وقد اخذت نفسي بهذا كله دون ان اسمح لاحدي المسائل ان تجور على ما عداها من حولها ، لان التعمق المبعد في مثل هذا الموضوع الكبير يكاد لا يقف بالباحث عند حد .

من اجل ذلك خصصت لهذا المنهج الكبير مقدمة تاريخية درست فيها نشأة الدولة الحمدانية في ديار/بيعة من الجزيرة العراقية ، ثم صورت الجانب الغربي من الدولة الحمدانية

وهو الذي كانت عاصمته حلب. ثم درست شخصية سيف الدولة ، المحور الكبير لاكثر ما نشأ في تلك البيئة من شعرونثر وبذلك انتهى القسم الاول .

اما القسم الثاني فقد صدرته بمقدمة ابنت فيها نواحي النشاط الادبي والاسباب الباعثة عليه ، ولتبيان هذه النواحي تفصيلا بنيت الفصول التالية فدرست :

أ - أثر البلاط في الشعر والشعراء ،

١ - شعر المديح والرثاء .

٢ - شعر الحرب ضد القبائل العربية ، وضد الروم .

٣ - شعر الوصف .

٤ - الشعر الشيعي .

ب - اثر البلاط في النثر :

١ - الكتابة والكتاب .

٢ - الخطابة .

٣ - اللغة واللغويون .

٤ - النقد الادبي .

واعتقد ان اعطاء صورة متكاملة عن نواحي هذا النشاط جهد يستحق البذل ، وان وضع الحدود المميزة لعصر من العصور او بيئة من البيئات الادبية امر يستحق العناية ، وقد بذلت من الجهد ما في الوسع والطاقة ، واحطت عملي من العناية بالقدر الكبير ، واني لارجو

ان ينال هذا الجهد ما يستحق من التقدير •

ولا يسعني في هذه المقدمة الا ان اسجل عظيم شكرى واقدم اوفر احترامي لساندي

— اسرة الدائرة العربية في هذه الجامعة — كفاء جهودهم وافضالهم علي برعايتي خلال فترة

دراستي عليهم •

واسال الله سبحانه وتعالى ان يمدني بالعمون والتوفيق في معترك الحياة •

القسم الاول

مدخل البحث

الحمدانيون وسيف الدولة

جدول بامراء بني حمدان (١)

حمدان

السرايا نصر (٢) ابو العلاء سعيد	ابراهيم	الحسين	داوود	ابو الهيجا عبد الله
{ نهاوند ٣١٢ هـ الموصل ٣١٧ هـ ٧١٩ -		(ديار ربيعة ٣٠٧ - ٣٠٨)	(ديار ربيعة ٣٠٩)	(الموصل ٢٩٢ - ٣١٧)

غراس ت ٣٥٧ هـ الحسين ت ٣٣٨ هـ في الموصل في حلب

(م) ناصر الدولة الحسن (م) سيف الدولة علي

(ب) ابو تغلب ت ٣٦٩ هـ (ج) ابو عبد الله الحسين ١ ت ٣٨٠ هـ ابو طاهر ابراهيم د ابو البركات (ب) سعد الدولة ت ٣٥٨ هـ (ج) سعيد الدولة

د علي ١ د شريف ٢

حسن، ابراهيم : تاريخ الاسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي، ج ٣ ص ١١٤

ابن الاثير : الكامل في التاريخ ج ٨ ص ٤٢٠

جدول بأمره بني حمدان (١)

حمدان

ابو الهيجا* عبدالله	داود	الحسين	ابراهيم	ابوالملاء* سعيد
(الموصل ٢٩٢-٣١٧)	(ديار ربيعة ٣٠٩)	(ديار ربيعة ٣٠٧-٣٠٨)		{ نهاوند ٣١٢ هـ } { الموصل ٣١٧ هـ }

في حلب

الحسين ت ٣٢٨ هـ في الموصل

ابو فراس ت ٣٥٧ هـ

(م) سيك الدولة طي

م ناصر الدولة الحسن

ج ابو طاهر ابراهيم د ابو البركات (ب) سعد الدولة  
ت ٣٨٠ هـ ت ٣٥٨ هـ

(ج) ابو طيب الله الحسين  
١

(ب) ابو تغلب  
ت ٣٦٩ هـ

(ج) سعيد الدولة

د طي ١  
د شريق ٢

(١) حسن، ابراهيم: تاريخ الاسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي، ج ٣ ص ١١٤

(٢) ابن الاثير: الكامل في التاريخ ج ٨ ص ٤٢٠



## نظرة في تاريخ الحمدانيين

## الدور الاول

## ١- دور النشأة - في الجزيرة العراقية

يكاد نشوء الدولة الحمدانية في القرن الرابع الهجري ان يكون امرا طبيعيا - كغيرها من الدويلات الاخرى التي انفصلت عن جسم الدولة العباسية - لانه كان قد توفر من الاسباب ما يجعل تكامل الدولة العباسية وتربط اجزائها امرا يشبه المستحيل . وفي مقدمة تلك الاسباب تلك الثورات الداخلية التي اضعفت الخلافة واستنزفت مواردها كحركات الخوارج (١) وثورات العلويين (٢) وثورة الرزيق سنة ٢٥٧ (٣) وثورة القرامطة (٤) التي كانت اشد من كل الثورات في صرف اهتمام الدولة عن التنظيم الداخلي ، وكان الجيش خليطا من عناصر متنافرة يكشر بينها الشغب وتشتد الفتن احيانا حتى يفضي ذلك الى اهمال شأن الحدود . فكان لا بد من قيام دويلات فتية تأخذ على عاتقها ما عجزت الخلافة عن تاديبه ، وكان لا بد للخليفة وهو الرجل المستضعف السواهني ان يبارك مثل هذه الدويلات ما دامت تذكر اسمه في الخطبة وعلى السكة وتعترف بسلطة الخليفة اعترافا شكليا - وتؤدي شيئا من المعونة المادية للدولة تحث خزانة ، ولم تنجح في اصلاح مآلاتها جهود وزير مخلص صالح مثل علي بن عيسى (٥) .

---

(١) ابن الاثير ج ٦١٧، ٦١٤، ٧١٤، ١٥٠٠ - ١٥٧ .

(٢) الطبري اخبار سنة ٢٥٧، ٢٥٥ .

(٣) الدوري، عبد العزيز دراسات في العصور العباسية المتأخرة بغداد سنة ١٩٤٥ ص ٢٥ - ١٠٥ .

(٤) الدوري عبد العزيز دراسات في العصور العباسية المتأخرة بغداد سنة ١٩٤٥ ص ١٢٦ - ١٨٧ .

(٥) الدوري، عبد العزيز دراسات في العصور العباسية المتأخرة بغداد سنة ١٩٤٥

وسنحت خير فرصة للطامحين في اطراف هذه الدولة بل وعلى مقربة من دار الخلافة في ايام المقتدر لان هذا الخليفة كان واقعا تحت تأثير النصارى والخدم منصرفا الى حياة اللهو (١) ، وكانت كلمة واحدة من ام موسى القهرمانه تكفي لتعزل وزيرا طيبا يخدم الدولة بكل ما اوتي من ذكاء وحصافة وقد خلف المقتدر خلفاء لم يكونوا احسن حالا منه بكثير لانهم كانوا ايضا لعبة في يد عسكر الاتراك حينما وعسكر الديلم حينما آخر وهو لا هم (٢) :

القاهر بالله	٣٢٠
الرازي بالله	٣٢٢
المتقي	٣٢٦
المستكي	٣٣٣
المطيع	٣٣٤ - ٣٦٣ هـ

في ذلك العصر المضطرب ظهر حمدان الذى تنسب اليه الدولة الحمدانية ، وهو عربي تغلبى الاصل فشارك في الحوادث السياسية التي وقعت في الموصل منذ سنة ٢٦٠ ، ودفعته اهدافه الطامحة الى ان يتضافر مع هارون الشارى الخارجى ٢٧٢ وان يستولي على قلعة ماردين بعيد ذلك ، وتتبعه الخليفة الى ان خطرا يهدده في الجزيرة العراقية فارسل الى حمدان جيشا استولى على ماردين وظفر به وسجنه في بغداد ، وكان لحمدان ابن اسمه الحسين وقف ضد هارون الشارى وهزمه فانعم عليه الخليفة بالخلع والاقطاعات واطلق من اجله حمدانا اباه (٣)

ولم يطل ولاء حسين هذا للدولة بل سرعان ما اتفق مع بعض القواد والكتاب والقضاة على خلع الخليفة وهو يومئذ المقتدر ، وفي ١٠ ربيع الاول سنة ٢٩٦ اوقع الحسين بالوزير ابي احمد العباس حين كان منصرفا من دار الخلافة وذهب

- 
- (١) ابن الطقطقى : الفخرى في الاداب السلطانية القاهرة سنة ١٩٢٣ ص ٢٣٥  
 (٢) حسن : تاريخ الاسلام السياسي ج ٢ ص ٢٠٠  
 (٣) ابن الاثير : الكامل في التاريخ ج ٧ ص ١٦٦ - ١٦٧ ، ١٦٩ - ١٧٠ .

حسب اتفاق المتآمرين ليقضي على الخليفة ولكن الخليفة كان قد انذر بالشر فانحاز الى دار الخلافة وفسدت خطة المتآمرين ، وفي الغد عاد الحسين الى دار الخلافة مجددا المحاولة فقاتله من فيها من الخدم والغلمان ودفعوه عنها ، فانصرف محملا ما قدر عليه من الامتعة وسار الى الموصل (١)

وهنا يظهر الانقسام في الولاء بين بني حمدان انفسهم ، ذلك ان الخليفة حرض **ابو الهيجاء** - اخا الحسين - على طلب اخيه ، فسار ابو الهيجاء في اثره مدة عشرة ايام . حتى التقى الاخوان في معركة صغيرة استطاع ابو الهيجاء فيها ان يامر بعض اصحاب اخيه ، وان ياخذ منه عشرة آلاف دينار ، وبعدها عاد ابو الهيجاء الى الموصل ثم الى بغداد (٢) . واضعفت هذه المعركة امر الحسين ، فارسل يشفع الوزير ابن الفرات لدى المقتدر فشفع له ومنحه الرضى ، فعاد الى بغداد واعيد اليه ما اخذ منه ، واخرجه الخليفة واليا على قم (٣) ، ولعله فعل ذلك ليرضيه ويرتاح منه معا ، واشترك الحسين في المشرق مع جيوش الدولة التي تحارب الليث .

اما ابو الهيجاء فقد كافأه المقتدر بتوليته على الموصل غير انه عاد فعزله عنها سنة ٣٠١ ، فلم ياب له امره ، فارسل اليه الخليفة جيشا بقيادة مؤنس . فلما عرف ابو الهيجاء ما ينتظره على يد هذا القائد خرج اليه مستغلا بنفسه وذهب معه الى بغداد (٤) .

(١) ابن الاثير : الكامل في التاريخ ج ٨ ص ٧-٥ .

(٢) ابن الاثير : الكامل في التاريخ ج ٨ ص ٥-٧ .

(٣) " " " " " " ج ٨ ص ٢٠ .

(٤) " " " " " " ج ٨ ص ٢٢ .

ويبدو ان الحسين لم يقم طويلا في قم ، اذ نراه بعد انصراف ابي الهيجاء عن الموصل واليا على الجزيرة ، غير ان الوزير علي بن عيسى الحف في مطالبته بما قبله من اموال للدولة ، فانتهز ذلك فرصة للثورة من جديد ، فبعث اليه الوزير جيشا بقيادة رائق ، فدارت الدائرة على الحسين وانهزم الى ارمينية ، فتبعته فرقة بقيادة مؤنس حتى ادركته والقى عليه القبض هو وابنه وجميع اهله ، ثم قبض المقتدر على ابي الهيجاء وعلى جميع اخوته وجسمهم ، وقتل الحسين عام ٣٠٦ (١) .

وبعد ذلك اعطيت ديار ربيعة لابراهيم بن حمدان ، فلم تطل مسدته في حكمها اذ توفي عام ٣٠٨ ، فخلفه عليها داود في السنة التالية (٢) .  
اما ابو الهيجاء فقد اطلق ايضا ونصب واليا على طريق خراسان من ارض الموصل ، على ان يظل في بغداد ويرسل من ينوب عنه . وكانت له اعمال حربية ضد المفسدين من الاكراد والاعراب على تلك الطريق . ولكن لم يكد ابو الهيجاء يبصر املا في مؤامرة جديدة لنزع المقتدر حتى شارك فيها ونجحت الخطة هذه المرة فعزل المقتدر سنة ٣٢٧ وولى الثائرون القاهرة (٣) ، فكافأ الخليفة الجديد ابن حمدان بان اقطعه ما بيده من اصال طريق خراسان : حلوان والدينور وهمزان وكككور وكرمان وشاهان والراذانات ، ودفوقا وخانيجار ونهاوند ، والقصبة والسيروان وما سبذان وغيرها ..... (٤) .  
الا ان خلافة القاهرة كانت قصيرة الاجل لم تدم اكثر من يومين ، وعاد بعدها المقتدر الى الخلافة ، فكتب بيده كتاب امان لابي الهيجاء ، ولكن القدر عاجل ابا الهيجاء قبل ان يخرج ذلك الكتاب ، وجي برأسه الى المقتدر فجزع لفقده على رغم تقلبه في طاعته (٥) .

(١) ابن الاثير . الكامل في التاريخ ج ٨ ص ٣٢ - ٣٧ .

(٢) " " " " " " ج ٨ ص ٤١ - ٤٤ .

(٣) " " " " " " ج ٨ ص ٦٨ - ٦٩ .

(٤) " " " " " " ج ٨ ص ٦٩ - ٧٠ .

(٥) " " " " " " ج ٨ ص ٧٠ .

وخلف ابو الهيجاء ولدين احدهما هو الحسن الذي لقب بناصر الدولة والثاني هو علي الذي لقب بسيف الدولة . وافر المقتدر ناصر الدولة على ما كان لابييه من قبل ، واستمر له ولاؤه الحكم في ديار ربيعة والموصل حتى سنة ٣٨٠ . وهذا هو الفرع الشرقي من الحمدانيين ، وتاريخهم مليء بالخلافات حينا بين افراد العائلة الحمدانية نفسها وحينا بين القبائل التي كانت تدين لهم بالطاعة وكانت صلتهم بالخليفة كما كانت من قبل مترددة بين الطاعة والعصيان ، ولها هجم البريدي على بغداد سنة ٣٣٠ ارسل الحسن اخاء علميا لنجدة الخليفة (المتقي) وسبب هذه المساعدة الهامة خلع الخليفة على الاخوين واعطاهما اللقبين اللذين تقدم ذكرهما (١) ، وظهر واضحا ان منطقة ديار ربيعة لا تكفي اخوين طامحين . فوجد سيف الدولة علي لنفسه مخرجا بالاستيلاء على جزء من ديار الشام وبهذا يبدأ عهد ثان من تاريخ الدولة الحمدانية .

---

(١) ابن الاثير : الكامل في التاريخ ج ٨ ص ١٣٥ .

## الدور الثاني

## ٢ - دولة الحمدانيين في ديار الشام .

يعود ارتباط الحمدانيين بحلب الى سنة ٣٢٠ هـ ، ففي هذه السنة قلد ناصر الدولة على بن خلف الشام وديار مصر ، ولكن هذا انقلب على ناصر الدولة فصار وزيراً للإخشيد محمد بن طنج ، الذي سرعان ما قُبِضَ عليه وزججه في غياهب السجن ، حيث بقي حتى وفاة الإخشيد ، فاطلق وبقي يأنس المؤمني واليا على حلب في سنة ٣٢١ . وفي السنة التالية اتفق ناصر الدولة وتوزون على ان تكون الاعمال من مدينة الموصل الى آخر اعمال الشام لناصر الدولة ، واعمال السن الى البصرة لتوزون وان لا يتعرض احدهما لاعمال الآخر . وولى ناصر الدولة ابا بكر محمد بن على بن مقاتل حلب وديار مصر وديار مصر والعواصم ، ثم ولى بعدهم ابا عبد الله الحسين بن سعيد بن حمدان اعمال ابن مقاتل وما يقفه من الشام . ودخل ناصر الدولة الرقة بالسيف ، وتوجه بعدها الى حلب فملك البلاد ، وبقي في حلب حتى ذى الحجة من السنة نفسها ، اذ غادرها لقدم ابن طنج وبسبب ضعفه . ولما وصل الرقة وجد فيها الخليفة المتقي لله هاربا من توزون التركي ، ومعه سيف الدولة . ولم تفتح له ابواب الرقة الا بعد ان تم الصلح بين سيف الدولة ، و ابا عبد الله الحسين ابن حمدان وكان جرى بينهما كلام في الموصل (١) .

ولما استقر الامر للإخشيد في حلب تبادل الرسل مع المتقي ثم القى الاثنان في الرقة في محرم سنة ٣٣٣ هـ ، حيث قدم الإخشيد للمتقي الهدايا والمال ، وكتب المتقي عهدا للإخشيد بالشامات ومصر ، على ان الولاية له ولابنه ابي القاسم النوجور من بعد الى ثلاثين سنة (٢) . وعاد الإخشيد

(١) ابن العديم ، كمال الدين - زبدة الحلب من تاريخ حلب ، تحقيق الدكتور ساي الدهان

دمشق سنة ١٩٥١ ج ١ ص ١٠٢ - ١٠٦ .

(٢) ابن العديم ، ج ١ ص ١٠٦ - ١٠٧ .

من الرقة الى حلب فعصره ، وولى ابا الفتح عثمان بن سعد الكلابي حلب حما ولى أخاه انطاكية .  
وحسد ابا الفتح اخوته فراسلوا سيف الدولة ليسلموا اليه حلب وكان سيف الدولة قد طلب من أخيه  
ناصر الدولة ولاية نقال له : " الشام امامك وما فيه احد يمنعك منه " . (١)

وعرف سيف الدولة اختلاف الكلابيين وهجزهم عن مقاومتهم فسار الى حلب ، وما ان  
وصل الفرات حتى خرج اخوة ابي الفتح للقاته ، وخرج معهم ابا الفتح ايضا . ولما قطع سيف  
الدولة الفرات اكرم ابا الفتح دون اخوته ، وأركبه معه في المعارية ، وأخذ يسأله عن اسم كل قرية  
يمران بها وكان ابا الفتح يجيبه حتى مروا بقرية يقال لها ابرم . فسأل سيف الدولة ابا الفتح عن  
اسمها فقال له " ابرم " فظن سيف الدولة انه اكرمه بالسؤال فقال له ابرم من الابرام . نسكت  
سيف الدولة عن سؤاله ولما مروا بقرية كثيرة ولم يسأل سيف الدولة ابا الفتح عن اسمائها قال ابر  
الفتح : " يا سيدى ، يا سيف الدولة ، بحق رأسك ، ان القرية التي عبرنا عليها اسمها ابرم  
وسأل عنها غبرى " . فأعجب سيف الدولة بذلك . (٢) ودخل سيف الدولة حلب يوم  
الاثنين لثمان خلون من شهر ربيع الأول سنة ٢٢٣ هـ . (٣)

ولم يشأ الاخشيد ان يتنازل لسيف الدولة عن حلب فسير اليه عسكرا  
بقيادة كافور ويانس المؤنسي ، تلقبهم سيف الدولة ، وكان غازيا للروم ، بالرسن فانهزم  
كافور ومن معه وأسر سيف الدولة نحو أربعة آلاف وهرب كافور الى حمص فدمشق وكتب  
معلما الاخشيد بما حصل معه ، كما اطلق سيف الدولة الأسرى جميعهم ، ثم سار  
سيف الدولة ببغى دمشق فدخلها في رمضان سنة ٢٢٣ هـ ، وخرج الى الاعراب ، ولما عاد  
الى دمشق منعه اهلها من دخولها ، وعلم الاخشيد بذلك فسار من الرملة يطلب سيف

---

(١) المصدر السابق : ج ١ ص ١١١

(٢) ابن العديم : ج ١ ص ١١١ - ١١٢

(٣) ابن العديم : ج ١ ص ١١٢

الدولة، وما ان وصل طبرية حتى كان سيف الدولة قد عاد الى حلب  
بغير حرب لان اكثر اصحابه وعسكره استامنوا الى الاخشيد فلحق به الاخشيد  
الى ان نزل معبرة النعمان والتقى بسيف الدولة في ارض قنسرين في  
شوال سنة ٣٢٣. (١) .

وهرب سيف الدولة يبغي النجاة بنفسه فلم يتبعه احد من جند  
الاشخيد، ودخل الرقة وقيل انه اراد دخول حلب فمنعه اهلها (٢) .  
ودخل عسكر الاخشيد حلب واعلموا في اهلها الاذى وفيها التخریب وقطع  
الاشجار (٣) . ثم تردت الرسل بين سيف الدولة والاشخيد، واستقر الامر  
على ان افسح الاخشيد له عن حلب وحمص وانطاكية، وقرر عن دمشق ما لا  
يحملة اليه كل سنة . وتزوج سيف الدولة بابنة اخي الاخشيد عبيد الله بن  
طفج وكان ذلك في ربيع الاول سنة ٣٢٣ (٤) .

وفي ذي الحجة من هذه السنة توفي الاخشيد محمد بن طفج  
وولي الامر بعده ابنه ابو القاسم انوجور ولكن كافورا استولى على مقاليد الامور  
وعاد كافور من دمشق الى مصر وما ان علم سيف الدولة بذلك حتى  
سار الى دمشق فملكها وجبى خراجها . (٥)

ويسرى ان سيف الدولة كان يسائر الشريف العقيقي في بعض الايام بدمشق  
فقال له سيف الدولة : " ما تصلح هذه الغوطة ان تكون الا لرجل واحد "  
فقال له الشريف العقيقي : " هي لا توام كثير " فقال له سيف الدولة : لئن  
اخذتها القوانين ليتبرأ اهلها منها " فاسرها الشريف واعلم اهل دمشق بذلك (٦) .

(١) ابن العديم : ج ١ ص ١١٣ - ١١٤ .

(٢) " " ج ١ ص ١١٥ .

(٣) " " ج ١ ص ١١٥ .

(٤) " " ج ١ ص ١١٥ .

(٥) " " ج ١ ص ١١٥ - ١١٦ .

(٦) " " ج ١ ص ١١٦ - ١١٧ .



وطالب سيف الدولة اهل دمشق باموال الاخشيد فكتبوا كافوراً، فخرج  
ومعه ابن الاخشيد، وخرج سيف الدولة الى اللجون وجرت معركة بين  
الجيشين هزم فيها سيف الدولة وعاد الى دمشق ومنها الى حمص حيث  
جمع جمعا لم يجتمع له قط مثله، من بني عقيل ومن بني نمير وبني  
كلب وبني كلاب والتقى مع عساكر ابن طغج في مرج عذرا، وانهزم في  
هذه المعركة ايضا، وكان يأس الموءني من جماعة سيف الدولة الا انه  
انحاز الى انطاكيه، فراسله انوجور وكافور وضعنا له حلب ان هو وقف في وجه  
سيف الدولة، فملكها مدة شهر ثم سار سيف الدولة في نهايته الى حلب  
وهزم يأس وكان ذلك في شهر ربيع الآخر سنة ٣٢٦ وترددت الرسل بين سيف  
الدولة وانوجور وتم الاتفاق بينهما على ما كان عليه بين سيف الدولة وبين الاخشيد  
دون المال المحمول عن دمشق (١) .

" وعمر سيف الدولة دارة بالحلبة وقلد ابا فراس مغبج وما حولها من  
الفلاح واستقرت ولاية سيف الدولة لحلب من سنة ٣٢٦ وهذه هي الولاية الثالثة " (٢) .

٣ - سيف الدولة الحمداني .

نشأته :

ولد سيف الدولة علي بن عبد الله بن حمدان في السادس عشر او السابع  
عشر من ذي الحجة سنة ٣٠٣ هـ، وهو ٢٢ حزيران ٩١٦ م، في الموصل  
حيث كان ابوه واليا (٣) . وعاش في كنف والده معيشة ارسقراطية، وما  
ان يشب حتى يصاحب اخاه ناصر الدولة في الغزوات التي كانت في الغالب

(١) ابن العديم . ج ١ ص ١١٢ - ١١٩ .

(٢) " " ج ١ ص ١١٩ - ١٢٠ .

(٣) Schlumberger, Gustave, Nicephore Phocas, Paris 1890 p. 120 .

لتثبيت حكم الخليفة العباسي ، وكان سيف الدولة يحترم اخاه ويحبه كوالده . (١)

وتفقطع الصلة بأخبار الأمير الحمداني ، وسرعان ما اتصل عندما أصبح قائدا عسكريا يطلب منه اخوه السير من نصيبين الى بغداد ، لنصرة الخليفة المتقي لله وابن رائق ضد البريديين الذين غادروا واسط الى بغداد للاغارة عليها . وما ان وصل البريديون بغداد حتى أخرجوا الخليفة وابنه وابن رائق منها وهم على أسوأ حال . وما ان علم سيف الدولة ذلك حتى أسرع في المسير لملاقاة الخليفة ، وكان يحمل اليه من اصناف الاموال والثياب والدواب والطيب الكثير ، وكذلك الى بنية القواد والجند ، وحمل اليهم من الدقيق والشعير والتبن وجميع آلات الدواب ما كفاهم وزاد عن حاجتهم ، فأمر الخليفة بضرب اسمه واسم اخيه على الدنانير والدراهم زيادة على تلقيبهما بناصر الدولة وسيف الدولة ، وسار سيف الدولة مع الخليفة وابن رائق الى بغداد ، وما ان عرف البريديون بذلك حتى انحدر عن بغداد فلاحق به سيف الدولة واقتتل معه وهزمه . وأكثر الناس من الدعاء لسيف الدولة في المساجد والطرق وكان ذلك سنة ٣٣٠ هـ . (٢)

ويورد كنار عن مخطوط لابن ظافر نص الرسالة التي بعث بها الخليفة المتقي لله الى سيف الدولة عند خروجه لحرب البريدي ونهاها يقول : (٣) بسم الله الرحمن الرحيم ، عرفت - لا اخلائي الله منك - ما تفرغ عليه العزم في رواحك - قرنه الله بالخير التامة والمعونة الشاملة والكفاية الجامعة - ووصله بالنصر والفلاح والظفر والفتح - فتعجلت الاستيحاء لبعذك والتحسر لما يفوت من قريك - لا خلوت منك - وكنت أحب ان الفاك وأسر برؤيتك قبل نفوذك ، ولما تعذر ذلك دعوت الله لك بجميع الصحابة ولي عليك بحسن الخلافة وان يسعدنا بذلك سعادة محمودة البدي والعاقبة . انه سميع الدعاء لطيف لما يشاء . ولا يزال قلبي متطلعا لمعرفة خبرك الى ان يرد علي من مستقرك بما تريبه وتغضيه وتدبره وتغشيه ، فتعجل - لا

(١) شلمبرجه ص ١٢٠

(٢) كنار . ماريوس فخب تاريخية وأدبية جامعة لأخبار الأمير سيف الدولة الحمداني الجزائر سنة ١٩٣٤ ص ١١ - ١٣

(٣) كنار ص ١٣ . عن مخطوط لابن ظافر

اخلاقي الله منك - على ملاحظتي من ذلك في كل وقت وساعة بما تعلم حسن موقعه مني والسلام .

ولعل هذه الرسالة تدلنا على ما كان لسيف الدولة عند الخليفة من منزلة أثيرة ، كما نستطيع ان نستخلص من ثناياها وتبين مقدار نصرة سيف الدولة للخليفة ، فان الخليفة كان يعتبره سنداً له وعوناً .

هذه المنزلة التي كان سيف الدولة يحتلها عند الخليفة كانت عاملاً فعالاً في العلاقات الطيبة الناشئة بين الدولة الحمدانية ومركز الخلافة في بغداد ، فنحن لانجد أي تعرض من بغداد لسيف الدولة والدولة الحمدانية في حلب بل ان معز الدولة بن بويه قبل توسطه لديه في شأن اخيه ناصر الدولة ، فأبرم الصلح معه شريطة ان يضمن سيف الدولة ادائه الأموال الواجب على اخيه دفعها لبيت المال ببغداد . (١)

ويضيف المحاسني في كتابه " شعر الحرب في أدب العرب " الى ما اسلفت بأن سيف الدولة لم يكن في فاتحة عهد الحرب الا داعية للخليفة العباسي ، وظل محافظاً على صلته به ولو ان هذه الصلة لم تتعد الاسم . (٢)

وقد اعتبر المسلمون ، بل العرب ، سيف الدولة مخلصاً لهم ومنقذاً مما كانوا ينردون فيه من مهادى الفساد والانحلال . ورأى فيه بعضهم القائد العربي الذي كان بإمكانه ان يجمع شمل الأئمة بقوة شخصيته وشدة عزمه . ورآه بعضهم داعية الاسلام ورائع رأيه فهذا هو المتنبئ يمدحه بقوله :

---

(١) حسن : تاريخ الاسلام السياسي ج ٣ ، ص ١٢١

(٢) المحاسني : زكي ، شعر العرب في أدب العرب ص ٢١٤

ولست مليكا هازما لنظيره ولكنك التوحيد لشرك هازم

بل زاد المقتني على ذلك حين فضل سيف الدولة على الخليفة فقال :

فيا عجباً من دائل ائت سيفه      اما يتوقى شفرتي ما تقلدا  
ومن يجعل الضغام بارزا لصيده      تصيده الضغام فيما تصيدا

### سيف الدولة الحاكم .

اجتمعت لسيف الدولة صفات عدة كانت سببا هاما في جذب الشعراء اليه ، فشجاعته وحروريته المتعددة وفرت لهم مواد المدح ، وكان كرمه الفياض يرغبهم في صحبتهم . وميله الى العظمة والاستبداد بالرأى سهل عليهم اساليب التخميم والتبجيل ، وحببه للأدب ومعرفته بالشعر عززا فيهم روح المنافسة ، اما <sup>عصية</sup> العصية للعرب فقد اعادت اليهم ما انقرض من موضوعات الفخر القديمة ، وكان تصاهله وسعة ثقافته يجراهم على افواں ما كانوا يجروا عليها في حضرة ابرجاءه ضيق الصدر .

ولجأ سيف الدولة ، في سبيل جمع المان وانفاقه على حروبه ضد الروم ، الى كافة الوسائل ، فصادر نصيين التي كانت من اعظم بقاع الجزيرة واحسن مواردها واكرها فواكه وغلات ، وجار على اهلها بهم بني حبيب <sup>بن</sup> ابنا عمومة بني حمدان في نفس الوقت ، فاضطروا الى الهرب بجميع ما عندهم الى ديار الروم وكانوا اثني عشر الف فارس اكرمهم ملك الروم ، فبعث هؤلاء الى من تركوهم في ديارهم محسنين اليهم مما اصبحوا عليه من رغد عيش فلحق بهم هؤلاء وكونوا جيشا يغير على الحصون الاسلامية . وسيف الدولة في عماء هذا اتبع خطة اخيه <sup>ناجس</sup> ناجس الدولة ، ويصف ابن حوقل الحالة بقوله : " بان جل البلد قد خرب وناسه قد هلكوا ليؤيق الله متلي ذلك بما يلى له ويزيد كربه من توفير الظلم ولكل شي نهاية " ( ١ ) .

( ١ ) ابن حوقل : كتاب المالك واعمالك ليون سنة ١٨٧٣ ص ١٤٠ - ١٤٣ .

وما اصاب نصيين اصاب الرقة والرافقة من مدن ديار مصر وكان لهما عمارة واشجار واعمال ومياه ورساتيق وكور فقلّ كحظهما من كل حال وضعفنا بما حملهما سيف الدولة من الكلف، ومصادرة اهلها مرة بعد اخرى (١) .

ويروى ان الهجريين استهدوا من سيف الدولة حديدا فقلع سيف الدولة لهم ابواب الرقة وهي من حديد وسد مكانها، واخذ حديدا من ديار مصر ثم كتبوا اليه اننا قد استغنيا عن الحديد، فأخذ القاضي ابو حصين الابواب وكمرها وعمل منها ابوابا لداره . ثم كتب الهجريون الى سيف الدولة يلتمسون الحديد، فأخذ الابواب التي عملها ابو حصين وجميع ما قدر على جمعه من الحديد حتى <sup>صلحت</sup> الباعة والبقالين وحمل الحديد في الفرات الى هيت ثم منها اليهم برا (٢) .

ويذكر ابن العديم ان سيف الدولة اخذ يحتال بشتى الوسائل المشروعة وغير المشروعة ليجمع المال فزاد الضرائب وارحق السكان واستصفى الاموال فقال القاضي ابو حصين علي بن <sup>عبد</sup> الملك الرقي : "كل من هلك فليسيف الدولة ما تركه، وعلى ابي حصين الدرك" ولكن سيف الدولة كان يندم على ذلك فقال عندما قتل ابو حصين في مغارة الكحل وبعد ان داسه بحصانه : "لا رضى الله عنك فانك كنت تفتح لي ابواب الظلم . " (٣) ولعل سيف الدولة كان اول من استن ضريبة الارث في الشرع الاسلامي .

ولعل مصاريف سيف الدولة واعطيائه ونفقته كانت سببا هاما في لجوئه الى كافة الوسائل للحصول على المال <sup>فقد</sup> كسار وصفا لمصاهرة سيف الدولة

(١) ابن حوقل : كتاب الممالك واعمالك ص ١٥٣ - ١٥٤

(٢) مسكويه : علي بن احمد تجارب الامم مصر سنة ١٩١٥ ج ٢ ص ٢٠٣ .

(٣) ابن العديم : زبدة الحلب ج ١ ص ١١٢ .

لأخيه فقال انه عندما صاهر سيف الدولة أخاه ناصر الدولة سنة ٢٥٤ ، وزوج ابنيه أبا  
المكارم وأبا المعالي بابنتي ناصر الدولة ، وأزوج أبا تغلب ابن أخيه بابنته ست الناس  
أمر بضرب دنانير في كل دينار منها ثلاثون ديناراً وعشرون ديناراً وعشرة دنانير مكتوب  
عليها : " لا إله إلا الله محمد رسول الله ، أمير المؤمنين علي بن أبي طالب فاطمة  
الزهراء الحسن الحسين جبريل عليهم السلام " وعلى الجانب الآخر " أمير المؤمنين  
المطيع لله ، الأئمة الأفاضل ناصر الدولة وسيف الدولة الأمير أبو تغلب وأبو المعالي  
المكارم " وجاءوا بما لم يجد به أحده حتى بلغ ما أنفقه سبعمائة ألف دينار . (١)

### سيف الدولة الأديب

قال الثعالبي : " كان سيف الدولة أديباً شاعراً محباً لجيد الشعر شديد  
الاهتزاز لما يمدح به ، فلو أدرك ابن الرومي زمانه لما احتاج أن يقول :

ذهب الذين تهزهم مداحهم      هز الكفاة عوالي المران  
كانوا إذا امتدحوا رأوا ما فيهم      ملا ريحة منهم بمكان (٢)

أما شعر سيف الدولة فقليل يتيمة الدهر المصدر الوحيد الذي روى قسماً من

أشعاره ، وتنوعت اقراض هذا القسم الذي أورده الثعالبي فقال سيف الدولة في الوصف :

وساق صبيح للصبح د عوته      فقام وفي أجفانه سنة الغض  
يطوف بكاسات العقار كأنجم      فمن بين مفض علينا ومفض  
وقد نشوت أيدي الجنوب مطارنا      على الجود كنا والحواسي على الأرض

---

(١) كتار : النخب ص ٢٦٣  
(٢) الثعالبي ، أبو منصور : يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر بتحقيق محمد محي الدين  
عبد الحميد - القاهرة سنة ١٩٤٧ ج ١ ص ١٦



وله فيه ايضا : ( ١ )

كُرب الطائر الفزع	اقبله على جزع
وخاف عواقب الطمع	رأى ماء فاظماه
ولم يلتذ بالجوع	وصادف فرصة فدنا

وله في الغزل ايضا : ( ٢ )

فالى كم انت تظلمه ؟	قد جرى في دمه دمه
جرحتك منك اسهمه	رد عنه الطرف منك فقطد
خطرات الوهم تؤلمه ؟	كيف يستطيع التجلد من

واذا انعمنا النظر في هذه النماذج الشعرية لنقيم من خلالها شعر سيف الدولة خرجنا من كل ذلك بعدد من الحقائق هي :  
أ - كان شعر سيف الدولة شعرا رقيقا يفيض سهولة ورقة ، لا حشو فيه ولا تزيد ، سهل المعاني لا غريب فيه .

ب - ليست هذه النماذج هي كل ما قاله سيف الدولة ، فلا شك في ان هنالك غيرها وهي تدل على ان القائل شاعر لا بد من ان يكون له شعر غير هذا .

ج - ان سيف الدولة استعان بالبديع في اشعاره ولا سيما في وصفه لقوس قزح وهو في هذا الامر يدل على ثقافة شعرية لا مأخذ عليها .

( ١ ) التعالي : يتيمة الدهرج ١ ص ٢٢

( ٢ ) " " " " ج ١ ص ٢٣



ذكر شلمبرجه ان النحوى الكبير ابن خالويه، الذى كان من المقيمين في بلاط سيف الدولة، قال عنه : " انه كان <sup>س</sup>ناهيته اللغة وكان الشعر في حياته اعظم شيء يمكن ان يتأثر به بعد السلاح (١) . وما دام ذلك كذلك فلا بد من ان يكون لسيف الدولة بعض الآراء في الشعر والشعراء، ربما اصاب في بعضها وربما اخطأ في البعض الآخر، الا انني لن ابحت ذلك في هذا الموضع بل في فصل لاحق اعني به . " اثر البلاط الحميداني في النقد الادبي " .

#### وفاته :

قيل في يوم الجمعة لخمس بقين من صفر سنة ٣٥٦ هـ - ٩٦٧ م توفي سيف الدولة بآحمدان، ودفن في ميا فارقين، ووضع تحت خده لبنة صغيرة من تراب كان جمعه من نفض الغبار الذى كان يجتمع عليه في عزواته وكان عمره اذ ذاك اربعا وخمسين سنة (٢) .

---

(١) شلمبرجه ص ١٢٤ .

(٢) كفار : النخب، ص ٢٧٦ - ٢٧٩ .

## القسم الثاني

## اثر بلاط سيف الدولة في الادب

### مقدمة

حفل بلاط سيف الدولة بعدد غير قليل من الشعراء والادباء واللغويين والكتاب حتى لا يدانيه في هذه الناحية <sup>سرى</sup> أمير آخر إلا ما كان من شأن بلاط المعتمدين عباد بالاندلس، على أن بلاط سيف الدولة يزيد عليه بتنوع حالات النشاط واختلاف الاتجاهات بينما كانت شهرة بلاط المعتمد قاصرة في الأكر على الكتابة والشعر. فمن الشعراء الذين تحلقوا حول سيف الدولة : المتنبى وأبو فراس والوفاة والبغفاء والسرى الرقاء والصنوبرى وابن نباتة السعدي وكشاجم والخلديان سعيد ومحمد والناهي وأبو زهير المهلهل والناشي الأصغر والملاهي والخليع الشامي . ومن الناثرين أبو بكر الخوارزمي وأبو الفرج البغفاء وخطيب سيف الدولة ابن نباتة الفارقي، كما نجد نوطاً من الاتصال بين سيف الدولة وبين كل من اسحق الصابي وأبي الفرج الأصفهاني وأبي علي الحاتمي . والتف حول سيف الدولة من اللغويين ابن خالويه وابن جني وأبو الطيب اللغوي الحلبي وأبو علي الفارسي .

فما الذي نعنيه حين نقول : اثر البلاط في الادب ؟ وما المصعب في تجمع هذا العدد الكثير حول سيف الدولة ؟ اذا قلنا اثر البلاط في الادب، عنيانا أن هناك شخصية كبيرة هي شخصية سيف الدولة خلقت للأدب العربي في فترة ما، هي القرن الرابع، في بيئة معينة هي بيئة حلب، بما فيها من حياة حضارية جديدة وما فيها من مناظر طبيعية، ادباء غزيرا خصبا لم يكن ليتأتى لها في عصر آخر، وأن شخصية سيف الدولة

قد أصبحت بخصائصها الذاتية وأعمالها الحربية محورا لأدب كثير من شعراء ونثر، وإن اهتمام سيف الدولة نفسه هو الذي كان يوجه الأدباء والشعراء في كثير من النواحي التي طرقتها وإن هذه الدولة الحمدانية كانت في بعض أحوالها ذات ميول شيعية، فكل ما يتصل بهذه الميول من أدب إنما كان تقاربا بين المادحين والمدحون، ولذلك فإن هذه الدراسة ستعنى بكل هذه النواحي فتصور العلاقة بين شخصية سيف الدولة والشعراء أي تدرس المدائح التي كان يطلبها سيف الدولة، ثم تدرس الشعر الذي خلد الأعمال الحربية سواء ما كان منها ضد الروم أو ضد القبائل العربية، ثم تدرس العلاقة بين الشعر وبين الطبيعة الحلبية في تلك الفترات، ثم أثر التفتيح في الشعر، فإذا انتهى القول في الشعر تعرضت الدراسة لأثر البلاط في الكتاب والكتاب، ثم في اللغة واللغويين ثم في حركة النقد الأدبي .

ويقيني أن هذه الدراسة تحاول أن تصور ما يمكن أن نسميه نهضة أدبية عامة تحت ظل سيف الدولة في القرن الرابع، وقد تكون لها أشباه في مكان آخر، ولكن أي نهضة أخرى لم تبلغ من الروعة ما بلغته تلك النهضة إذ قيض لها من أفاضل الأدباء والشعراء ما لا يكاد يجتمع في زمان واحد ومكان واحد، وكل أمر مقرون بأسبابه، ومن أسباب ذلك، أن الدويلات التي انفصلت عن بغداد كانت كيلة بأن تكون هي "العواصم الأدبية" يوم لم يكن الأدب يستطيع أن يعيش <sup>وتعبر</sup> إلا في ظل حاكم جواد سخي، وقد كان سيف كذلك يمثل في أنظار الملتفين حوله المثل الأعلى لرأي الأدب، والمثل الأعلى للبطل العربي المكافح، وكان تشجيعه للأدب وسخاؤه بالمال في سبيله مضرب الأمثال حتى قال فيه البيهقي: "وكان أثر الأشياء عنده وانفقها عليه وأحبها إليه أن يسأل فيعطى وإن يستزاد فيزيد وإن يطالب وينظر حتى كان دائما يعزل للأنمان شيئا يريد هبته له <sup>هلف</sup> ظهره ويقبل: أريد أن أعطي فلانا هذا، فيخرج ممن يحضر الرجل، فيضد <sup>يهدر</sup> ولا يعطيه، فيقول له الرجل: أليس هرا مسورة مولانا فيقول واليس فضولك فيقول: هذا والله لي عزله مولانا . فيقول، لا، فيقول:

بلى فيأخذه ويجازيه عليه فإذا فعل ذلك أعطاه وزاده شيئا آخر" (١) .

وكذلك ضرب سيف الدولة دنانير الصلات وكان الدينار منها بعشرة مثاقيل، وقد بلغ في هذا مبلغ الاسراف والتبذير، وقال البيهقي عندما اعطي عشرة منها :

نحن يجوز الأمير في حرم  
أبدع من هذه الدنانير لم  
فقد غدت باسمه وصورته  
ترتج بين السعد والنعم  
يجر قديما في خاطر الكرم  
في دهرنا عورة من العدم

فزاده عشرة اخرى (٢) .

ويروى كذلك ان اعرابيا رث الهيئة انشد مميف الدولة يوما فقال :

انت علي وهذه حلب  
بهذه تغفر البلاد وبالأه  
ومعدك الدهر قد اضربنا  
م  
قد فقد الزاد وانتهى الطلب  
محمد تهوى على الوري العرب  
اليك من جور عبدك الهرب (٣)

فقال سيف الدولة : " احمنت ولله انتك " وأمر له بمائتي دينار .

وقال ابو القاسم عثمان بن محمد العراقي قاضي عين زربه : حضرت

مجلس الامير سيف الدولة بحلب وقد وافاه القاضي ابو نصر محمد بن محمد  
النيسابوري فطرح من كفه كيسا فارغا ودرجا فيه شعر استأذنه فسي

(١) التوحي : ابو على المحسن بن علي : نشوار المحاضرة واخبار المذاكرة القاهرة باعتناء  
مرجوليون سنة ١٩٢١ ج ١ ص ٢٥٩ - ٢٦٠ .

(٢) الثعالبي : يتيمة الدهرج ١ ص ٢٠ .

(۳) ج ۱ ص ۲۰

انشاده فاذن له ، فأنشد قصيدة أولها :

حبا وك معتاد وأمرك نأخذ      وعبدك محتاج الى ألف درهم

فلما فرغ من انشاده ضحك سيف الدولة ضحكا شديدا وأمر لبألف دينار فجعلت في

في الكيس الفارغ الذي كان معه . (١)

ويذكر الثعالبي كذلك ان ابا فراس كان يوما بين يديه في نفر من ندمائه فقال

لهم سيف الدولة : أياك يجيز قولي وليس له الا سيدي (يعني ابا فراس )

لك جسمي تعلله      قد ي لم تحله

لك من قلبي المكا      ن فلم لا تحله

فارتجل ابو فراس :

انا ان كنت مالكا      نلي الأمر كله

ناستحسنه وأعطاء ضيعة في منبج تغل الف دينار . (٢)

وكان الخالديان من خواص شعراء سيف الدولة فبعث اليهما مرة وصيفة ووصيفا

وهي كل واحد منهما بدرة وتخت من ثياب مصر : فقال احدهما من قصيدة طويلة :

لم يغد شكرك في الخلائق مطلقا      الا ومالك في النوال حبيس

خولتنا شمساً وبدراً أشرفت      بهما لدينا الظلمة الحفديس

رشاً اتانا وهو حسنا يوسف      وفزالة هي بهجة بلقيس

هذا ولم تفتح بذاك وهذ      حتى بعثت المال وهو نفيس

انت الوصيفة وهي تحمل بدرة      وأتى على ظهر الوصيف الكيس

وبررتنا مما اجادت حوكه      مضر وزادت حسنه تنيس (٣)

(١) ابن خلكان : شمس الدين ، وفيات الاعيان وأنبأ ابنا الزمان ، تحقيق محمد محي الدين

عبد الحميد - القاهرة سنة ١٩٤٨ ج ٣ ص ٨١ - ٨٢

(٢) الثعالبي : يتيمة الدهر ج ١ ص ٢٠ - ٢١

(٣) الثعالبي : يتيمة الدهر - ج ١ ص ٢٢ - ٢٣

ويروى عن أبي اسحق إبراهيم بن هلال الصابي قوله : " طلب مني رسول سيف الدولة ، وكان قد قدم الى الحضرة ، شيئا من شعرى ، وذكر ان صاحبه رسم له ذلك فذاعته اياما ثم الح علي وقت الخروج فأعطيته هذه الثلاثة ابيات وهي :

ان كنت خنتك في الأمانة ساعة <sup>القول</sup> فذمت سيف الدولة المحمودا  
وزعت ان له شريكا في العلى وجحدته في فضله التوحيدا  
نسما لو اني حالف بغموسها لغريم دين ما أراد مزيدا  
وقال الصابي : فلما عاد الرسول الى الحضرة ودخلت عليه مسلما أخرج لي كيسا يختم سيف الدولة مكتوبا عليه اسمي ، وفيه ثلاثمائة دينار . (١)

وفي خزانة الأدب ان سيف الدولة أمر بحساب ما أعطي لأبي الطيب فكان خمسة وثلاثين ألف دينار في أربع سنين . (٢)

ولا شك في ان هذه الأعطيات الكثيرة ، التي كان يقدحها سيف الدولة على شعرائه ، أثرت في ازدهار بلاطه وذبوع عيته وشهرته ، فبالمال جلب او حصل على أفضل الشعراء والأدباء ، وكان هؤلاء يتفقون رقبا على شعر بعضهم ، فكان لابد من ان يقدح الشاعر زناد شاعريته ليأتي بأجود ما يستطيع والا أصبح مضغة في انواء زملائه ، فجا شعر البلاط الحمداني فويا مسبوكا لفظا ومعنى ، وكانت قوة هذا الشعر سببا في انتشاره وذبوع صيت سيف الدولة بالتالي .

كذلك كان للأعمال والحروب التي قام بها سيف الدولة أثر بارز في شعر الشعراء الذين لازموه وأهمهم المتنبّي وأبو فراس - اللذان كانوا فارسين علاوة على انهما شاعران - فروحاً هذين الشاعرين وشاعريتهما وجدت متفهما وسبيلا للخروج

(١) الشعالي ، بتيمة الدهر : ج ١ ، ص ٢٣

(٢) البغدادى ، عبد القادر - خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب ، بولاق سنة ١٢٩٩ ج ١ ، ص ٣٨٤

والانطلاق للتعبير عما لهذه الحروب من اثر في نفسيهما . وسوف ابسط  
في الفصل القادم بعض ما قلناه من شعر في الحرب .

وصحيح ان شعر الحرب يغذى الروح المتوثبة الا ان هذه الروح  
تخرج الى صقل وتجميل فنجد في بلاط سيف الدولة من لم يقل شعرا  
في الحرب قط بل وصف الطبيعة ، او قال مسلما <sup>سورا</sup> ومن هؤلاء الصنوبري  
وكشاجم والسعدى والخالديان .

ولقد كان الشعر الحمداي<sup>سعدى</sup> التاريخي الذى يمكننا بواسطة تتبع اخبار  
سيف الدولة ، فاذا ما غزا وصفنا غزواته ، واذا ما بني حصنا ارخوا لبنائه واذا  
قابل جيشه جيشا آخر ، وصفوا هذا الجيش ، ولقد عرف الناس  
المتنبى مدحا كبيرا وعده الادباء شاعرا وعقريا وحكيما بصيرا ، ونسوا انه  
مؤن صادق .

قال الغزولي : اجتمع لسيف الدولة ما لم يجتمع لغيره من الملوك ،  
كان خطيبه ابن نباتة الفارقي ومعلمه ابن خالويه ، ومطربه الفارابي ، وطباؤه كشاجم .  
وخزنة كتبه الخالديان والصنوبري ومداحه المتنبى والسلافي والواواء<sup>واواء</sup> الدمشقي والنامي وابن  
نباتة السعدى والصنوبري وغير هؤلاء . ( ٢ ) .

---

( ١ ) الغزولي : مطالع البدور في منازل السرور القاهرة سنة ١٢٩٩ ج ٢ ، ص ١٢٦ .



## اثر البلاط في الشعر والشعراء

### ١ - العديج :

عاش سيف الدولة الحمداني في عصر تضال فيه النفوذ العربي الى درجة كناد معها ان ينعدم ، وقد تصور بعض الشعراء ، وهم محقون في تصورهم ، ان سيف الدولة هو الحاكم الذي يمكن ان تعود على يديه امجاد العرب الماضية . واذا ما زدنا على ذلك كرم سيف الدولة وجوده وجدنا انهمذين الاميرين لا يخريان الشعراء بمدحه ، وهم في ذلك انما يصدرون عن ايمان بما يقولون كالعتبي او طمع في نوال اعطياحه الامير وصلاته كالنامي وغيره من الشعراء . واذا ما اردنا بيان المعاني التي مدح بها الشعراء سيف الدولة وجب علينا ان نأخذ كل شاعر على حدة .

### ١ - النامي :

مدح ابو العباس احمد بن محمد النامي سيف الدولة فتخنى بكرمه وجوده ، متعجبا من حالة الحرب التي لا يتركها سيف الدولة فقال : ( ١ )

خلقت كما ارادتك المعاني	قانت لمن رجاك كما يريد
عجيب ان سيفك ليس يراوى	وسيفك الوريد له وريد
واعجب منه رمحك حين يسقى	فيصحو وهو نشوان يמיד

( ١ ) التعالي : يتيمة الدهرج ١ ص ١٩ .

كذلك جعل النامي من مدوخه سيفاً مصلتا على العدى اذا  
ما فكر هولاً في العدوان ، وسيف الدولة عندما تقع الشدائد اسخ من  
الحمامة واثبت فيها من قلب صمصمة عذبه الهوى ( ١ ) .

لكم يا بني العباس سيف على العدى      حسام متى يعرض له الداء يخسم  
اخف الى يوم الوغى من حمامة      واثبت من شوق بقلب مستيم

واظهر النامي كذلك ان سيف الدولة في شغل بالحرب دائماً فلا ينقضي  
عليه العام حتى يعود الى الغزو ، وسيف الدولة على كر الايام مقصد طلاب  
العطاء والجود ( ٢ ) .

امير العلا ان العوالي كواسب      علاءك في الدنيا وفي جنة الخلد  
يعر عليك الحول سيفك في الطلا      وطرفك ما بين الشكيمة واللبد  
ويضي عليك الدهر : فعلك للعلا      وقولك للتقوى وكفك للرفد

ويورد الثعالي قصيدة للنامي في مدح سيف الدولة ، سار فيها على نهج  
القدامى فاستهلها بذكر الديار والوقوف عليها مستطياً ناقمة فقال : ( ٣ )

العامة بمغاني داره لم      اذا امامه في دار لها امم  
باى حكم لا يام الفراق نأت      بناعب كاعب والبين يحتكم ؟  
عقلت عيما كاني كنت حاسدها      بدار سلى وترب الدار مستلم  
احدى الحصان اساءت بي وقد صرمت : يوم الحمى وهوها ليس ينصرم

( ١ ) الثعالي : يتيمة الدهر ج ١ ص ٢٢٥ .

( ٢ ) " " " ج ١ ص ٢٢٥ .

( ٣ ) " " " ج ١ ص ٢٢٦ - ٢٢٧ .

بعد هذه المقدمة ينتقل الشاعر الى مدح الامير فيقول ان قلبه  
عندما علم يهجر حبيته شبيه بقلب عدو من اعداء سيف الدولة وهو  
يغر ليلوذ بمهجته، ولعل حالة الخوف في كلا الموقفين واحدة، سيف الدولة  
هو القدر والاجل الذي يمكن ان يتحكم في ارواح الاعداء، بل انه يتحكم  
في الخيل فهي ظامئة تارة وريا تارة اخرى، واحسن الشاعر التخلص في هذا  
الامر فقال :

كأن قلبي معار للنوى جـ	من قلب قرن على وهو مفهـ
ناظ الحماثل في ليث وفي قمر	وفي الحمائل قد نيطت به الهمـ
كأنه اجل او طرفه <b>وجل</b>	او سيفه قدر في الرن يحتكمـ
يا مظمى الخيل او تروى ذوابه	والخيل تشرب من اشواقها اللجمـ

والشاعر في هذا الامر يشبه سيف الدولة بالرسول حين ساعدته الملائكة  
في احدى معاركه .

وتدخلت ملائكة النصر بين الخيل، كيف لا يكون ذلك وقد اراد الله نصره  
سيف الدولة ؟ فتم له النصر في يوم كثير الغبار - وساعده في ذلك  
العز والحن - حتى كأن الشمس مخمدة، مما حدا بالنهار ان يتساءل عن الافق  
والارض، فالافق رماح تسير الى مستقرها في صدور الاعداء والارض انقلبت الى  
انهار من الدماء التي كانت تنرف من صدور هؤلاء فقال :

اذا ملائكة النصر اختلطت بها	تشابه العالم النورى والنصم
لم تدع يا علم المجد العقابنا	الا وسبح اجلالا لك العلم
لا يكتم النصر يوما انت شاهده	واليوم من نفعه قد كاد ينكمـ
النصر اسرجها والعز الجمها	والحنز امسك بالاسراج لا الحزنـ
قال النهار له والشمس مخمدة	وللعنايا شمس غمدها القممـ
هذا عجاج فأين الافق وهو قنا ؟	وتلك خيل فأين الارض وهي دم ؟

ويخلص النامي بعد ذلك الى مدح سيف الدولة فيقول ، ان انتصار  
سيف الدولة تحطيم لقواعد الشرك ، وقد تحدث في ذلك <sup>الذئاب</sup> والنسور لانها  
وجدت ما يقوتها بفضل رماح سيف الدولة التي لا تثطم لانها تعودت دائما  
الرضاخ من صدور الاعداء ، ولعل آل حمدان هم ذرة هذه الارض فالملك  
لهم والعال لهم وكذلك الحمد فهم اصحاب السماحة والكرم .

قواعد الشوك والارواح تنحطم	مجد سيفك سيف الدولة انحطمت
ويخبر النمر سرره هو يبتسم	يحدث الذئاب ذئب وهو <del>مبتسم</del> مبتهج
ورمحك ابن وضاع ليس ينظم	قد ارضعتك ثدى الارض ذرتها
والعال مقتسم والحمد مغتتم	من آل حمدان حيث الملك مقتبل
جار السماح عليهم في الذي حكموا	قوم اذا حكموا يوما لانفسهم

وينتهي الشاعر قصيدته بمخاطبة سيف الدولة ، ابن العلاء والكرم ، والرأى  
بل الشجاعة والعزم ، بانه مهما قال فانه مقصوفي وصفه فافعله تضرع  
حدا لكل كلام فتعطاه :

فانت ذا والحيا والصارم الخدم	امن <del>علاء</del> ام ندى ادعوك ؟ ام بهما
كنوا الجواد من الاعجاب يحتدم	ان يعجل الرأى تلحقه بغايته
ان الاسود تمطى ثم تعستزم	وان تأنيت عزما لم يفتك عدا
فمشك فيك يقيني انك الامم	ان لم افم امما للمدح من فكري
ما حيلتي قد تناهى دونك الكلم	اذا طلبتك لم الحقك في امد
فعطلت كل ما قالوا وما نظموا	وما علي اذا ما كنت ناظمها

## ٢- ابو الفرج الببغا (١)

كذلك كان ابو الفرج الببغا من مداح سيف الدولة ، وكان له دالة كبيرة عليه ، فكتب اليه مرة يطلب منه رسمه في الكسوة فقال : (٢) الرضا بالمأمول اطال الله بقا سيدنا الأمير دليل على همة الأمل . ومحل المسؤول في نفسه مترجم عن نفاسة نفس المسائل . اذ كان الناس من التخلق بالكرم والتفاضل بالهمم في منازل غير متقاربة ومراتب غير متناسبة وشرف أدبه في شرف طلبه :

ورجاء سيف الدولة الشرف الذي يتقاصر التفصيل عن تفصيله  
ضفت تأملي نداء فرد . جذلان من سفر الظنون بسؤاله  
رائقت حين بلغت ورد تواله عن ورد مستمع النوال بخسيلة  
فالغيث يغبطني على انعامه والد هر يحسدني على تأميلة  
وعلمي بأني اقرب مؤطيه ايد الله اليه وأوجبهم حرمة عليه وأشد هم استعادة لنعمه  
واكثرهم سحبا على كرمه بعثني على التقرب الى قلبه بالسؤال ومناجاة كرمه بلسان الآمال :

ان تعلم الايام موضع عبده من عزه ومكانه من رائحه  
بشواهد الخلع التي يغدوبها متطاولا شرفا على نظرائه  
فمن العجائب حسن توقيع له وموقع التوقيع من شفعاثه  
فعل ان شاء الله تعالى .

وللببغا في مدح سيف الدولة والتغني بكرمه قوله : (٣)

- (١) هو ابو الفرج عبد الواحد بن نصر بن محمد ، اكثر شعرا جيدا ومقاعده فيه جميلة ، خدم سيف الدولة مدة وتنقل بعد وفاة الأمير في البلاد ، والببغا لقب "لقب به لحسن فصاحته وقيل للشدة في لسانه ، وكتبها ابن جنني الففغا" . (ابن خلكان ج ٢ ص ٢٧٧) وزاد هل (J. Hell) على ذلك بأنه كان يلي المتنبّي في مواهبه الشعرية ، واشتهر بأنه كان من احسن مفكرى وشعرا عصره كما جرب مواهبه في جميع الأقراض الشعرية ونبيغ في المديح الى حد بعيد . (ترجمة الببغا الموسوعة الإسلامية الجزء الأول) .
- (٢) التنوخي : شوار المحاضرة ج ١ ص ٢٥٩ - ٢٦٠
- (٣) الثعالبي : بتيمة الدهرج ١ ص ٢٤٧

قصوت امسك عن اوصاف نعمته  
عجزا وينطق عن آثارها حالي  
لما تحصنت من دهرى بمعقده  
سمت بحملانه الحاظ اقبالي  
وواصلتني صلات منه رحت بها  
اختال ما بين عز الجاه والمان  
لم يبق لي امل ارجو نذاك به  
دهرى لانك قد افنيت آمالي •

## ٣ - الواواء

ومن الشعراء الذى اتصلوا ببلاط سيف الدولة الحمداني ابو الفرج الواواء ٤  
فقد ذكر الدكتور سامي الدهان في مقدمته للديوان ان الواواء اتصل بسيف  
الدولة بين سنتي ٢٢٢ - ٢٢٥ هـ ولم يجزم الدكتور الدهان فيما اذا كان  
الواواء قد اقام في حلب او انه انشد سيف الدولة الفصائد في دمشق (١) •

مدح الواواء سيف الدولة بثلاث قصائد عدد ابياتها مئة وتسعة مطلع

اولها

صولج لامين في عذارين      في ذهبيين جوهريين (٢)

ومن يقرأ هذه القصيدة يتبين ضعفها معنى ومبنى الا انها اشتملت على  
بيتين اختارهما الثعالبي واوردهما في يتيقه هما :

من قاس جدواك بالغمام فما      انصف في الحكم بين شكلين  
انت اذا جدت ضاحك ابدا      وهو اذا جاد دامع العين (٣)

من  
اما القصيدة الثانية فكانت امتن/ الاولى واحكم سبكا ، وقد سار فيها على منهج  
الشعراء القدامى فوقف على الاطلال فقال (٤)

(١) الواواء الدمشقي ، الديوان تحقيق الدكتور سامي الدهان دمشق سنة ١٩٥٠ ص ١٢ - م ١٤ •

(٢) الواواء الديوان ص ٢٢٠ •

(٣) " " ص ٢٢٢ - ٢٢٣ • اليتيمة ج ١ ص ١٩

(٤) " " ص ٢٤ - ٢٨ •

قفوا ما عليكم / وقوف الركائب  
لنبذل مذخور الدمع المواقب

ثم ذكر بعد ذلك حبيته شأنه في ذلك شأن سابقه :

تعشق دمعي رسمها فكانها  
تليد هوى في الرسم حتى كأنما  
تظل على رسم من الدمع واجب  
هو الرسم الا انه غير ذاهب

-----

ولما وقفنا ساحة الحي لم نطق  
كلاماً تناجينا بكسر الحواجب

ثم يصف الليل وكواكبه التي تغيب بسرعة وتظهر قصر الليل اذا ما اجتمع الحبيبان .  
ويترك الليل ويجد العن ليرصل الى مدوحه :

سأهبط من بحر الليالي مذهباً  
واسحب ذيل العزم في ارض همة  
الى من يظل الجود يقسم انـه  
هو السيف الا انه ليس نابياً  
اذا شاجروه بالرمح تشاجرت  
وتصبح ايدى النقى ايدى خيوله  
وكم خاض نقعا يطر الهام وقعته  
اذا شئت عوناً لا يذل لحادث  
متى قصرت بي في هواه مذهبى  
الى واهب امواله للمواهب  
هو الجود موقفاً على كل طالب  
اذا عاقه المقدور عن كل ضارب  
نفوس المنايا في نفوس الكتائب  
بهجر ترب من نجيع الترائب  
الى الموت في صفي قنا وقواهب  
فنار على اسم الله " يا سيف غالب " ١.

ولعل آخر قصائد الواواء في مدح سيف الدولة لا تختلف عن قصيدته الثانية في المنهج ، فهو يقف فيها على ملاعب الطفولة ليتذكر محبوبته ويصف الليل والناقة التي تنقله الى مدوحه ، وكان في كافة انتقالاته ( في القصيدة ) موقفاً ، فقال في مدح

## سيف الدولة : ( ١ )

ولما اجزناها بمساحة طاهر  
الى كعبة الامال والمطلب الذى  
الى من يرى ان الدموع غلائل  
ومن لا تراه طالبا غير طالب  
عجيب **الطراف** الرماح اذا ارتمت  
**بعلوات** صبر لم تزل تستعيده  
فتى اليس الايام ثوب شبيهة  
تظل العناية تحت ظل سيوفه

ذهبتا بها في مذهبات المذاهب  
به حليت اجياد عطل المراكب  
وان ركوب الموت خير المراكب  
ولا ذاهبا الا على غير ذاهب  
بها وافدات الطعن من كل جانب  
الى الحرب حتى زال صبر المحارب  
وكانت قديما في جلابيب شائب  
اذا خطر الخطي بين الكتائب

ويأخذ بعد ذلك في وصف آلات الحرب ومعداتهما ثم يطلب من سيف الدولة  
ان يريح هذه الآلات لانها نحلت من الضرب فقال :

المضارب

ارحها قليلا كي تقر فانها  
تمريك الايام وهي شواهد  
ابا حسن هذا ابن مدحك قد اتى  
بما **لكة** للسمع ملوكة به  
اذا انشدت في مشهد شهدوا لها  
لتعلم اني "حاتم" والشعر والذى

من الضرب امست ناحلات المضارب  
بانك ما اقيت عتبا لعاب  
لمدحك والايام خضر الشوارب  
عجائبها من امهات العجائب  
بحسن التناهي في اختصار المذاهب  
غرائبه فيه حسان الغرائب

٤ - المتنبي

مدح ابو الطيب سيف الدولة الحمداني بعدد من القصائد ، لا اعدو الواقع  
ان قلت ان معظمها **ورد** في جبين الشعر العربي ، وفيما يلي مطالع بعض  
مدائحه :





ايضع في الخيمة العزل      وتشمل من دهرها من يشمل (١)

اجاب دمعي وما الداعي سوى طلل      دعا فلباه قبل الركب والابل (٢)

لعينيك ما لقي الفؤاد وما لقي      وللحب ما لم يبق مني وما بقي (٣)

ما لنا كلنا جو يارسول      انا اهوى وقلبك المبتول (٤)

فهمت الكتاب ابر الكتب      فسمعا الامر امير العرب (٥)

ورد في الاخبار ان المتنبي اتصل بسيف الدولة سنة ٣٣٧ هـ فقبل (٦) :  
لما قدم سيف الدولة انطاكية سنة ٣٣٧ هـ، كان بها المتنبي الذي قدم اليه واثني عليه عنده ( وكان سيف الدولة قد عرف منزلة المتنبي في الشعر والادب ) واشترط عليه ان اذا ما انشده مديحا انشده وهو قاعد ، وان لا يكلف تقبيل الارض بين يديه فنسب الى الجنون ، وانشد المتنبي اول قصائده في سيف الدولة فقال :

وفاؤكما كالريح اشجاء طاسمه      بان تسعدا والدمع اشفاء ساجمه

والواقع ان هذه القصيدة لم تكن اول قصائد المتنبي في سيف الدولة - ولي رجع الى تحليلها - بل كانت الثانية . اما القصيدة الاولى التي نظمها الشاعر فكانت

(١) المتنبي الديوان تحقيق الدكتور عزام ص ٢٩٥ .

(٢) " " " " " " ص ٢٢٨

(٣) " " " " " " ص ٣٣٥

(٤) " " " " " " ص ٤٢٧

(٥) " " " " " " ص ٤٣١

(٦) البديعي ، يوسف - الصبح المبني عن حيشية المتنبي - دمشق ١٣٥٠ ص ٣٥ .

ذكر الصبا ومرباع الآرام      جلبت حمامي قبل وقت حمامي

«وكان ابو الطيب اجتاز سنة ٣٢١ برأس عين وقد اوقع سيف الدولة لعمر بن حابس من بني اسد وبني ضبة ورباح من بني تميم ولم ينشدها اياه، فلما لقيه دخلت في المدح» (١) :

ويرجح الاستاذ محمود محمد شاكر ان المتنبي لقي سيف الدولة في هذه السنة، أي سنة ٣٢١ هـ - واتصل بينهما الود قليلا قليلا، وفي القصيدة ابيات تدل على ان لسيف الدولة بعض الافضل على المتنبي، ويتعجب الاستاذ شاكر من هذه القصيدة لما تضمنته من حب واعجاب فقال المتنبي :

وتعذر الاحرار صير ظهرها	الا اليك علي ظهر حرام
انت الغريبة في زمان اهله	ولدت مكارمهم لغير تمام
اكثر من بذل النوازل ولم تنزل	علما على الافضل والانعام
صغرت كل كبيرة، وكبرت عن	لأنه وعددت سن غلام
ورفعت في حلل الشناء وانما	عدم الشناء نهاية الاعدام
عيب عليك ترى بسيف في الوغى	ما يصنع الصمصام بالصمصام ؟
ان كان مثلك كان او هو كائن	فبرئت حينئذ من الاسلام (٢)

وينتقل المتنبي بعد ذلك الى الدعاء له، والدعاء بالسقياء<sup>لوالديه</sup>، وكان هذا البيت مثار شك بالنسبة للمؤرخين اذ كانت ام سيف الدولة حية سنة ٣٢١، فكيف يدعوا المتنبي لها بالسقياء<sup>وهي حية</sup> ويرجح الدكتور عبد الوهاب عزام ان كلمة ابويك "انما تعني جدبك" واذا ما اخذنا بتعليل الدكتور عزام (٣) استقام الرأي القائل باتصال المتنبي

(١) المتنبي : الديوان ص ٤٠٨

(٢) شاكره محمود محمد المتنبي المقتطف يناير سنة ١٩٢٦ ص ٥٤

(٣) عزام : الدكتور عبد الوهاب ذكرى ابي الطيب بعد الف عام القاهرة سنة ١٩٥٦ ص ٨٩ - ٩٠

بعمدوحة سنة ٣٢١ • اما البيت فهو :

صلى الاله عليك غير مودح      وسقى ثرى ابويك صوب غمام

اما قصيدة المتنبي في سيف الدولة ، والتي جعلها بعض الرواة اولى قصائده فانها في الواقع من عيون شعر المتنبي ، والمتنبي الذي كان يأهل في لقاء الحاكم العربي الامثل اعد العدة لهذا اللقاء فنظم فريدة من فرائده بدأها بمخاطبة عينيه اللتين اشجكتاه بالدمع عندما تذكر ربح الاحبة ، ومطلع القصيدة لا يختلف عن قصائد القدماء من حيث الابتداء بالوقوف على الاطلال ، ولقد اطلال ابو الطيب في الوقوف على الاطلال ودعا على نفسه بالبلبل ان لم يطل الوقوف وهو كيب حزين للذكرى التي انبعثت في نفسه :

وفاء كما كالريح اشجاء طاسمه      بان تسعدا والدمع اشقاء ساجمه  
وما انا الا عاشق كل عاشق      اعق خليليه الصفيين لائمه  
بليت بلى الاطلال ان لم اقف بها      وقوف شحيح ضاح في الترب خاتمه  
كيبا توقاني العوازل في الهوى      كما يتوقى ربح الخيل حارمه

ويدعو بعد ذلك بالسقيا لهذه الاطلال ، التي انقلب النساء فيها الى ازهار والخدم الى كمام تحميمها . واذا ما اراد الشاعر المفر مع محبوبته فانه لا حاجة به الى القمر لانه القمر معه يهديه وينير له الطريق ، اذا نظر اليه ناظر فانه يعود الى ايام صباه .

سقاك وحيانا بك الله انما      على العيس نور والخدم كمامه  
وما حاجة الاطلال حولك في الدجى      الى قمر ما واجد لك عادمه  
اذا ظفرت منك العيون بنظرة      اناب بها معي المطي ورازمه

وتفرد حبيب الشاعر بالحسن فكان الحسن احبه فاختره دون غيره من الناس ليكون مثالا له ، وليس باستطاعة احد ان يسي هذا الحسن لان هنالك رماح

نومه التي تحول بينه وبين الأعداء ، بل ان هذه الرماح هي التي تسبي من كل حي نساء الكريعات  
ليقمن بخدمة الحبيب الذي كانت الستائر بينه وبين الناس ، الغبار أولا والبخور ثانيا .

حبيب كان الحسن كان يحبه      فأثره اوجارني الحسن قاسمه

تحول رماح الخط دون سبائه      وتسبى له من كل حي كرائمه

ويضحى غبار الخيل ادنى ستوره      وآخرها نشر الكباء الملازمة

اما وقد اضطر المتنبى لفراق محبوبه للانتقال الى مدح سيف الدولة فانه يقول ان هجر لا

الأحبة قد اصبح امرا مألونا لديه ، نعرف وذاق موارته حتى جاوز مرحلة الشباب الى الشيب

ولا يد له في ذلك لأن الذي سبب له الشيب هو الذي جعله شابا في الماضي . ولا مفر لكل

فرد من الصبي والشيخوخة ، وسواد الشعر وبياضه ، اما هذا البياض فليس عيبا ولكن اجمل

الشعر اسوده الا ان كرم المدح احسن في الشباب الذي فقد ، فقال :

وما استغربت عيني فراقا رأيته      ولا علمتني غير ما القلب عالمه

فلا يتهمني الكاشحون فانني      رعت الردى حتى حلت لي علاقته

مشب الذي يبكي الشباب مشيبه      فكيف ترقيه وبانيه هادمه

وتكلمة العيش الصبي وعقبيه      وغائب لون العارضين وقادمه

وما خضب الناس البياض لأنه      فبيح ولكن احسن الشعر ناحمه

واحسن من ماء الشبية كله      حيا بارق في نازة انا شائمه

ولقد أحسن المتنبى التخلص والانتقال من غرض الى آخر في هذه القصيدة

فهو قد لقي مدوحه في خيمة مزدانة بالرسوم والصور ، وعلى الفازة صور

الرياض والاشجار على اغصانها حمام ولكن هذه الحمام لا تغني

اما جوانب الفازة فقد طرزت بالحواشي وصفوف الدر ، وترى من الصور

كذلك حيوانات البر وهي تتقاتل الا انها في الحقيقة تعيش

في سلام لأنها من الجماد ، اما اذا ما هبت الريح فانك ترى ان هذه الصورة قد بدأت في الحركة ، وأصبحت الصورة حفيقة . وعلى هذه الجوانب صورة ملك الروم وقد سجد لسيف الدولة الا ان انفة سيف الدولة وكبرياءه منعه من السماح للملك بتقبيل يديه فقبل ملك الروم بساط سيف الدولة ، بعد ان اکتوى بنار حربه فقال :

عليها رياض لم تحكها سحابة	واغصان دوح لم تغن حمامة
ونوى حواشي كل ثوب موجه	من الدر سمط لم يثقبه ناظمه
ترى حيوان البر مصطلحا به	يحارب ضد رده ويسالمه
اذا ضربته الريح ما ج كأنه	تجول مزمزما مزاكيه وتدأى ضراغمه
وفي صورة الرومي ذى التاج ذلة	لا بلج لا تيجان الا عمامه
تقبل افواه الملوك بساطه	ويكبر عنها كمنه وبراجمه
قياماً لمن يشفي من الداء كيه	ومن بين اذني كل قرم واسمه
تباثعها تحت العرافق هيبة	وانفذ ما في الجفون عزائم

واذا ما سار سيف الدولة للحرب فانه يسير بجيشين احدهما من الجنود والثاني من الطير الذي يسير مع الجند ، حتى اذا ما وقعت المعركة بدأت الطيور تنهش في جثث قتلى الأعداء ، اما ثياب ملوك الروم فهي اجلة لخيل سيف الدولة وأجسام هؤلاء الملوك هي الطريق المختص التي تشفي عليها الخيول ، ويخاطب الشاعر سيف الدولة بقوله ان ضؤ الصبح قد مل من كثرة افارتك فيه مباغته للعدو وكذلك مل سواد الليل من كثرة مزاحمتك له لأنه لا يقدر ان يكفك عن القتال ، وكذلك الحال بالنسبة للرماح والسيوف ، اما العقبان فانها تشكل سحابا اذا ما طارت فوق جيش سيف الدولة ، الذي هو سحاب آخر ، فاذا طلبت العقبان السقيا ونرها لها السحاب السائر على الأرض اى الجيش بهجريان دم العدو :

له عسكرا خيل وطير اذا رمى	بها عسكرا لم تبق الا جماجمه
اجلثها من كل طاع شيا به	وموطئها من كل باغ ملاغمه

فقد مل ضوء الصبح مما تغيره  
ومل الفنا مما تدق صدوره  
ومل سواد الليل مما تزاحمه  
ومل حديد الهند مما تلاطمه  
سحاب من العقبان يرحق تحستها  
سحاب اذا استقت مسقتها صوارمه

وقد جعل المتنبي العزم مركبه لا يصاله الى الامير الحمداني . وقطع في سبيل الجول  
اليه صحارى لا يمكن ان يسير بها الذئب وهو الجلود على الجوع ، ولا الغراب  
وهو السريح في الطيران وما ان وصل الى سيف الدولة حتى رأى بدرا لا يرى  
القمر في السماء بدرا مثله ، وخاطب بحرا جوادا كريما لا يمكن لسابح ان  
يصل الى شاطئه ، ولشعر ما اصاب الشاعر بخيبة الامل ان رأى في هذا  
الامير صفات كثيرة لم يصفها الشعراء ولم يذكرها في وصفهم له ، وكان  
الشاعر اذا ما اراد الذهاب الى بلد بعيد اسرى ليلا وحاله في هذا الامر كالسر  
الذى يكتمه الليل ، الا ان المجد سل سيف الدولة ليحميه من اللثام ، وابقى  
هذا السيف مسلولا فلم يردده الى غده ولم يكن الضرب سببا في ثلمه ، اى ان  
سيف الدولة هو سيف المجد يتقلده الخلفاء ويضرب الله به اعداءه ، والواقع  
ان اعداء سيف الدولة عندما يحاربونهم لا يدرون انهم عبيد له لانهم  
يصبحون اسراء ، وكذلك اموالهم ، فانها تصبح غنائمه .

سلكت صروف الدهر حتى لقيته  
مها لك لم تصحب بها الذئب نفسه  
فابصرت بدرا لا يرى البدر مثله  
غضبت له لما رأيت صفاته  
وكنت اذا يهت أرضا بعيدة  
لقد مل سيف الدولة المجد معلما  
على عاتق الملك الاغر نجاده  
تحاربه الاعداء وهي عبيده  
على ظهر عزم مؤيدات قوائمه  
ولا حملت فيها الغراب قوائمه  
وخاطبت بحرا لا يرى العبر غائمه  
بلا واصف والشعر تهذى طغامه  
سريت فكنت الليل والسر كاتمه  
فلا المجد مخفيه ولا الضرب ثالمه  
وفي يد جبار السموات قائمه  
وتدخر الاموال وهي غنائمه

واذا كان البعض يرى ان الدهر والزمان امر كبير وخطير فانهم

مخطئون فسيف الدولة اكبر واعلى من الدهر، والذين يرون الموت امرا عظيما فانهم ايضا مخطئون لان الموت خادم عند الامير، وان تسميته بالسيف ظلم له فما كل سيف يمكن ان يقطع رؤوس الابطال وشدائد الزمان

ويستكبرون الدهر والدهر دونه	ويستعظمون الموت والموت خادمه
وان الذي سعى عليا لمنصف	وان الذي سماء سيفا لظالمه
وما كل سيف يقطع الهام وحده	وتقطع لزيات الزمان مكارمه

والواقع ان هذه القصيدة كانت نقطة البداية لخلاف المتنبي والنقاد فلقد اخذ ابن خالويه على المتنبي تعدية فعلي شفاء وشجاء، ورد المتنبي على ذلك بانه لم يرد التعدية وانما اراد التفضيل (١)، كما كانت نقطة بداية هجوم المتنبي على الشعراء لانهم يقصرون في وصف مكرمات سيف الدولة فقال :

غضبت له لما رأيت صفاته      بلا واصف والشعر تهزى طماطمه

وحول القصيدة كذلك عددا من الصور الجميلة، التي يمكن القول بانها كانت خارجة على المؤلف من التشابيه العربية من هذه الصور قوله :

بليت بلى الاطلال ان لم اف بها      وقوف شحيح ضاح في التراب خاتمه

وكذلك وصف مناعة المحبوب في قوله

---

(١) المتنبي الديوان شرح البرقوقي هامش ص ٥٦ •



تحول رماح الخط دون سبائه      وتسبى له من كل حي كرائمه  
ويضحي غبار الخيل ادني ستوره      وآخرها نشر الكباء الملازمه

وابدخ الشاعر في وصفه للخيمة التي كان بها سيف الدولة اذ انه ابرز  
من خلال هذه الصور اعترازه بعروسته كما ابرز لنا أنفة سيف الدولة  
وكبرياءه حين قال :

وفي صورة الروي ذى التاج ذله      لابلج لا تيجان الا عمامه  
تقبل اقواء الملوك بساطه      ويكبر عنها كنه ويراجمه

واذا ما انتقلنا بعد ذلك الى الصور الاخرى وجدنا ان المتنبي  
يبرز لنا من خلال وصفه قوة جيش الامير اذ قال :

له عسكرا خيل وطير اذا ربي      بها عسكرا لم تبق الا جماجمه

-----

سحاب من العقبان يزحف تحتها      سحاب اذا استسقت سقطها صوارمه

✓ وبين الشاعر اهمية ممدوحه فلم يركب ناقة او فرسا في سبيل الوصول  
اليه بل انه ركب ما هو ممتنع على الناس اجمعين فركب العزم وقال

سلكت صروف الدهر حتى لقيته      على ظهر عزم مؤيدات قوائمه

ولمت في حاجة الى ذكر مهارة المتنبي في حسن التخلص والانتقال من  
غرض الى آخر في قصائده ولعل هذه القصيدة خير دليل على ما ذكرت  
ففيها انتقل الشاعر من ذكر ايام الشبية الى مدح سيف الدولة فقال في ذلك :

واحسن من ماء الشبية كله حيا بارق في فارة انا شائمه

ولبت المتنبي في بلاط سيف الدولة بعد هذه القصيدة مدة ثماني سنوات  
اذ انه انصرف عنه سنة ٣٤٥هـ (١) . وكان سيف الدولة يصطحب المتنبي معه في  
غزواته، ويستمع اليه ينشده مدائحه فيه حتى بلغ مقدار ذلك ثلث ديوانه .  
وكان المتنبي خلال هذه المدة شاعر سيف الدولة المفضل ،الا ان الخاسدين  
تمكنوا من الكيد له عند الامير فأعرض هذا عن شاعره الذي ما ان لا حظ  
ذلك حتى نظم قصيدة في عتاب اميره مطلعها :

واهر قلباء من قلبه شم ومن بجسي وحالي عنده سقم

ولن اتناول هذه القصيدة بالبحث في هذا المكان الا انني سأؤجل  
ذلك الى فصل لاحق .

استحدث المتنبي في مدحه للامير الحمداني معاني عدة ،قد تكون  
شائعة قبله ،الا انها اقترنت بالمتنبي وسيف الدولة . واخشي ان يقودني هذا  
الامر الى البحث في اى من الاثنين كان سببا في شهرة الاخر ، والواقع  
ان لكل منهما فضلا على الاخر ، سيف الدولة الهب شاعرية المتنبي بالحروب  
والغزوات التي كان يخوضها ضد الروم ، وأتى المتنبي فسجل بحسه المرفه  
هذه الغزوات واتى فيها بمعان جميلة سهلة حفظها الناس ورددها ، فأنت  
اذا ذكرت المتنبي اقترن في ذهنك سيف الدولة ، واذا ما ذكرت سيف الدولة  
اقترن اسمه في ذهنك باسم المتنبي . من هذه المعاني التي اقترنت باسم  
المتنبي وسيف الدولة قول المتنبي في مدح الامير :

خضعت لمنصك المناصل عنوة  
ولست مليكا هارما بالنظيره  
واذل دينك سائر الاديان  
لكنك التوحيد للشرك هان

جعل المتنبي ممدوحه بطلاً ينظر اليه الناس كبطل يمكن ان يخلص  
الاسلام من براثن الشرك والفساد ، ونحا المتنبي منحى آخر في مدح الامير  
فضله على الخليفة العباسي حين قال :

فيا عجباً لمن فائت انت سيفه  
ومن يجعل الضرغام بازاً لصيده  
اما يتوقى شغرتي ما تقلدا  
تصيده الضرغام فيما تصيدا

كذلك جعل الشاعر من ممدوحه بطلاً تفاخر العرب به فقال :

رفعت بك العرب العماد وصيرت  
انساب فخرهم اليك وانما  
قم الملوك موافد النيران  
انساب اهلهم الى عدنان

وقال في مدح الامير من خلال وصف السيوف ومدحها :

تهاب سيوف الهند وهي حدائد  
فكيف اذا كانت نزارية عربا

هـ - ابو فراس .

ونحن اذا انتقلنا بعد ذلك الى ابي فراس لندرس مدائحه في  
سيف الدولة ، فاننا نفاجأ بأن ابا فراس لم يكثر في مديح سيف الدولة ،  
بل انه نحا في هذا الامر منحى آخر لم يسلكه غيره من الشعراء ،  
فمديح ابي فراس لابن عمه هو في الواقع مفاخرة به ، ولم يعتبر نفسه  
مادحاً اذ قال :

نطقت بفضلتي وامتدحت عشريني      فلما انا مداح ولا انا شاعر  
بل انا ابا فراس يقول في شعره : (١)

الشعر ديوان العرب      ايضا وعنوان الأدب  
لم اعد فيه مفاخرى      ومدح آياتي الفجب  
ومقطعات ربما      حليت منهن الكتب  
لا في المدح ولا الهجا      ولا ولا المجون ولا اللعب (٢)

ولم يكن سيف الدولة يهين ابا فراس ليكون شاعرا بل هيئة ليكون فارسا ، وهو  
يقول في ذلك :

(١) ابو فراس ، الديوان مطبعة دار بيروت ودار صادر ص ٢٢ .

(٢) يعلق الاستاذ آدم متر على هذه الأبيات في كتابه " الحضارة الاسلامية بقوله : " وان كان  
الكثير من شعره في الفخر ليس الاخيالا لا حقيقة وراءه " ( الحضارة الاسلامية في القرن الرابع  
الهجري ، القاهرة سنة ١٩٤٢ ج ١ ص ٣٨٥ ) واني لأعجب كيف يصدر مثل هذا القول عن الاستاذ  
متر وهو المتخصص في القرن الرابع الهجري ، ألم يكن الحمدانيون ذوى سلطان ونفوذ في  
وقت عز فيه السلطان على العرب؟ ترى أكان الحمدانيون فكرة في القرن الرابع الهجري حتى يكون  
الفخر بهم خيالا لا حقيقة وراءه ؟ لا لم يكونوا كذلك وقد رأينا علمنا اخبارهم في مقدمة هذه  
الرسالة ، ألم يشترك ابو الهيجا ، مع الجي عم ابي فراس في خلع المقتدر مرتين ؟ ألم يتقلد  
الحمدانيون امارتي الموصل وحلب خلال القرن الرابع الهجري ؟ وبعد ذلك يأتي الاستاذ متر  
ليطلقها سهلة ان فخراي فراس ليس الاخيالا لا حقيقة وراءه ، يغفلون فخرا ابو فراس الا بسيف  
الدولة لكاه ذلك ، ففي اخبار سيف الدولة وقائعه ضد الروم ما يكفي العرب جميعا — في  
ذلك العصر — ليفخروا به ا فكيف بابن عم سيف الدولة ؟!

يا من يحاذر ان تضي على يد  
وانت بي من اذن الناس كلهم  
ما زلت اجهله فضلا وانكره  
حتى رأيتك بين الناس محتفيا  
فعندها وعيون الناس ترمقني  
ولهو

مالي اراك لبين الهند تسمع بي ؟  
فكيف تبذلني للسمر والقضب ؟  
واومن النفس من عجب ومن عجب  
تثني على بوجه غير مثب  
علمت انك لم تخطيء ولم اصب ( ١ )

وابو فراس يفاخر بتربية سيف الدولة له فيقوله في قصيدة بعث بها  
الى ابي حصين ؟

وكيف ينتصف الاعداء من رجل  
ومن سعيد بن حمدان ولادته

المجد اوله والعز آخره  
ومن على بن عبد الله مائة (٢)

وعلى بن عبد الله هو سيف الدولة :

فما فضاء لنا الافضاء

لقد فقدت ابي طفلاً فكان ابي  
فهو ابن عمي دنيا حين انسبه

ولا مفاخرنا الا مفاخره  
من الرجال كريم العود ناضره  
لكنه لي مولى لا اناكسر

وابو فراس عندما يفاخر بسيف دولة يفاخر بالحمدانيين جميعا ولعل هذه  
الابيات تبين مدى اعتزاز ابي فراس بنصيبه قال ابو فراس من قصيدة  
في حروب سيف الدولة ضد القبائل العربية ( ٣ )

الم ترنا اعز الناس جارا  
لنا الجبل المطل على نزار  
تفضلنا الانام ولا نحاشي

وامرعههم وامنعهم جنابا  
حللنا السهل فيه والهضابا  
ونوصف بالجميل ولا نحابي

(١) البصير: محمد مهدي. في الارب العباسي بخداد سنة ١٩٥٥ ص ٣٩٤

• ۳۹۷ - ۳۹۵ ص (۲)

(٢) أبو فراس الديوان تحقيق الدهان ج ٢ ص ١٣٠.

(۳) ص ۲۱۴

نفسی فداؤںکے قد بحث  
 اہدیت نفسی ، انما  
 وجعلت ما ملکت یدی  
 ت بعهدي بيد الرسول  
 یهدی الجلیل الی الجلیل  
 بشری المبشر بالقبول

ولم يتنكر أبو فراس لسيف الدولة ، فهو يعترف صراحة بأنه بغض سيف الدولة  
نال العز فقال ( ١ ) :

يا سيذا عمي جوده  
وكم قد اتيتك من ليله

بفضلك نلت السنى والسناء  
فنلت الخى وسمعت الغناء

وإذا ما أراد أبو فراس أن يمدح سيف الدولة فإنما يمدحه من خلال وصفه للمعارك التي يخوضها، فديوان أبو فراس **جميعه** لا يحتوى على قصيدة واحدة في مدح الأمير بالمعنى المفهوم من المدح كوصفه بالجود والكرم، بل أن مدح أبي فراس لسيف الدولة تفنن بشجاعة الأمر وسماحته، قال أبو فراس مخاطباً سيف الدولة (٢)

قد ضج جيشك من طول القتال به  
وقد درى الروم منذ جاورت ارضهم  
في كل يوم تزور الشجر لا ضجر  
فالنفس جاهرة والعين **ساهرة**  
توهمتك كلاب غير قاصدها  
حتى راوك امام الجير تقدمه  
واستقبلوك بفرسان استنبا  
فكنت اكرم مسؤول وافضله

(١) أبو فراس الديوان طبعة دار بيروت ودار صادر ج ١٣

٢٢٠ ص (٢)

واذا ما قارنا بين شعر فراس في مدح سيف الدولة وشعر المتنبي في سيف الدولة، وجدنا ان شعر أبي فراس لا يمكن ان يعتبر مديحاً، فهو بالواقع فخر بانتصارات الأمير، بينما كان شعر المتنبي في الأمير مديحاً ممتازاً بالمعنى المفهوم من لفظة "المديح". كذلك كان أبو فراس ينظر الى سيف الدولة نظره لمسيب له بينما كانت نظرة المتنبي لسيف الدولة تقوم على اساس ان سيف الدولة هو للعرب جميعاً وليس وقفاً على آل حمدان وحدهم، فالعرب جميعاً يشاركونهم فيه. ولعل السبب في هذا التباين بين الشاعرين ونظرتيهما الى سيف الدولة يعود الى نشأة كل منهما، فابو فراس لم يكن يعد نفسه ليكون مداحاً، وساعده على ذلك نشأته الارستقراطية - ان جاز لي ان استعمل هذا المصطلح في هذا المكان - التي كانت تعتبر المدح وسيلة من الوسائل التي يكتسب بها الشعراء، والمتنبي عاثر في عصر رأى فيه التفكك يحقق بالدولة العربية، وكان يأمل ان تتم اعادة بناء الدولة على يدى الأمير الحمداني. وكان فخر أبي فراس بالأمير <sup>أمر</sup> يعنود في اصله الى السليقة والطبيعة التي عاش فيها الشاعر، فهو لم يتعرض لمرات كادت تعصف به، كما كان الحال بالنسبة للمتنبي الذي خبر الزمان وقاس من مرارة الحرمان في حياته، عدا عن السجن الذي قضى فيه مدة من الزمن.

٦ - ابن نباتة السعدي

ومدح ابن نباتة السعدي سيف الدولة بمدائح عدة فضله في بعضها على سائر العرب مشبهاً إياه بكلام الله الذي هو افضل من كل كلام العرب فقال (١) :

يا من ثرى قدميه طينة العرب  
عند العيان فليز الصفر كالذهب  
فليس مثل كلام الله في الكتب .

حاشاك ان تدعيك العرب واحداً  
فان يكن لك وجه مثل اوجههم  
وان يكن لك نطق مثل نطقهم



ومدح سيف الدولة بقصيدة لامية بدأها بمخاطبة الدهر وتغنى فيها بكرم  
سيف الدولة وشجاعته فقال (١)

يا ايها الدهر ان العي كالخطل      ما دهرنا غير سيف الدولة البطل  
نواله جعل الارواق من قبلي      وعزه **صَيَّر** الايام من خولي  
وما تمهل يوما في ندى وردي      الا قضيت للفتح البرق بالكسل

ويقتل بعد ذلك الى ذم الروم والاسرى منهم فقال ان سيف الدولة كان  
ياسرهم بالحرب اما الآن فانه يأسرهم بالخوف من اسمه وفعله، ولم يتخل  
**عن** عاداته فهو كريم معهم الى أبعد الحدود حتى ان ملك الروم تمنى لو  
أنه اسير ينال من عطف <sup>الامير</sup> كبقية الاسرى فقال :

قد كنت تأسرهم بالسيف منصلتا      فصرت تأسرهم بالخوف والوهل  
من يزرع الضرب يحصد طاعة عجا      ومن يربي العلاء يأمن من الشكل  
كانت محابك فيهم كل بارقة      صحرا تهطل بالايدي على القل  
فاليوم محبك فيهم كل بارقة      غرا تهطل بالاموال والخسل  
حتى تمنى ملك الروم حظهم      وانه معهم في الاسر لم يرل

ويمضي الشاعر بعد ذلك الى شكر سيف الدولة لما قدمه له من اعطيات وصنائع  
بلغت من الكثرة حدا كبيرا لدرجة انه كان يعطي الشاعر كل ما يتمناه فاصبح  
في هذه الدنيا بلا أمل يرجوه فقال

(١) التعالي : يتيمة الدهر ج ١ ص ٢٨٧ - ٢٨٨ .

وما اريد عطاء غير ودكم  
قد جوت لي باللهي حتى ضجرت بها  
ان كنت ترغب في بذل النوال لنا  
لم يبق جودك لي شيئا أوملة  
ومشركم ينجلي من جودكم بجلي  
وكدت من ضجر اثني على البخل  
فاخلق لنا رغبة او لا فلا تنيل  
تركنتي اصحب الدنيا بلا امل

ووصف ابن نباتة شجاعة سيف الدولة واقدامه ، كما قال ان سيوفه تخيف اكثر من الموت  
لانها هي التي تجلبه ، فهو دائما ساهر لينا المكرات (١) :

سيوفك امضى في النفوس من الردى  
فتى يتحامى لذة النوم جفنه  
اطرفك شاك ام سهاوك عاشق  
ومن سهرت في المكرات جفونه  
وخوفك امضى من سيوفك في العدى  
كان لذيذ النوم في جفنه قذى  
يفار على عينيك من سنة الكرى  
وعسى طوفه في جوارها انجم الحلا  
ولا تغمد العينان والقلب منتضى  
فليس ينام القلب والجفن ساهر

## ٧ - السرى الرفاء :

وكان الوفاء (٢) السرى ابن احمد الكندى من الشعراء الذين اتصلوا بسيف الدولة  
ومدحوه ، وصف سيف الدولة عند لقائه للملوك وكانوا وقوفا لا يجراون على القعود في حفرة ،  
ويدعوا للامير بأن يختار ما يشاء من الامنيات التي لا بد من ان يكون الانتصار على العدو  
اهمها فقال (٣) :

حضرنا والملوك له قيام  
وزرنا منه ليك العاب طلقا  
تغض نواظرا فيها انكسار  
ولم نر قبله ليثا يزار

(١) الثعالي : يتيمة الدهرج ٢ ص ٣٨٨

(٢) اشتهر بالرفاء لأنه كان يرفو الثياب في الموصل ، ولم يزل في ضحك من العيش الى ان  
خرج الى حلب واتصل بسيف الدولة ، واستمكر من المديح له ، فطلع سعه بعد الافول ،  
وبعد صيته بعد الخمول ، وحين موق شعره عند الامراء من بني حمدان ، وبقي في البلاط  
الحمداني حتى وفاة سيف الدولة ، ثم سار بعد ذلك الى بغداد . ( الثعالي - يتيمة  
الدهرج ٢ ص ١١٢ ، ١١٩ )

(٣) السرى الرفاء : الديوان ص ١٠٥ - ١٠٦

فكان لجوهر المجد انتظام  
فعمت مخيرا لك في الاماني  
فضيفك للحيا المنهل ضيف  
وكان لجوهر الملح انتشار  
وكان على العدد لك الخيار  
وجارك للربيع الطلق جار

وله في وصف جيش سيف الدولة قوله (١) :

كم معرك عرك القنا ابطاله  
هبت رياحك في ذراه سماءها  
فتركت من حر الحديد مصائفا  
فسقاهم في النقع سما ناقعا  
وغدت سماءك تستهل فجاءعا  
فيه ومن فيض الدماء مرابعا .

- ٨ -

اولئك هم الشعراء الذين اقاموا في بلاط سيف الدولة ومدحوه بغرر خالدة  
من اشعارهم ولو اني اوردت جميع ما قيل لما تسنى لي ذلك لوفرتك على انني لم  
اعثر على اى شعر في المديح لا اثنين من الشعراء اقاموا في بلاط  
سيف الدولة وكانا خازني كتبه ، اعني بهما الخالديين ، حتى ان الثعالبي  
في ايراده الاخبارهما ، وذكره طائفة من اشعارهما لم يذكر لهما شيئا من  
المديح في سيف الدولة .

وكذلك فلقد وفد على بلاط سيف الدولة عدد من الشعراء يبتغون صلات  
الامير الحمداني ، اجد لزاما على ان اورد ما عثرت عليه من اشعار  
لهم في مدح سيف الدولة .

قال الخليل الشامي في سؤال سيف الدولة (٢) :

(١) السرى الرقاء : الديوان ص ١٦١ .

(٢) الثعالبي يتيمة الدهر ج ١ ص ٢٧١ .

انا شاعر، انا شاكِر، انا ناشر  
هي سئة فكن الضمين لنصفها  
والنار عندى كالسؤال فهل ترى

كذلك وفد الناشي\* الاصغر على سيف الدولة وودعه بقوله (١)

اودع ، لا اني اودع طائعا  
 وارجع لا القى سوى الوجد صاحبها  
 تحملت عنا بالصنائع والاعلا  
 رعاك الذى يرى بسيفك دينه  
 واعطى بكرهى الدهر ما كنت مانعا  
 لنفسي ان القيت بالنفس راجعا  
 فنستودع الله العلا والصنائعا  
 ولقائك روض العيش اخضر يانعا

وادرک الطاهر الجزرى سيف الدولة وقال فيه (٢) :

وحاجة قيل لي نبه لها عمرا  
حسبي عليان ان ناب الزمان  
فلي علي بن عبد الله منتجج  
ولم فقلت علي قد تنبه لي  
وان جاء المعاد بما في القول والعمل  
ولي علي أمير المؤمنين علي

وحدث ان دخل الشعراء على سيف الدولة بعد انصرافه من الحرب وكان فيهم رجل شامي انشد .

وكانوا كفّاراً وموسواً خلف حائط  
وكنتم كمَنُور عليهم تسقى

(١) الشعالبي : يتيمة الدهرج ١ ص ٢٣٠ •

(٢) " " " " نشره عباس اقبال طهران سنة ١٣٥٢ ج ١ ص ٤٦ •

فأمر باخراجه فقام على الباب يبكي ، فأخبر سيف الدولة ببكائه فرق قلبه وأمر برده وقال له : مالك تبكي ؟ قال : قصدت مولانا بكل ما أقدر عليه أطلب منه بعض ما يقدر عليه فلما خاب أمني بكيت . فقال له سيف الدولة : ويلك فمن يكون له مثل هذا الفخر يكون له ذلك النظم ، ولم كنت أملت ؟ قال : خمسمائة درهم . فأمر له بألف درهم وانصرف . (١)

وكان أبو حصين الرقي ، قاضي حلب على زمن سيف الدولة يرسل أبا فراس شعرا وقال في ذكر سيف الدولة في إحدى قصائده :

لولا الأُمُروان الفضل مبدؤه	منه لقلت أن الفضل منك بدا
دام البقاء له ما شاء مقتدرا	تضي أوامره أن حل أو عقدا
يذل أعداءه عزاً ويرفع من	أولاه فضلا ويبقى للعلا أبدا

( أثر البلاط في الشعر والشعراء )

## ٢- الرثاء

لئن كان المديح تغنيا بأثر المدوح وإبرازا لصفاته ، فالرثاء تعدد لمآثر الميت وإبراز لصفاته ، والشاعر في مديحه يصف شجاعة مدوحه في معترك القتال ويتغنى بكرمه وسماحته ورجاحة عقله وسداد رأيه في ما يعرض له أو يعرض عليه . فالمدح يصف حيا ، بينما يعدد الرثاء صفات الميت . وتتفاوت المراثي من حيث رقتها وقوتها المؤثرة في نفس الإنسان بتفاوت العلاقة بسين ~~الراثي~~ الرائي والمرثي . فإذا كان الميت مدوح الشاعر ، كان الرثاء معبرا عن

---

(١) الحموي : ابن حجة ، نمرات الأوراق ( مطبوع على هامش المستطرف )

القاهرة سنة ١٢١١ ج ١ ص ١٢٢ - ١٢٨

مصيبة الشاعر بموت ممدوحه . وابو تمام في رثائه لمحمد بن حميد الطوسي  
يبين لنا حزنه الشديد لفقد اميره بل انه يطلب من الناس البكاء على هذا  
الفقيد الذي عظمت المصيبة في فقد ، فيقول :

كذا فليجل الخطب واليفلج الامر      فليس لعين لم يفض ماؤها عذر

واذا كان الميت قريبا من اقرباء الممدوح سلك الشاعر في رثائه للميت معلك  
المعزى الذى يحاول ان يخفف من وطأه المصيبة على ممدوحه . ويمكن  
القول بان شعر الرثاء في بلاط سيف الدولة الحمداني كان من هذا  
النوع الاخير وشعراء البلاط في مرثييتهم يعززون سيف الدولة باقربائه الذين  
اختطفتهم يد المنون واحدا بعد الآخر . وما دام الامر كذلك فما  
احرانا في هذا المقام ان نلحق شعر الرثاء بشعر المديح .

ذكرت ان شعر الرثاء في البلاط الحمداني <sup>على</sup> اقتصر <sup>على</sup> تعزية سيف الدولة  
ببعض اقربائه واعزائه . ولما توفيت أم سيف الدولة رثاها المتنبي بقصيدة استهلها  
بالحديث عن الموت وقبض ارواح الاحياء ثم تحدث بعد ذلك عن الدهر  
وغدومه بالاصدقاء واطهر حزنه لفقد ام سيف الدولة فقال ( ١ ) :

نعد المشرفة والموالي	وتقتلنا المنون بلا قتال
ونرتبط السوابق مقبلات	وما ينجين من خيب الليالي
ومن لم يعشق الدنيا قديما ؟	ولكن لا سبيل الى الوصال
نصيبك في حياتك من هيب	نصيبك في منامك من خيال
رمانى الدهر بالارزاء حتى	فوادى في غشا من نبال
فصرت اذا اصابني سهام	تكسرت النصال على النصال
وهذا اول الناعين طرا	لاول ميتة في ذا الجلال

كأن الموت لم يفجع بنفس  
صلاة الله خالقنا حنوط  
على المدفون قبل التراب صونا  
فان له بيطن الارض شخصا  
وما اُخذ يخلد في البرايا  
ولم يخطر لمخلوق ييال  
على الوجه المكّن بالجمال  
وقبل اللحد في كرم الخلال  
جديدا ذكرناه وهو بالي  
بل الدنيا توؤول الى زوال

ولقد اخذ النقاد عليه وصف وجه الاميرة بالجمال (١) ، لانه يرثي  
والدة الامير الحمداني واعادوا ذلك الى فساد في الحلل وسوء في ادب  
النفوس واخذ عليه الدكتور طه حسين ذكره البلى والانحلال لجسم الاميرة  
وهو يعزى بنها ابنها (٢) - ويستمر المتنبي في تعزية سيف الدولة ، ويطلب  
منه الصبر على المصائب ويواسيه بان امه ماتت ميتة كريمة تتمناها كل  
انثى لانها رأت مجد ابنها وعاشت حياة كريمة لم تكدرها خلالها  
منغصات الدهر فقال :

اطاب النفس انك مت موتا  
وزلت ولم ترى يوما كريها  
رواق العز فوقك مسبطر  
سقى مشواك غاد في الخوادي  
لصاحيه على الاجداث حفش  
تمنته البواقي والخواني  
يسر الروح فيه بالزوال  
وملك على ابنك في كمال  
نظير نوال كوك في النوال  
كأيدي الخيل ابصرت المخالي

ويظهر الشاعر بعد ذلك تفجعه والمه لفقد الاميرة فيقول :

أسائل عنك بعدك كل مجد  
يمر بقبرك العافي فيكي  
وما اهداك للجروي عليه  
وما عهدى بمجد عنك خالي  
ومشغله البكاء عن السؤال  
لو انك تقدرين على فعال

-----

-----

(١) الشعالبي : يتيمة الدهر ج ١ ص ١٦٨ •

(٢) حسين ، الدكتور طه : مع المتنبي القاهرة سنة ١٩٣٦ ج ٢ ص ٣٨٤ •

نزلت على الكراهة في مكان      بعدت عن النعامي والشمال  
تحجب عنك راحة الخزامى      وتمنع عنك انداء الطلال  
بعضر يدار كل ساكنها غريب      طويل الهجر منبت الحبال

ثم يمدح ابنها سيف الدولة بعد ان يصنفها بالحصانة والصدق ، ويعود بعد  
هذا المدح الى استكمال الرثاء وصف الجنائز وتصوير حال الجوارى وقد انسكت الدمع  
من مآقيهن فيقول :

حصان مثل ماء المزن فيه      كتوم السرطادة الفصال  
يعملها نطاسي الشكايا      وواحد ها نطاسي المعالي  
اذا وصفوا له داءً بشعر      سقا أسنة الأسل الطوالي  
وليس كالأثاث ولا اللواني      تعدلها القيود من الحبال  
ولا من في جنازتها تجار      يكون وداعها فاض النعال  
منى الأثر حولها حفاة      كأن المرو من زف الرثال  
وابرزت الخدور مخبات      يضعن النقش أمكنة النوالي  
أنتهين المصيبة غافلات      قدم الحزن في دمع الدلال

ويذكر المتنبي بعد ذلك ان أم سيف الدولة خير من كثير من الرجال ،  
فالشمس وان كانت انش فهي ولا شك افضل من القمر وان كان مذكرا ، فقال :

ولو كان النساء كمن فقدنا      لفضلت النساء على الرجال  
وما التأنيت لاسم الشمع عيبا      ولا التذكير فخرا للرجال  
يدفن بعضنا بعضا وتمشي      اواخرنا على هام الأوالي  
وكم عين مقبلة النواحي      كحيل بالجنادل والرمال

وينتهي ابرو الطيب قصيدته هذه بمدح سيف الدولة فيقول :



كانك مستقيم في محال  
فإن المسك بعض دم الغزال

رايتك في الذين ارى ملوكا  
فان تغق الانام وانت منهم

وقال المتنبي في رثاء طفل صغير لسيف الدولة :

وهذا الذي <sup>يضى</sup> يعني كذاك الذي يبلي

بنا منك فوق الرمل ما بك في الرمل

قال في رثاء يماك غلام سيف الدولة :

لاأخذ من كل حالاته بنصيب

لا يحزن الله الامير فاني

وعزى المتنبي سيف الدولة بوفاة اخته الصغرى فقال :

تكن الافضل الاعز الاجيلا

ان يكن صبر ذى الرزئة فضلا

ودلل الاستاذ محمود محمد شاكر في بحثه عن المتنبي ببعض ابيات من هذه القصيدة ليثبت ما ذهب اليه من حب المتنبي لخولة اخت سيف الدولة الكبرى (١) -

جعل القسم نفسه فيه عدلا  
درن سرى عن الفؤاد وولى  
وتبيت ان جارك اعلا

قاسمتك المنون شخصين جورا  
فاذا قمت ما اخذن بما غا  
وتيقنت ان حظك اوفى

ويمتطرد الاستاذ شاكر فيقول : فابو الطيب يطلب من سيف الدولة ان يقيس اخته الصغرى التي ماتت الى اخته الكبرى التي بقيت لهما وان هو فعل ذلك لوجد فيما يفعل سلوى له وتسليية لهم عن قلبه واذا ما قاس سيف

الدولة هذين الامرين " ليتقن " أن حظه في بقاء الكبرى أو في من حظ الموت في اخذ الصغرى . فكيف يكون المتني على يقين من ذلك الا وهو يعرف الكبرى معرفة افضل به الى مثل هذا اليقين ثم يورد قول المتني :

خطه للحمام ليس لها رد      وان كانت السماة ثكلى  
فاذا لم تجد من الناس كفؤاً      ذات خذر ارادت الموت بعلا

ويتعجب الامتاز شاكر من ان يكون ذلك عزاء فان ابا الطيب قد قدم الكبرى في المنزلة ، فكان الاولى ان تموت الكبرى اذ انها ولا شك افضل عند ابي الطيب من الصغرى التي لم تجد في الناس من يكون كفؤاً لها ليتزوجها فاختارت الموت لها بعلا ، وهذا هو التناقض الذي وقع فيه المتني . ولقد اقترنت في عينيه صورة الكبرى بصورة الصغرى فلم يجرعلى منن ونهج وذلك لاضطراب نفسه الذي اظهرما في قلبه وكشف عنه حين ذكر الكبرى فقال : " فاذا قست ..... "

ومعزى ابو فراس سيف الدولة بموت اخته الصغرى بقوله انه لا بد في هذه الدنيا من فاقد وفقيد فمن الخير ان يكون سيف الدولة معزى لا معزى به اذا لم يكن بدا من الموت ، وكان الاولى بمن اخذ على المتني ذكر الجمال في رثاء ام سيف الدولة ان يذكر انه من قلة الذوق تعزية انسان بمثل ما قال ابو فراس (١) :

قولا لهذا السيد الماجد      قول حزين مثله فاقد :  
هيهات ! ما في الناس من خالد      لا بد من فقد ومن فاقد  
كن المعزى ، لا المعزى به      ان كان لا بد من الواحد

(١) ابو فراس : الديوان ، طبعة بيروت ص ٧٦ .

وبعد انصراف المتني عن سيف الدولة ومخادرة الشاعر مصر الى  
العراق اتى من ينعي خولة له فرشاها بقصيدة اظهرت ما في نفسه من  
حب لها فقال :

يا اخت خير اخ يا بنت خير اب  
اجل قدرك الاتسمى موهبة  
لا يملك الطرب المحزون منطقه  
فرت فيه بامالي الى الكذب  
شرقت بالدمع حتى كاد يشرق بي

فجعت المنية ابا الطيب بخولة ففاضت عاطفته ولم يستطع كبس ~~بوع~~  
جماحها ، فذكر انه قضى الليل ساهرا حزنا على فقد خولة ويتسائل ،  
كيف يكون ليل سيف الدولة اذا كان ليله طويلا ؟ ثم يقسم بحرمة الفيدة  
بانته سهر الليل ذارفا الدموع حزنا على فقدتها فيقول :

ارى العراق طويل الليل مذ نعت  
يظن ان فؤادي غير ملتهب  
بلى وحرمة من كانت مراعية  
ومن مضت غير موروثة خلائها  
وهما في العلى والمجد ناشئة  
يملن حين تحيا حسن مسميا

فكيف ليل فتى الفتيان في حلب ؟  
وان دمع جفوني غير منسكب  
لحرمة المجد والقصا والادب  
وان مضت يدها موروثه النشب  
وهم اترابها في اللهو واللعب  
وليس يعلم الا الله بالفسنب

فليت طالعة الشمسين غائبة  
وليت عين التي آب النهار بها

ولا ذكرت جميلا من صنائعها  
الا بكيت ولا ود بلا سبب

ونحن اذا اعدنا النظر في هذه الابيات وجدنا فيها ما كان  
في نفس المتني وقلبه من حب وعاطفة جياشة انطلقت قوية ملء حنجرتة .  
وكان حب المتني لخولة سببا في تعريض حياته للقتل وتأمري العشاء  
عليه .

ودلل الأستاذ شاكراً على حب المتنبى لخولة بعدة أبيات له فيها اشارات

الى ما ذهب اليه منها :

وما صباة مشتاق على أمل من اللقا كمشاق بلا أمل

وينتقل بعد ذلك الى القول بأن أهل خولة واقفون له بالمرصال ، قال :

منى ترر قوم من تهوى زيارتها لا يتحفوك بغير البيض والاسل (١)

ومضى الأستاذ شاكراً ويرى ان اصول حب المتنبى لخولة بقيت نامية في قلبه حتى

بعد مغادرته لسيف الدولة فقال : " ولكنه حين فارق سيف الدولة ودخل مصر

ظهرت في شعره رقة لا عهد له بها ، ولا تكون العلة في هذه الرقة التي ظهرت فيه

بعد ان جاوز الاربعين ، واستحكم واستمر مريره واستوت طبيعته على طريقة من القوة

والشدد والاسمساك من اجل فراق سيف الدولة وحسب ، فان ذلك الفراق بين ( الرجلين )

لا يعمل في تغيير الطبيعة المتأصلة كل هذا العمل ، وليس لشيء من العمل في تغيير

الطباع وتبدلها مثل ما للحب في القدرة على ذلك . وكان ابو الطيب حين فارق

سيف الدولة ، يثلث قلبه الى تلك التي خلفها من ورائه وخلف عند ها قلبه ورواطفه ، فأثار

ذلك في قلبه ذكرى وآلام جعلت الدنيا تضيق بها نفسه وتضجر منها ، فكان أول ما لقي

كانورا لقيه بالبيت الذي عدّه الأديبا والنقاد من سوء أدب المتنبى ومن جفائه وغلظته ،

وليس الأمر على ذلك فان الرجل لم يكن جانيا ولا غليظا ولا سيء الأدب ولا ضعيفا

ضعيف البيان ، ولكنه كان كما حد ثناك مرهف الحس ، تغلبه العاطفة على امره ، فلا يملك

لبيانه تصريفا ، وتصرف عاطفته هذا البيان كما شاءت والعاطفة لا تعرف امرا ولا كبيرا ولا تفرق

بين لقا الملوك ولقا الصعاليك ، فلذلك رمى وجه كانور بهذا ،

---

(١) شاكراً ، المفتطف ، العدد السابق ص ١٢٦

كفى بك داء ان ترى الموت شافيا      وحسب المنايا ان يكن امانيا  
تغنيها لما تمنيت ان ترى      صديق فاعيا او عدوا مداحيا

" ثم يمضي ابو الطيب على طريقته حتى يرق رقة ، ولو انت قلبت  
ديوانه كله لم تجد لها شيئا ولا مثيلا ، وذلك قوله في خطاب  
قلبه ، ذلك القلب الذي حطم فيه فراق خولة وهذا بنيان رجولته  
وقوته ؟

حببتك قلبي ، قبل حبك من نأى      وقد كان غدارا فكأن انت وافي  
واعلم ان البين يشيك بعد ،      فلست فؤادي ان رايتك شاكيا  
فان دموع العين غدر برها      اذا كن اثر الغادرين جواريا  
اقل اشتياقا اليها القلب ، ربما      رايتك تصفي الود من ليس صافيا  
خلقت الوفا لو رجعت الى الصبا      لفارقت شيبي موجع القلب باكيا

" ..... فليس في الابيات حبه لسيف الدولة وحسب بل فيه نفحات من  
لوعة الحب الذي يستولي على القلب ، حب المرأة التي يهجرها الرجل وهو يعلم  
يقينا انه لا يهجرها وانما يهاجر قلبه الذي بين جنبيه ومعانده ويراغمه (١)"

وهناك ابيات اخرى للمتنبي ، **اورها** الاستاذ شاعر ليدل على حب  
المتنبي لخولة ، هي قوله (٢) :

اود من الايام ما لا توده      واشكو اليها " بيننا " وهي جنده  
يباعدن حبا يجتمعن ووصله      فكيف بحب يجتمعن وحده ؟  
ابنى خلق الدنيا حبيبا مديمه      فما طلي منها حبيبا ترده

(١) شاعر : المقتطف ص ١٣٧ - ٢٢٩ .

(٢) " " ص ١٣٩ - ١٤٠ .

وتأبى الطباع على الناقل

يراد من القلب نسيانكم

وكم باك باجفان ضيفم  
باجن من رب الحسام المصم  
عذرت ولكن من حبيب معمم  
هوى كاسر كفي وقوس واسهمي

رحلت فكم باك باجفان شاورفا علي  
وما ربة القرط المليح فكانه  
فلو كان ما بي من حبيب مقنع  
رمي واتقى رمي ومن دون ما اتقى

والظاهر ان خولة كانت كاخيتها سيدة السيدات فابو فراس حين يبعث الى  
سيف الدولة معزياً يظهر ما كان يكنه لها من حب، ويقول انه يشترك  
الامير في المصاب الذي لم يستطع صبراً عليه، فهو مؤرق الجانبين  
للحادث الجلل . فيقول : (١)

جل المصاب عن التعنيف والفند  
عن خير مفتقد ، يا خير مفتقد  
منها الجفون فما تسخور على احد  
وقد لجأت الى صبر فلم اجد  
هي المواساة في قرب وفي بعد  
كما شركتك في التعماء والرغد  
واستريح الى صبر بلا مدد  
وقد عرفت الذي تلقاه من كمد  
علما بانك موقوف على المسهد  
اعانك الله بالتسليم والجلد  
يفديك بالنفس والاهلين والسولد

اوصيك بالحزن لا اوصيك بالجلد  
اني اجلك ان تكفي بتعزية  
هي الرزية ان ضنت بما ملكت  
بي مثل ما بك من حزن ومن جزع  
لم ينتقضي بعدى عنك من حزن  
لا شركتك في اللاواء ان طرقت  
ابكي بدمع له من حموتي مدد  
ولا اسوغ نفمي فرحة ابدا  
وامنع النوم عيني ان يلم بها  
يا مفردا بات يبكي ولا معين له  
هذا الاسير المبقى لا فداء له

يا عمر الله سيف الدين مختبئا  
من كان من كل مفقود لنا بدلا  
بكى الرجال وسيف الدين مبتسم

فكل حادثة يري بها جمل  
فليس منه على حالاته بدل  
حتى عن ابنك تعطي الصبر يا جبل

ای اصطبار لیس بالزائل ؟      وای دمع لیس بالهامل ؟  
 أنا فجعنا بفتی . وائل      لما فجعنا بابی وائل

أبَا العشائر لا محلك دارس  
بين الضلوع ، ولا مكانك نازح  
انني لاعلم بعد موتك انه  
ما مر للأمرء يوماً صالح

ولعل أبا فراس شعر بدنو أجله فقد أصبح يوم مقتله كئيباً حزناً ،  
وكان قد قلق في تلك الليلة قلقاً عظيماً . هوأته ابنته كذلك فحزنت  
حزناً كئيباً ، فبكت لعظم الحال التي صار عليها ، فانشأ يقول ورجله في

• ٦٩ ص (٢)

الركاب والخادم يضبط السير عليها وكأنه كان ينعي نفسه وان لم يقصد ما قال (١) :

كل الانام الى ذهاب	ابنتي لا تجربي
للجليل من المصاب	ابنتي صبرا جميلا (٣)
من خلف سترك والحجاب	نوحى علي بحسرة
وعيت عن رد الجواب	قولي اذا ناديتني
س لم يمتع بالشباب	زين الشباب ابو فرا

ولما توفي سيف الدولة رثاه البغاة بمقطوعة اوردها الهملاني صاحب التكملة  
يقول البغاة (٢) :

عن اى حادثة يعزى السدين	خلف المدائح بعدك التائبين
يهن العقول ولا نراه يكون	ما كان في الدنيا كيومك مشهد
جلل لديه وكل خطب دون	لم يبق محذورا فكل مصيبة
فحراكه منزعجت عنه سكون	هب للهدى من بعد فقدك سلوة
فيها المنسرب الدموع معين	ابقى نعيك في القبائل لوعة
كانت عليه به الخطوب تهون	ولي بسيف الدولة العسرا لذي

(١) ابو فراس : الديوان تحقيق الدهان ج ٢ ص ٤٧

(٢) الهملاني : التكملة - مجلة المشرق ، كانون ثاني - شباط سنة ١٩٥٨ ص ٧٥٠





في ذلك مادحا سيف الدولة (١) :

وتبين طريفات المكام والتلدد	فتى قسم الايام بين سيوفه
وبيض يوما بالفضايل والمجد	فسود يوما بالعجاج وبالقصا
واحجابه في الزحف عن فارس فرد	ترى ابن طنج في ثلاثين جحفا
اذا كرا القى البيض حدا على حد	وكان لسيف الدولة العزم عادة
حديث المعالي قصه قصص الجهد	أيا سائلي عن يومه اسمع فانه
وقد نهدت من صدر غير الشرى نهدي	وقالت له الهيجا في صدر سيفه
وطرفك من رأى وسيفك من حقد	كانك من ودرك من تقى
واسقيتهم ماء على قصب الهند	فاظلماتهم والماء معترض لهم
نفودرت العقبي لذى الحق لا الحشد	الم تر فرعوناً وموسى تنازعاً
لتغريقه كالبحر وامدده بالمد	فغرقه في البحر فاجعل فوقهما
بجودك فاض البحر من ذلك التمد	فلو جئت ثمدا ناضبا ورفدته

#### ١ - الحرب ضد القرمطي :

ويذكر كزار عن مخطوط لابن ظفر ان سيف الدولة ظفر بالقرمطي الملقب بالهادى سنة ٣٣٦ هـ - ٩٤٦ م - واستنقذ ابا وائل تغلب بن داود بن حمدان الذى كان يتولى حمص لابن عمه سيف الدولة ، وخرج ابو وائل فيسي طلب اعراب عاثوا في عمله واعتصموا بقرية يقال لها الحدث واتفق خروج القرمطي صاحب الخال ومعه قبائل طي ، وكلب فلقي ابا وائل واسره ، وورد الخبر الى سيف الدولة في حلب فسار الى القرمطي والتقى به على ماء يقال له امهين على نحو خمسين ميلا من حمص ، وهزمه واخفر رأسه واستنقذ ابا وائل كما هدم قرية الحدث واغمر

(١) الهمداني - المصدر السابق ص ٤٠٦

اهلها خمسة الاف دينار وكانت غيبته تسعة ايام . وفي ذلك يقول المتنبي قصيدته التي مطلعها (١) :

الام طماعية العـاذل ولا رأى في الحب للعاقل

واشار ابو فراس الى ذلك في قصيدته "لعل خيال العامرية زائر" فقال (٢) :

وأجلى الى "الجولان" "كلبا" و"ظيئا" واقفر "عجب" منهم "وأشاعر  
وباتت "نزار" يقسم الشام بينهم كرم المحيا لودعي مغاور  
علاء "كليب" للضباب "علاء" ولهاضر "طي" "للجعافر" حاضرا  
وانقذ من مس الحديد وثقله "ابا وائل" ، والد هر اجدع صاغر  
وآب ورأس "القرمطي" امامه له جسد من الكعب الرمح ضامر  
وقد يكبر الخطب اليسير وتجتني اكابر قوم ما جناه الا صاغر  
كما اهلكت "كلبا" غواة جلائها ومع "كلابا" ما جنته "الجعافر"  
شرينا ولعننا بالسيوف نفوسهم ونحن اناس بالسيوف نتاجر

ويذكر بعد ذلك ان سيف الدولة لم يتعرض للنساء الخارجين عليه ، لانهم من عرضه

ولا يجوز ان يكشف سترأمن استارهن ، وقد قدرت النساء لسيف الدولة صنيعه هذا فاعتبرن

انفسهن عبيدا له .

وصنا نساء نحن اولى بصونهن رجعن ولم تكشف لهن سـتائر  
ينادينه والعيس تزجي كأنهن على شرفات الروم ، نخل مواقر  
"الا ان من ابقيت ، يا خير مفعم عبيدك ما ناح الحمام السواجر ،  
فترجوك احسانا ، ونخشاك صولة لانك جبار وانك جابـر"

(١) كقار النخب ص ٢٢٠ - ٢٢٢

(٢) ابو فراس الديوان ج ٢ ص ١١٩ - ١٢٠

الحرب ضد بني كلاب :

وفي سنة ٣٤٣ احدثت بنو كلاب حدثا بنواحي بالس وسار سيف الدولة خلفهم ومعه  
ابو الطيب ، فادركهم بعد ليل بين مائين يعرفان بالغباريات والخرارات من جبل البشسر ،  
فاوقع بهم ليلا فقتل وملك الحرم وابقى واحسن الى الحرم <sup>(١)</sup> وفي ذلك يقول المتنبي <sup>(٢)</sup> :

بغيرك راعيا عبث الذئباب	وبغيرك صارما ثلم الضراب
وتملك انفس الثقلين طرا	فكيف تحوز انفسها كلاب
وما تركوك معصية ولكن	يعاف الورد والماء الشراب

ثم يصف المتنبي بعد ذلك خروج سيف الدولة ولحقه بالخارجين في البادية  
واقتفائه آثارهم فيقول :

طلبتهم على الامواه حستى	تخوف ان تفتشه السحاب
يهز الجيش حولك جانبيه	كما نفخت جناحيها العقاب
وتسأل عنهم الفلوات حستى	اجابك بعضها وهم الجواب

ثم يذكر المتنبي بعد ذلك ان سيف الدولة حفظ لنساء العرب كرامتهن فحافظ  
عليهن ورفق بهن واكرمهن :

فقاتل عن حريمهم وفروا	ندى كفيك والنسب القرباب
وحفظك فيهم سلفى معدد	وانهم العشائر والصحاب
تكلف عنهم صم العوالي	وقد شرقت بظعنهم الشهاب
واسقطت الاجنة في الولايا	وأجهضت الحوافل والسقاب
وعمر وفي ميامنهم عمود	وكعب رفي مياسرهم كعاب
.....	.....

(١) كزار : النخب ص ٢٢٤

(٢) المتنبي : الديوان تحقيق عزام ص

تخاذلت الجماجم والرقاب	إذا ما سرت في اثار قوم
عليهن القلائد والمصاب	فعدن كما اخذن مكرمات
واين من الذي تولى الثواب	يثبنك بالذي اوليت شكرا
ولا في صونهم لديك عاب	وليس مصبرهن اليك شيئا
إذا ابصرن غرتك اغصرتاب	وليس في فقد هن بني كلاب

وبعد ذلك يتذكر المتنبي انه عربي ، ويجب عليه ان يعتذر عن هذه القبائل بل ان

يدافع عنها وينصب من نفسه محاميا عن بني كلاب فيقول :

تصيبهم فيؤلمك المصاب	وكيف يتم بأسك في اناس
فان الفرق بالجاني عتاب	ترفق ايها المولى عليهم
إذا تدعو لحادثة اجابوا	وانهم عبيدك حيث كانوا
باول معشر خطئوا فتابوا	وعين المخطئين هم وليسوا
وهجر حياتهم لهم عقاب	وانت حياتهم غضبت عليهم
.....	.....
فحل بغير جاره العذاب	وجرم جره سفها قوم
نقد يرجو "عليا" من يهاب	فان هابوا بجرمهم "عليا"
فمنه جلود قيس والثياب	وان يك سيف دولة غير قيئس
وفي ايامه كثروا وطابوا	وتحت ربابه نبثوا واثوا
وذل لهم من العرب الصعاب	وتحت لوائه ضربوا الاعادي
ثناء عن شمسهم ضباب	ولو غير الامير غزا "كلابا"

ثم يعود المتنبي الى وصف غزوة سيف الدولة لبني كلاب وكيف ان جيشه الكبير يد

القبيلة وجعل رجالهم بعد الغزوة كالنساء فقال :

له في البر خلفهم عباب	رميتهم ببحر من حد يد
-----------------------	----------------------

فمساهم وسطهم حريـر  
وصبحهم وسطهم تـراب  
ومن في كفه منهم قنـاة  
كمن في كفه منهم خـضاب

وينهي المتنبي قصيدته هذه بطلب الصفح عن هذه القليلة :

كذا فليسر من طلب الاعادي  
ومثل سراك فليكن الطـلاب

اما ابو فراس فنظم في هذه الغزوة قصيدته البائية . قال ابن خالويه (١) : قال الامير ابو فراس ، خرج سيف الدولة في طلب بني كلاب ، ومن انضاف اليها فلحق حلة بني نمير ورئيسها معاث ، فاحتوى عليها ، فخرجت اليه ، ابنة معاث مسفرة حافية كالشمس الطالعة وانكبت على مسابر الامير سيف الدولة نصفح لها عن الحلقة وامر برد ما أخذ " فكتب اليه ابو فراس يداعبا بقوله (٢) :

وما انس لا أنس يوم المغار	محجة لفظتها الحجب
دعاك ذووها بسوء الجوار	لما لا تريد وما لا تحب
فوافتك ترفل في مرطها	وقد رأيت الموت من عن كتب
وقد خلط الخوف لما طلعه	تدل الجمال بذل الرغبة
تسارع في الخطولا خفة	وتهتز في المشي لا من طرب
فلما بدت لك فوق البيوت	بدا لك منهن جيش لجب
فكنت اخاهن اذ لا اخ	وكتت اباهن اذ ليس اب
وما زلت مذ كنت تولي الجميل	وتحيي الحرم ، وترعى النسب
وتغضب حتى اذا ما ملكت	اطعت الرضا وعصيت الغضب
فولين عنك يفد ينهـا	ويرقعن من ذيلها ما انسحب
ينادين بين خلال البيوت (م)	" لا يقطع الله نسل العرب "

(١) ابو فراس : الديوان ج ٢ ص ١٧

(٢) " " " " ج ٢ ص ١٧ - ١٨

أمرت - وأنت المطاع الكريم - ببذل الأمان ورد السلب  
وقد رحن من مهجات القلوب بلأغر غنم وأغلى نشوب  
فان هن يا بن السراة الكرام رددن القلوب رددنا النهب

### ٣ - الحرب ضد عامر وعقيل وغيرهما من القبائل العربية

وفي سنة ٣٤٢هـ ٩٥٣م تجمعت عامر بن صعصعة عقيل وقشير والعجلان وأولاد كعب  
ابن ربيعة بن عامر بمرج سلميه وكلاب بن ربيعة بن عامر ومن معها بموقع الزرقاء بين خناصره وسورية  
وبحثوا فيما يلحقهم من سيف الدولة ، واتفقوا على مشاغلتهم من كل ناحية ، واتصل به ما اتفقوا  
عليه ، وكان معهم بعض قواد من كعب كانوا في جيش سيف الدولة ، وزحفوا على أعماله فقتلوا  
واليه على زعرايا ووالي قنسرين ، وانشغل سيف الدولة عنهم بوفود من طرسوس ومعهم رسول ملك  
الروم يطلبون منه الهدنة والغداة ، وتأخرت أيام مسيرهم ، مما زاد في طمع القبائل النائية  
فارسل سيف الدولة طليعة من طلائعه الى قنسرين ، ثم سار هو بعد ذلك الى قرية تسمى الراموسة  
على ميلين من حلب ، ثم توجه بعد ذلك الى بني كلاب فلتقاء شيوخها طالبيين منه قبول تسليمهم  
فقبل ، وانضمت فرسانهم اليه وساروا معه الى سلميه حيث التقى بكعب ومن تجمع معها ، وتقاتلوا  
لبضع ساعات كانت نتيجتها النصر الموقر لسيف الدولة ، وفر آل المهنا ووجوه عقيل وقوادها  
فلحق بهم في تدمر ، وكانوا قد قصدوا طريق السماوة قبله ويمينا فلحق بهم وقتل واسر وحسرى  
المال كما صفع عما ملكه من الحرم وقتل عائدا لما وجد هم يموتون من العطش ، وعاد سيف الدولة  
الى معسكره ظافرا واقام بتدمر يومين ثم توجه الى أرك فالسحنة ، فعرض ، فالرصافة فالرقة ، ثم  
قدمت اليه وفود نمير مستعيذة بعفوه فعفا عنهم ، وعاد بعد ذلك الى حلب حيث وصلها لست  
خلون من شهر ربيع الاول<sup>(١)</sup> . فقال ابو الطيب مادحا

تذكرت ما بين العذيب وسارق مجر عوالينا ومجرى السوابق

وقال ابو الطيب كذلك يصف ايقاع سيف الدولة بهذه القبائل ، ولم يكن ابو الطيب مع سيف الدولة في هذه المعركة فشرحها له فقال مادحا (١) ،

وطوال قنا تطاعنها قصار	وقطرك في ندى ورنى يحار
وفيك اذا جنى الجاني أناء	تظن كرامة وهي احتقار
واخذ للحواضر والبوادى	بضبط لم تعود نزار
تشبه شعير الوحش اناء	وتنكره فيعروها نزار

اما ابو فراس فكان أحد قادة جيش سيف الدولة في هذه المعركة ، فقال في وصفها قصيدة بائية تعتبر سجلا صادقا لحوادثها . بدأ ابو فراس قصيدته هذه بالبكاء على الطلول ، جريا على عادة الشعراء القدامى ، ثم ذكر بعد ذلك انه بدأ يجتاز مرحلة الشباب بدليل الشيب الذي بدأ يلوح ، ولكن هذا الشيب ليس من كبر ولكنه من اصدقاء واحبائه فقال (٢) ،

ابت عبراته الا انسكابا	ونار ضلوعه الا التهابا
ومن حق الطلول علي الا	اغب من الدموع لها سحابا
وما قصرت في تسأل ربي	ولكني سالت فما أجابا
رأيت الشيب لاح فقلت : أهلا	وددعت الغواية والشبابا
وما ان شبت من كبر ، ولكن	رأيت من الاحبة ما أشابا
بعثن من الهمم الي ركابا	وصبرن الصدود لها ركابا

بعد هذه المقدمة اللطيفة ينتقل ابو فراس الى ناحية اخرى ، برزت جليلة في شعره أعني بها الفخر ، فهو يفخر بانه من عائلة الحمدانيين التي اذا ما قورنت ببقية الناس لكانت الرأس وكان الناس بالنسبة اليها ذنابا ، ويصف بعد ذلك بأس الامير سيف الدولة بل بأس الاسرة الحمدانية فيقول :

(١) كنار : النخب ص ٢٣٣

(٢) ابو فراس : الديوان ج ٢ ص ١٢ - ١٦



ألم ترنا اعز الناس جـارا  
لنا الجبل المظل على نزار  
تفضلنا الانام ولا نحاش  
وقد علمت ربيعة بل نزار  
فلما ان طغت سفها كعب  
منحناها الرغائب غير أنـا  
وامنعهم ، وامرعهم ، جنابا ؟  
حللنا النجد منه والهضابا  
ونوصف بالجميل ولا نحابى  
بأنا الرأس والناس الذنابى  
فتحنا بيننا للحرب بابا  
اذا شئنا منحناها الحرابا

اما اذا تار سيف الدولة فان الامراء الحمدانيين يثورون جميعا كالا سود اذا ما  
هيجت ، فالحمدانيون اسود وسيف ورماح ، بل هم السهام تصل الى هدفها الذى تقصده ،

ولما تار سيف الدين ترنا  
استنه اذا لاقى طعاننا  
دعانا والاسنة مشرعات -  
صنائع فاق صانعها فضاقت  
وكنا كالسهم اذا اصابنا  
كما هيجت آسادا غضابا  
صوارمه اذا لاقى ضرابا  
فكنا عند دعوته الجوابا  
وغرس طاب غارسه فطابا  
مراميها فراميها اصابا

هذه السهام كانت تنتقل من بلد الى اخر فهي تارة في الجبابة واخرى في معان

والصبيبة والقباب والبدية بل انها تقطع المواقع قطعاً ،

قطعن الى " الجبابة " بنا " معانا " وتكن الصبيبة " و " القبابا " و  
وجاوزن " البدية " صاديات  
عبرن " بماسح " والليل طفيل  
فما شعروا بها الا ثباتا  
تناهبن الثناء بصبر يـوم  
وتكن الصبيبة " و " القبابا " و  
يلاحظن السراب ولا سرابا  
وجئن الى " سلمية " حين شابا  
دوين الشد تصطخب اصطخابا  
به الارواح الشد تصطخب اصطخابا

ثم ينتقل بعد ذلك الى ذكر اجتماع بين عقيل والمهنا ولحاق سيف الدولة بهم الى تدمر

وسلوكلهم طريق السماوة ومحارثهم فيقول :

تنادوا فانبهرت من كل فج  
وقاد "ندي بن جعفر" من "عقيل"  
فما كانوا لنا الا أسارى  
كان "ندي بن جعفر" قاد منهم  
وشدوا رأيهم "ببني قريـع"  
ولما اشتدت الهيجا، كنا  
وأمنع جانبنا وأعز جـارا  
سقيناه بالرماح بني "قشير"  
وسقناهم الى "الحبران" سوقا  
ونكبنا "الفرقلس" لم نـرد  
وملن عن "العوير" وسرن حتى  
وامطرن "الجباة" بمرجحن  
وجزن "الصحصحان" يخن وخدا

سوابق ينتحين لنا انتحابا  
شعوبا قد أسلن به الشعابا  
وما كانت لنا الا نهابا  
هدايا لم يرغ عنها ثوابا  
فخابوا - لا أبا لهم - وخابا  
أشد مخالبا وأحد نابا  
وأوفى ذمة وأقل عابا  
بيبطن "الغنثر" السم المذابا  
كما نـساق آبالا صعابا  
كان بنا عن الماء اجتنابا  
وردن عيون "تدمر" والجبابا  
ولكن ، بالطعان المرصابا  
ويجتبن الغلاة بنا اجتنابا

أما في السماوة فقد جرت المعركة الفاصلة بين سيف الدولة والثوار ، فقد سقط في  
هذه المعركة عدد كبير من القتلى ، كانوا غداً للسباع والطيور الجوارح ، وقد نـدبت النساء  
هو ، لا القتلى وفي ذلك يقول :

قرينا "بالسماوة" من "عقيل"  
و "بالصباح" و "الصباح" عبد  
تركنا في بيوت بني "المهنا"  
شفت فيها "بنو بكر" حقودا

سباع الارض والطيور السغابا  
قتلنا من لبابهم اللبابا  
نوادب ينتحين بها انتحابا  
وغادرت "الضباب" بها ضبابا

أما القبائل الباقية فكان نصيبها ، الابعاد والنفي لقسم منها ، والتقريب والصدقة لقسم

آخر فيقول :

وأبعدنا لسوء الفعل "كعبا"  
 وشردنا الى "الجولان" "طيئا"  
 سحب ما أناخ على "عقيل"  
 وأدنيننا لطاعتها "كلابا"  
 وجنبنا "سماوتها" جنابا  
 وجر على جوارهم ذنابا

أما نمير فان الجيش لحق بها بقيادة سيف الدولة ، وكان الجيش يطيع سيف الدولة ويلبي

جميع اوامره . فقال :

وملنا بالخيول الى "نمير"  
 أمام مشيخ سمح بنفسه  
 وماضقت مذاهبه فلكن  
 ويأمرنا فنكفيه الاعساد  
 تجاذبنا اغنتها جذابا  
 يعز على العشرة ان يصابا  
 يهاب من الحمية أن يهابا  
 همام لو يشاء كفى ونابا

فلما رأَت نمير من قوة سيف الدولة ما رأَت وجدت أن توفد الوفود طالبة منه الصغ والعفو

نصفح وعفا :

فلما أيقنوا أن لا غيات  
 وعاد الى الجميل لهم فعادوا  
 أمر عليهم خوفا وأمنيا  
 أحلهم الجزيرة بعد ياس  
 ديارهم انتزعناها اقتسارا  
 ولو شئنا حميناها البوادى  
 دعوه للمغوثه فاستجابا  
 وقد مدوا لصارمه الرقابا  
 أذاقهم به أريا وصابا  
 أخو حلم اذا ملك العقابا  
 وأرضهم اغتصبناها اغتصابا  
 كما تحمي اسود الغاب غابا

وينتهي ابو فراس قصيدته هذه بالفخر بعائلته اولا ونفسه ثانيا فيقول :

اذا ما انفذ الامراء جيشا  
 انا ابن الضاربين الهام قدما  
 الى الاعداء انفذنا كتابا  
 اذا كره المحامون الضرابا  
 بأنني كنت اثقبها شهابا  
 ألم تعلم ؟ ومثلك قال حفا :

ذكرت في مقدمة الرسالة ان نشوء الدولة الحمدانية ، وغيرها من الدويلات  
الاقليمية ، كان أمرا محنوما ، وعزوت ذلك الى اسباب عدة من أهمها ، حماية  
الاطراف - اطراف الدولة العباسية - التي عرفت في التاريخ العربي باسم الثغور .  
ولا بد لي قبل الحديث عن الروميات (شعر الحرب بين سيف الدولة  
والروم ) من استعراض وذكر الثغور ، او المراكز التي كانت تقع على الحدود ما بين  
الامبراطورية البيزنطية والدولة الحمدانية ، هذه الثغور هي : <sup>(١)</sup> طرسوس ( )  
أذنه (أضنه) ( ) ، المصيصه ( ) ، عين زربه ( )  
الكتيبة الهارونية ، بياس ( ) ، ونقابلس ( ) وهناك عواصم  
لهذه الثغور ، وسميت كذلك لأنها تعصم الثغر وتمده بالنجدة وقت الفير ، هذه  
العواصم هي : انطاكية ( ) ، الجوقة ( ) ، القورس ( )  
ويلي هذه الثغور وعن اليمين والى الجهة الشمالية الثغور المعروفة بالجزرية  
ومنها : مرعش ( ) وثغر الحدث ( ) الذى كانت تليه زطره  
( ) المشهورة ايام المعتصم ، والتي لما انقلص اليها بنى مكانها  
وبالقرب منها عدة حصون هي : طبارجي ، الحسينية ، بني المؤمن ، بني رجوان ، ويلى  
هذه الحصون ثغر كيسوم ( ) ثم حصن منصور ثم ثغر سميساط ( )  
وثغر ملطيه ( ) . وكان يقابل هذه الثغور جميعا في بلاد الروم ثغر خرشنة  
ثم ( ) وعمل الخالدية . وعواصم الثغور الجزرية دلوک ( ) ورعبان  
( ) ومنج ( ) .

ويلي هذه الثغور أيضا وعن يمينها والوجهة الشمالية الثغور البكرية

وهي شَمِيط ( ) وحاني ( ) وملكين ( ) وحصون ( )  
منها جمع ( ) وحوران والكلس ثم ثغر كَالِيْل ( )

وكان للدولة الحمدانية ثغور بحرية هي سواحل جند حمص - انطربوس

بلفياس واللاذقية وجبله والمريضة •

ولا ريب في أن دراسة تاريخ الحمدانيين لا تكون وافية الا اذا رافقتها  
دراسة للتاريخ البيزنطي في القرن العاشر الميلادي، ولعل مما يجدر ذكره ان المؤرخين  
العرب لم ينفردوا في التاريخ لسيف الدولة بل شاركهم في ذلك المؤرخون البيزنطيون  
في ذلك العصر، فقد وصف هؤلاء سيف الدولة وحروبه ورجاله وصفا دقيقا لا يقل عن  
وصف مؤرخي العرب طرانة • وليس في المكتبة لعربية كتاب وقفه صاحبه على سيف الدولة  
كما فعل شلمبرجه الذي وقف كتابه المسمى " نفقور نوقاس الامبراطور البيزنطي في  
القرن العاشر " وقرن فيه سيف الدولة بنفقور الروم وأبان بأن كلا منهما كان موازيا  
للاخر في حروبه وجلاده • وكان خصما عنيدا لا يفتأ يهدأ من الثوب على حذوه حتى يعود  
فيثور اشد ضراوة وأبعد فتكا • (١)

ويقول شلمبرجه : " ان اسم سيف الدولة العظيم يكاد يكون مذكورا في  
كل صفحة من صفحات كتابي هذا المشهور " (٢) ولقد أقام سيف الدولة لنفسه ملكا في  
شمالي سورية يضارع في نفسه وسلطانه ملك الخلافة بل لقد كانت الخلافة تسير نحو الهوة

(١) المحاسني ، زكي - شعر الحربي أدب العرب - القاهرة سنة ١٩٤٧ ص ٢١٥

(٢) المصدر السابق - ص ٢١٦

السحيفة التي بدأت تنردى فيها منذ قتل المتوكل ، وكانت حلب عاصمة الأمسارة ،  
وفيهما قصر السمن بالحلبه ، وكان اذا عاد من الغزو أمر باقامة للاعب المآدب فيه . (١)

وكان سيف الدولة يهوى أن يسمع شعراء ، يتشدونه ما جادت به قرائحهم  
وما أرحت به شياطين شعرهم ، وكان يحن أكثر ما يحن الى المتنبي الذي كان يسمعه شعرا يفيض  
عذوبة وحرية لفظ في مديح المحارب الذي لا يهدأ . (٢)

ولقد كانت جيوش سيف الدولة مؤلفة من الشبان المتحمسين المعجبين بجهاد  
الأمير في سبيل العروة والاسلام ، والذين كانوا يأتون من جميع أنحاء العالم الاسلامي  
كل ربيع ليلتحقوا بجيوشه التي كانت تضم كذلك فرقا من الفرسان اشهرها فرقة غلمان  
سيف الدولة او حرسه الخاص ، تجمع الموالي الناشئين في حماه وأكثرهم من الصبية  
المأسورين في بلاد الروم او غيرها من ديار الحرب . وزيادة على ذلك فرق من العبيد  
المأجورين وخاصة من مصر وبلاد الترك يلتحق بهم عدد من السودان والبربر مسلمين  
وغير مسلمين . (٣)

ولم يكن ترتيب الفرق في جيش سيف الدولة ليقل عن ترتيب فرق الجيش البيزنطي  
نقد كان لها العيون والجواسيس والطلائع المنمونة على السرعة والانتباه والحذر . (٤)

اما اسلحة العرب فكانت الفوس والنشاب والحراب والرماح والسيوف والفؤوس  
والعمد او المسنوفيات ، وهي من الحديد المربع البالغ طول الواحد منها الفراعسين ،

(١) المصدر السابق : شلمبرجه : نفقور فرقاس ص ١٢٤

(٢) المحاسني : شعر الحرب ص ٢١٧ ظ ٢١٨

(٣) البستاني : صحيفة البشير - العدد ٥٤٧٦ - ٣ - ٤ نيسان سنة ١٩٢٨

(٤) المصدر السابق .

وله مقبض مدور ، وكانوا يلبسون الخوذ والدروع التي كانت تغطي الصدر ، وقد تلحق بها قطع لتغطية السواعد والسيقان ، وكان للروم دروع طويلة يلبسونها ودروع طويلة للخيل تغطي اجسامها وبعض قوائمها وهي التي عناها المتنبي حين قال :

أتوك يجرون الحديد كأنما سراً بجياد ما لهم قوائم  
إذا برقوا لم تعرف البيض منهم ثيابهم من مثلها والعمائم

وفيما عدا الدروع فان اسلحة الجيشين كانت متشابهة ، وكان ثمة اختلاف في طرق نقل الذخائر ، فكان البيزنطيون ينقلونها في المركبات او على ظهور الجمال ، ولم يكن العرب يستعملون الاثواق في الحرب ، بل كانوا يقرعون الطبول الصغيرة فرعاً متقارباً متصلاً ، وكان هذا الفرع المتصل يجفل خيول الروم اذا ما التقى الجيشان كما يقول الامبراطور لاون ، وكذلك القول عن الجمال بما عليها من الشرائط والشراب المتدلية المختلفة الالوان التي كانت تسبب اضطراب خيول الروم اذا ما التقى الجيشان .

وهناك اختلاف في طريق الحصار واستعمال آلاته . فقد كان الجيش البيزنطي اكثر تقدماً فيها . كما كان الخيالة العرب أجراً في الهجوم وأسرع في الرجوع . وكان للبيزنطيين اكباش قوية . وهي آلات لهد الأسوار ومجانيق وحرارات للعرب مثلها الا ان مجانيق البيزنطيين كانت أقوى وأضخم يمكنهم بواسطتها ان يرموا صخوراً ضخمة على المحاصرين ، وكذلك كان الروم يستعملون النار اليونانية التي بقيت سرا خاصاً بهم لا يعرفه أحد غيرهم حتى القرن الثاني عشر .

وكان الجيش البيزنطي يتألف من الخزر والفرغان والمجريين والترك والأرمن والصلب أو السمنون والدلماسيون ثم المردة الذين كانوا اشجع عساكر الروم وأشرسهم . وكان الروس أشهر الخيالة ، فقد ذكرهم المتنبى مع الروم حين قال :

وكيف ترجى الروم والروس هدمها إذا الطعن أساس لها ودعائم

وكان هؤلاء الروس وثنيين يسكنون مناطق اسكندنافيا ويأتون الى بيزنطة جماعات بحرا ، وكانوا أشداء ذوي بأس شديد وكان اباطرة الروم يعقدون اتفاقات مع امرائهم تقضي بارسال عدد معين منهم الى بيزنطة سنويا حيث يدخلون الجيش بين المرتزقة . وكان لكل من هذه الشعوب لسان خاص بهم وقال المتنبى فيهم :

خميس يشرق الأرض والغرب زحفه وفي اذن الجوزة منه زمازم  
تجمع فيه كل لسان وأمة فما تفهم الحداث الا التراجم (١)

نشبت ابان حكم سيف الدولة الحداني حروب عديدة مع الروم قسمها الاستاذ فؤاد افام البستاني الى حقب أربع كانت الحرب فيها سجالا بين الفريقين . ويرى بعض المؤرخين ان انتشار الروم على العرب في عدد من المعارك لم يكن بسبب ضعف العرب فحسب بل برز أثر تجدد قوة الروم الذين اتحدوا في ايمان واحد بامجادهم العاضية واعادوا النظر في انظمتهم السياسية والاجتماعية والاقتصادية كما اعادوا تنظيم الجيش وتكوينه ليأتي بالفائدة المطلوبة . (٢)

(١) المصدر السابق والمحاسني - شعر الحرب في أدب العرب ص ٢٢١ - ٢٢٥

(٢) رستم ناسد - الروم - بيروت سنة ج م ص ٢٠



الحقب التي يمكن ان تقسم اليها فترات الحروب ما بين سيف الدولة وسين

البيزنطيين (١)

الحقبة الأولى ٩٣٨ - ٩٤٤ م ٣٢٧ - ٣٢٣ هـ

سيف الدولة امير ديار بكر يحارب في ثغور ارمينية والجزيرة

امبراطور الروم رومانوس الاول قائد جيوشه المستق قرقاس

الحرب سجل

الحقبة الثانية ٩٤٤ - ٩٥٤ م ٣٢٣ - ٣٢٣ هـ

سيف الدولة ملك حلب وعليه حماية الثغور الشامية والجزيرة

امبراطور الروم قسطنطين الرابع ، المستق بردس نوقاس يعاونه ابناه

نقفور ولاون .

انتصارات سيف الدولة باهرة

الحقبة الثالثة ٩٥٤ - ٩٦٠ م ٣٢٣ - ٣٢٩ هـ

بردس نوقاس يظل قائدا عاما ، ويعاونه لاون ونقفور ابناه ، امبراطور

الروم قسطنطين الرابع حتى سنة ٩٥٩ ثم رومانوس الثاني ٩٥٩ - ٩٦٣ .

تعود الحرب سجلا

---

(١) البستاني : البشير العدد ٥٥٦٠ ١٣ - ١٤ اذار سنة ١٩٣٨

## حقبة استعدادية للانتصارات البيزنطية المتتابعة

الحقبة الرابعة ١٦٠ - ١٦٧ م ٢٤٩ - ٢٥٧ هـ

- سيف الدولة يغالب اضطرابا داخليا في البلاد ويعاني من صحته .
- الدمستق لاون بن بردس أولا ثم نفقور اخوه ثم يوحنا أويانس بن شمشيق .
- نفقور امبراطورا سنة ٩٦٣ . فتعود القيادة لابن شمشيق . سلسلة هزائم
- يتلقاها سيف الدولة بحزم وشجاعة - حلب تسقط في يد نفقور سنة ٩٦٢ .
- ابن شمشيق يتابع خطة نفقور فيهرق سيف الدولة حتى وفاته سنة ٩٦٧ .

الحقبة الأولى : ٩٣٨ - ٩٤٤ م ، ٣٢٢ - ٣٢٣ هـ

### ١- معارك حدود ديار بكر :

- كان سيف الدولة أميرا على ديار بكر ، فوجب عليه ان يحارب الروم على حدود ارمينية وعلى حدود الجزيرة ، وكان يفقد البيزنطيين الدمستق ترقاس وامبراطور الروم رومانوس الاول .

كانت الحرب سجالا في هذه الفترة بين العرب والروم مع رجحان كفة الروم ، وقد انتصر سيف الدولة في بعض هذه المعارك فدخل حصن زيار سنة ٣٢٦ هـ ،

الا انه اضطر الى التراجع امام مئتي الف من عسكر الروم ولكنه ما لبث ان عاود الغزو  
فانتصر على الروم وأخذ كرسي المستق وسيريه . ثم خرج سيف الدولة ٣٢٨  
( ١٢١ - ١٤٠ ) من نصيبين غازيا فنزل منازلهم . يريد مدينة ~~فلق~~ قاليفلا ، وكان  
الروم قد بنوا قريبا مدينة اسموها هفجيج ، ولما علم الروم بذلك احرقوا المدينة  
التي بنوها ، وأخربوها ، وفي ذلك يقول الغامي (شاعر سيف الدولة آنشد ) :

ونادى الهوى مستصرخا فاجبته بقاليفلا اذ انت بالخيل سهما  
ولم تشد ~~هههههههه~~ ايدى بناتها ابدتهم تحت السنايك رغما  
لئن حنت عذرا والبحر خدرها لقد وجدت فيها ~~تكلولا~~ وا يما

ولما هدم الروم المدينة وهربوا رجع سيف الدولة فأقام بأرزم حتى انحسر  
الثلج فخرج الى خلاط غازيا ودخل بلد الروم بعد ان جاءه ملك ارمينية وخرزان فأحسن  
اليه وخليع عليه وتسلم منه حصونا كانت ضرا على المسلمين ، ورده الى بلده بعد ان  
استحلفه على الطاعة ، كما وردت عليه كتب ملوك ارمينية وخرزان بالطاعة وحسن الانقياد .  
ثم قصد بعد ذلك قلوبية وفتحها بعد ان احرق رساتيقها وسلبها ضياعها وحاول  
الدمستق الايقاع به عند رجوعه الا ان الدائرة دارت على الروم فقتل منهم كثيرين . (١)  
الا ان الفتن الداخلية بين القبائل العربية ادت الى عودته ، فتقدم الروم ودخلوا  
جوار حلب (٢) كما دخلوا ديار بكر من جهة الشرق وفتحوا ارزم وحاصروا الرها

(١) كنار - النخب ص ٧١ - ٧٥

(٢) ابن الاثير - التاريخ ج ٨ ، ص ١٢٧

طالبين المنديل المطبوعة عليه صورة المسيح والذي قيل انه مسح وجهه به ، وكان اهل  
الرها قد أخذوه من الكنيسة ، فاستعادوه من المسلمين بعد ان اطلقوا شتين ممن  
كان عندهم في الأسر وعقدوا هدنة دائمة وكان هذا في آب سنة ٣٣١ هـ (١)  
( ١٤٢ - ١٤٣ م )

وفي سنة ٣٣٣ هـ ( ١٤٤ - ١٤٥ م ) افار المستق على بغراس ومرعش  
وقتل وأسر - بعد ان علم بانضغال سيف الدولة بحرب اعدائه - الا ان سيف الدولة  
أسرع واستنفذ الأسرى والغنائم ، وأوقع بالمستق افيج هزيمة ، كما بلغ سيف الدولة  
ان مدينة للروم تهدم بعض سورها فافتم الفرصة وأناخ عليها وسبى وقتل . وفي  
سنة ٣٣٥ هـ ( ١٤٦ - ١٤٧ م ) جرى الفداء - تبادل الأسرى - وكان عدد من  
نودي من المسلمين ٢٤٨٢ رجلا . (٢)

## ٢- معارك الثغور الجزرية

الحقبة الثانية - ١٤٤ - ١٥٤ م ٣٣٣ - ٣٤٣ هـ

كان سيف الدولة أميرا على حلب ، وكان عليه ان يحمي كل الحدود الشامية  
والجزرية وكانت قواعد المهمة حلب في سورية وآمد وصيافارقين في ديار بكر ، وكان  
دمستق الروم في هذه الحقبة فردس أوبرلداش بن الفئاس ( ) ،

(١) الانطاكي - يحيى بن سعيد - التاريخ ، نشرني ( )

باعتنا كراتشكوفسكي ونازيليف ، باريس المجلد ١٨ سنة ١٩٢٤ ص ٧٣٠ - ٧٣٣ .

(٢) كنار - النخب ص ٨٢

وملك الروم قسطنطين الرابع . تميزت هذه الحقبة بانتصارات سيف الدولة المتتابعة ولعل أهمها فتح حصن برزويه شمالي أتابيه سنة ٣٢٧ (١) ودخوله قيسارية فبادرية وتوغله في بلاد الروم حتى سفندو (شمالي الطريق بين مرعش وقيسارية) وحتى خرشنة (شمالي سيواي) وقد مر بنهر آلس ونزل على صارخه - وهي على سبعة أيام من بيزنطية - فأحرق ضياعها وكنايسها وأكثر التقتيل في أهدما وهزم المستق وأسر من بطارقه نحو ههانيين . وكانت غزوة مشهورة وغنم المسلمون مالا يوصف وبنوا في الغزوات شهرا . على قول الذهبي ، وذلك سنة ٣٢٩ هـ أو سنة ١٥٠ م . (٢) ولكن المستق لم يستسلم للخذلان فكمن لسيف الدولة في " مقطعة الأنفار " كما يقول شراح المتنبي ويسمونها غيره " عفة السر أودرب الككرون " فقطع الروم الأشجار ، وسدوا الطريق فقتل سيف الدولة من معه من أسرى الروم وتمكن من الفجأة بصعورة من القتل في نفر يسير من أصحابه ، واستباح المستق أكثر الجيش وأسر كثيرا من أمراءه وقضااته ، وكان ذلك في سنة ٣٢٩ هـ (سنة ١٥٠ م) (٣)

وكان المتنبي مع سيف الدولة في هذه الغزوة فقال : (٤)

لهذا اليوم بعد غد أريج ونار في العدو لها أجيح

وبعد هذه الهزيمة الني مني بها سيف الدولة قال المتنبي محاولا تخفيف

(٥)

وقع ذلك في النفوس :

(١) الأنطاكى ص ٧٦٧ - ٧٦٨

(٢) البستانى - البشير - عدد ٥٤٦٠ - ١٣ - ١٤ آذار سنة ١٩٣٨

(٣) كنار - النخب - ص ٨٧ - ٨٩

(٤) المتنبي - الديوان ص ٢٩٨ - ٢٩٩

(٥) المتنبي - الديوان ص ٣٠١ - ٣٠٢

فهرى بأكثر هذا الناس ينخدع ان قاتلوا جنبوا أو حدثوا شجعوا

وما نجا من سفار البيض منفلت نجا ومنهن في احشائه فزرع

يباشر الأمن دهره وهو مختل ويشرب الخمر حولا وهو منتقع

ثم ينتقل الى ذكر انتصار الروم وايقاعهم بالمسلمين فينسب الى هؤلاء

الخيانة ، خيانة سيف الدولة فيجازيهم الله بالقتل •

قل للمستعان المسلمين لكم خانوا الاثر فجازاهم الله بما صنعوا

وجدتموه نياما في دماكم كان قتلكم اياهم نجعرا

ويقول بعد ذلك ان كثيرا من المسلمين كانوا ينطرحون بين القتلى

ويتظاهرون بالموت خوفا من ان يقتلهم الروم •

لا تحسبوا من أسرتم كان ذارقي فليس يأكل الا الميت الضعيف

وينهيها بمدح سيف الدولة ويعزيه بأن له الانتصار في غزوة مقبلة :

الدهر معتذر ، والسيف منتظر وأرضهم لك مصطاف ومرتب

ان السلاح جميع الناس تحمله وليس كل ذوات المخلب السبع

وفي السنة التالية أخذ سيف الدولة يجمع الجيش ويهدد ليتابع قسرو

الشعور وليبني ما تخرب من الحصون التي تهدمت غدا اما بسبب الحرب او بسبب الزلازل ،

ومن هذه حصن رعيان - التي خربتها الزلازل - وترك عليها ابن عمه ابا فراس خليفة

على البنا وعلى المدينة فأتم البنا في سبع وثلاثين يوما فقال احد شعرائه مادحا : (١)

(١) ياقوت : معجم البلدان - ليزج سنة ١٨٦٦ - ١٨٢٥ - ج ٢ ص ٢١١

أرضيت ريك وابن عمك والفنا      وبذلت نفسا لم تنزل بذالها  
ونزلت رعبانا بما أوليتها      تشني عليك سهولها وجبالها

ثم بنى بعد ذلك قلعة موعظ بعد أن خربها الروم ، وقد أراد المستق  
أن يرفع سيف الدولة من بنائها إلا أنه مني بالهزيمة . (١)

وفي سنة ٣٤٢ هـ ٩٥٣ م تارت الفبائل في ديار مصر على سيف الدولة  
وأشدها بنوعيل وقشير وعجلان فاضطروا إلى ترك الثغور لتأديب البدو فاحسب  
المشرق ، فعرف الروم بغياحه فتقدم المستق إلى ناحية جيجان فسمع به سيف الدولة  
فأسرع عابرا الفرات إلى دلوك فالتى قنطرة صبخه ، مغيرا على أرض ملطية والتقى بجيش  
المستق على درب موزار فانتصر عليه وقتل كثيرا من الأرمن ، ثم رجع إلى ملطية ، فعبر  
نهر قباقيه ومر تحت حصن يعرف بالمنشار تجاه مصب قباقب من الفرات على الضفة الشمالية  
من هذا النهر ، ثم عبر إلى بطن هنزيط وهو سهل فسيح جفوي شرقي خربوط ، ودخل  
سمنن ونزل بعد ذلك بحصن الران ومنه انتقل إلى سميساط ، وفيها لحقه الخبر بأن  
الروم عادوا إلى ثغور المسلمين ، ناحية دلوك فأدرك المستق راجعا على نهر  
جيجان واشتبكا في معركة شديدة جرح فيها المستق برداس نوقاس في وجهه وأسر  
ابنه قسطنطين - ثالث أولاده - بعد ثقفور ولاون - في ٢٦ تموز سنة ٩٥٣ م (٣٤٢ هـ) (٢)  
وقد اتفق المؤرخون العرب والبيزنطيون على ذكر هذا الجرح . وكان المتنبي كعادته مع  
سيف الدولة فقال مشيرا إلى كل التطورات التي حصلت في هذه الغزوة : (٣)

ليالي بعد الظاعنين شكوك      طوال وليل العاشقين طويل  
يبي لي البدر الذي لا أريد      ويخفين بدرا ما إليه سبيل

(١) ابن الشحنة : أبو الفضل : الدر المنخب في تاريخ مملكة حلب - بيروت سنة ١٩٠٩ ص ١٩١-١٩٢

(٢) كنار : النخب ص ٩٦ - ٩٩

(٣) المتنبي : الديوان ص ٣٤٧ - ٣٥٢

وينتقل المتنبي بعد ذلك الى ذكر محبوبته الممتنع الوصول اليها بسبب  
المدافعين عنها ثم يصف طول الليل منعيا رؤية حبيبته ، ويمضي بعد ذلك ليصف الخيل  
على عادته في معظم قصائده الحربية ، وكيف ان هذه الخيول سهام لسرعتها وتنقلها  
في كافة المعارك التي جرت ، فيقول في ذلك :

رمي الدرب بالجرد الجيار الى العدا      وما علموا ان السهام خيول  
شوائل تشوال العقارب بالقنا      لها مرج من تحتها وصهيل  
وما هي الا خطرة عرضت لسه      "بحران" لعنتها قنا ونصول

فلما تجلى من دلوك وصبخة      علت كل طود راية ورعيل

وامسى السبايا ينتخبين بعركة      كان جيوب الثاكلات ذيول  
ويذكر بعد ذلك ان الخيول انتقلت من عركة الى موقع آخر هو موزار  
حيث جرت معركة أخرى :

وعادت نظنوها بموزار قفلا      وليس لها الا الدخول قفول

وكرت فمرت في دما مطسية      مطسية أم للبنين فمكول  
وفي بطن هنريط وسمين للظبا      وصم القنا ما ابدن بديل



ويطن بحصن الران رزحى من الدجى وكل عزيز للامير ذليل

--

ودون سميح المطامير والملا وأودية مجهرولة وهجول  
لبسن الدجى فيها الى ارض مرعش وللروم خطب في البلاد جليل

وبعد ذكر هذه المواقع انتقل ابو الطيب الى مدح سيف الدولة وقال ان الرماح

والسيوف لا يمكن ان تصيبه او تنال منه ، ثم يصف بلاءه بالهزيمة بعد ذلك جود الامير  
بأمواله ويخله بجيشه لا يلقي به الى التهلكة ، بل انه يقود هذا الجيش من نصر الى نصر :

فلما رآوه وحده دون جيشه دروا ان كل العالمين فضول  
وان رماح الحظ عنه قصيرة وان حديد الهند عنه كليل  
فأورد هم صدر الحصان وسيفه فنى بأسه مثل العطا جزيل  
جواد على العلات بالمال كله ولكنه بالدارعين بخيل  
فودع قتلاهم ومشييع فلهم بضرب خزون البيض فيه سهول

وينتهي بعد ذلك الى ذكر أسر قسطنطين بن المستق برداس واصابة

المستق في وجهه ، ويطلب من المستق العودة الى الحرب ، فيقول :

على قلب قسطنطين منه تعجب وان كان في ساقيه منه كبول  
لعلك يوما يا مستق عائد نكم هارب مما اليه يؤول  
نجوت باحدى مهجتك جريحة وخلفت احدى مهجتك تسيل

اتسلم للخطية ابنك هاربا	ويسكن في الدنيا اليك خليل
بوجهك ما انساكه من مرشه	نصيرك منه رنة وعوريل
اغركم طول الجيوش وعرضها	علي شروب للجيش اكرول
اذا لم تكن لليث الا فريسة	غذاها ولم ينفعك أنك فيل
فان تكن الايام ابصرن صولة	نقد علم الايام كيف تصول
فدتك سيوفلم تسم مواضيا	فانك ماضي الثغرتين عقيل
اذ كان بعض الناس سيفا لدولة	ففي الناس بوقات لها وطبول

وقال ابو فراس في هذا النصر مشيرا الى اسرايين المستق واصابة المستق  
بجرح في وجهه : (١)

وآب بقسطنطين وهو مكبل	تحف به بطاريق وزرازير
وولى على الرسم المستق هاربا	وفي وجهه عذر من السيف عاذر
فدى نفسه بابين عليه كففسه	وللشدة الصماء تغنى الذخائر
وقد يقطع العضو النفيس لغيره	وتدفع بالامر الكبير الكبائر

ووصف النامي هذا النصر بقوله : (٢)

وقد سار في الرمم المستق بافيا	له ساعة نكرا في ثوب نكد
ولكن قسطنطين نحت صليبه	ومد القنا من فوق اراعن ممتد
واسلم قسطنطين للاسر فردس	وولى وقد خدته فوها في الخد

(١) ابو فراس : الديوان ج ٢ ص ١١٨

(٢) كنار : النخب ص ١٠٥

وفي هذا النص مادة لفخر الشعراء ، فذكره المتنبي حين هنا سيف

الدولة بعيد الأضحى فقال : (١)

لكل امرئ من دهره ما تعودا وعادة سيف الدولة الطعن في العدا

ويذكر المتنبي في نهاية القصيدة ان المستق برداس قد ترهب بعد هذه

الهزيمة التي أحاطت به فيقول :

فلو كان ينجي من علي ترهب ترهبت الأملاك مشى وموحدا

وكل امرئ في الشرق والغرب بعدها يعد له ثوبا من الشعر اسودا

ويؤيد النامي ما أثبتته المتنبي في قصيدته عن ترهب المستق فيقول (٢) :

لكنه طلبا لترهب خيفة ممن له تنقاصر الأغمار

فمكان قائم سيفه عكازه ومكان ما يتمنطق الزنار

على ان احدا من مؤرخي البيزنطيين لم يذكر أمر هذا الترهّب ، ولعل

برداس لجأ الى احد الأديرة أثناء هربه ، فعرف بالأمر احد الشعراء وولدت له

مخيلته هذا الأمر ، ذلك لأن برداس جرد حملة لقتال سيف الدولة ولا فاء امام قلعة

الحدث . (٣) اما قسطنطين ابنه فقد قضى في الأسر مدة حاول خلالها ابوه اقتداءه

فعرض على سيف الدولة ثمانمائة الف دينار وثلاثة آلاف أسير الا ان سيف الدولة رفض ذلك . (٤)

(١) المتنبي - الديوان - ص ٣٤٧ - ٣٥٢

(٢) البستاني - البشير عدد ٥٤٧٦ - ٣ - ٤ نيسان سنة ١٩٣٨

(٣) البستاني - البشير - العدد السابق

(٤) الطباخ ، راغب - اعلام النبلاء بتاريخ حلب الشهباء - حلب - سنة ١٩٢٣ ج ١ ص ٢٥١

ويقول ابن العديم انه في سنة ٣٤٦ هـ ٩٥٧ م أخبر سيف الدولة بأن الروم يكتبون بعض غلمانهم لتسليم سيف الدولة لهم ، وخرج سيف الدولة الى حلب ، وأعلم بعض الفرائسين ابن كيغلب بما عقد عليه الغلمان من أمر ، فأعلم سيف الدولة الذي جمع الأعراب والديلم وطلب منهم الإيقاع بغلمانهم متى أعلمهم بذلك فأوقعوا بهم ، وعاد الى حلب وقتل اربعمائة أسير كانوا بها ، وضيق على ابن المستق وزاد في قيده ، ونقله الى حجرة معه في داره . (١) وذكر الطباخ عن ابن شداد صاحب الأغلاق الخطيرة : ان المستق سيرا الى عكار نصراني بحلب وأمره بأن يسقي ولده سما ففعل . (٢) ويجمع المؤرخون العرب على ان سيف الدولة كان يكرم ابن المستق . وفيما يكن من أمر فاته لما مات أعطى سيف الدولة جثته لنصارى حلب الذين دفنوها في احدى كنائسهم باحتفال لائق ، وكتب سيف الدولة الى المستق معزيا . (٣)

### ٣ - معركة الحدث

اما آخر انتصار في هذه الحقبة فهو انتصار قلعة الحدث الذي أشاد

بذكره شعراء سيف الدولة ، ومن بعدهم مؤرخو العصر الحمداني .

(١) ابن العديم - زبدة الحلب - ج ١ ص ١٢٧

(٢) الطباخ - المصدر السابق ج ١ ص ٢٥٩

(٣) البستاني - المصدر السابق .

كان الروم قد استولوا على قلعة الحدث التي استسلمت لهم بالأمس  
 سنة ٣٢٢ هـ ، الا انهم دمروها فاستعادها سيف الدولة وأراد ترميمها فسار  
 اليها بجيش كبير مؤلف من عسكري نظامي من مسلمي بلاده . أتى سيف الدولة الحدث  
 بجيشه هذا سنة ٣٤٣ - ١٥٤ م وحفر أساس القلعة بيده وفازله المستق وكانت  
 معركة شديدة امتدت من أول النهار الى العصر مال النصر فيها الى جانب البيزنطيين  
 مدة ، الا ان سيف الدولة وغلماؤه - وعدد هم خمسمائة - حملوا على قلب جيش الروم  
 فانهزم المستق تاركا وراءه ثلاثة آلاف قتيل غير الأسرى الذين كانوا من كبار القادة ،  
 وكان من جملة هؤلاء صهره توديس الأعور أو ثيودوسيوس بطريق سمند ولفند وراينه  
 (أي ابن توديس) اما نفقور بن فوقاس فقد اختفى ، وما ان أرخص الليل بأجنحة ظلامه  
 - حتى لحق بأبيه . غنم سيف الدولة الكثير من هذه المعركة وظل في المدينة حتى  
 انتهاء البناء . (١) فقال السري الرنأ في ذلك : (٢)

رفعت بالحدث الحصن الذي خففت	منه الحوادث حتى ذل جانبه
اعدته عدديا في مفاسسه	من بعدما كان روميا مفاسسه
فقد وفي عرضه بالبيد واعترضت	طولا على منكب الشعري منكبه
صنع الى الجوا علاه فان خففت	زهر الكواكب خلناها تخاطبه
كان ابراجه من كل ناحية	ابراجها والدجى وهف غيا هبه

(١) كنار - النخب ص ١٠٦ - ١٠٨

(٢) الثعالبى - يتيمة الدهر ج ١ ص ٣٠

وقال المتنبي يمدح سيف الدولة ~~ويصف~~ ويذكر بنا قلعة الحدث (١)

على قدر أهل العزم تأتي العزائم وتأتي على قدر الكرام المكارم

مدح المتنبي سيف الدولة بهذه القصيدة ويقول ان العزائم انما تكون

على قدر اصحاب العزم ، وقد تظا تعظم الصفات في عين الصغير وتصغر الكبار في  
عين الكبير ، وسيف الدولة يكلف جيشه الامور العظيمة لان في طاقته فعل أى شيء :

على قدر أهل العزم تأتي العزائم	وتأتي على قدر الكرام المكارم
وتعظم في عيني الصغير صفاتها	وتصغر في عيني العظم العظام
يكلف سيف الدولة الجيش همه	وند عجزت عنه الجيوش الخضارم
ويطلب عند الناس ما عند نفسه	وذلك ما لا تدعيه الضرام
يفدى اثم الطير عمرا سلاحه	نسور الملا احداثها والقشام
وما ضرها خلق بخير مخابل	وقد خلقت اسيانه والقوا دم

ثم يصف قلعة الحدث ، ويقول ، ترى أعلم هذه القلعة لونها وتدرى  
من أى شيء ارتوت ، أمن السحاب أم من الدم ، ولقد بنى سيف الدولة القلعة  
فجعل البناء عاليا لا يتأثر بالعدد الكثير من القتلى الذين قتلوا على جوانبها .

هل الحدث الحمراء تعرف لونها وتعلم أى الساقيين اللثام  
سقتها الغمام الغر قبل نزوله فلما دنا منها سقتها الجماجم

بناها فلعلى والقنا تفرع القنا      ومع المنايا حولها متلاطم  
 وكان بها مثل الجنون فأصبحت      ومن جثث القتلى عليها تماثم  
 طريدة دهر سا فيها فرد دتها      على الدين بالحظي والد هر راغم

ثم يعود بعد ذلك الى مدح سيف الدولة فيقول ان الليالي اذا اخذت منك  
 شيئا اعادته اليك ، اما انت فانك تأخذ منها ولا تعطيتها شيئا ، وكيف ترجوا الروم  
 هدم هذه القلعة واساسها الطعن ودعائها الضرب :

نضيت الليالي كل شيء اخذته      وهن لما يأخذن منك فوارم  
 اذا كان ما تنويه فعلا مضارعا      مضى قبل ان تلقى عليه الجوازم  
 وكيف ترجى الروم والروس هدمها      وذا الطعن أساس لهم ودعائم  
 وقد حاكموها والمنايا حواكم      فما مات مظلوم ولا عاش ظالم

وينتقل المتنبي بعد ذلك الى وصف جيش الروم ووصف الأسلحة التي  
 يستعملونها :

أتوك يجرون الحديد كأننا      سروا بجياد ما لهم قوائم  
 اذا برقوا لم تعرف البيض منهم      ثيابهم من مثلها والعماثم  
 خميس بشرق الأرض والغرب زحفه      وفي اذن الجوزة منه زما زم  
 تجمع فيه كل لسن وأمة      فما تفهم الحداث الا التراجم  
 فله وقت ذوب الغش ناره      فلم يبق الا صارم أو ضبارم  
 تقطع ما لا يقطع الدرع والقنا      وفر من الأبطال من لا يصادم

ويتغنى المتنبي بشجاعة أميره سيف الدولة ويخاطبه قائلاً انك كمت واقفاً في  
 محل لا شك في ان يموت فيه أى انسان غيرك ولم تكن تبال بشيء فكانت الأبطال تمر  
 بك جريحة مهزومة ووجهك يضحك لما ترى حتى ان البعض كان يظنك عالماً بالغيب  
 وبأنك عالم بأنه لن يصيبك مكروه في هذا الموقف الذى تفق • ويصف بعد ذلك  
 حال الجيش البيزنطي عند تعرضه لهجوم سيف الدولة فيقول :

وقفت وما في الموت شك لواقف	كانك في جفن الردى وهو قائم
تمر بك الأبطال كلهم هزيمة	ووجهك ضاح وشغرك باسم
تجاوزت مقدار الشجاعة والنهى	الى قول قوم انت بالغيب عالم
ضمت جناحيهم على القلب ضمة	تموت الخواني تحتها والقواد م
بضرب أتى الهامات والنصر فائب	وصار الى اللبان والنصر فاد م
حقرت الرد بينات حتى طهرتها	وحقن كان السيف للرمح شام
ومن طلب الفتح الجليل فانما	مفاتيحه البيض الخفاف الصوارم

ثم يصف بعد ذلك حال البيزنطيين وقد منوا بالهزيمة ، فالقتلى مبعثرون  
 في الأرض وكأنهم الدراهم وقد نشرت على العروس ، ولم يكتف سيف الدولة بذلك بل  
 انه لحق بالروم حتى اعالي الجبال حيث تكثر اوكار الجوارح ، وقد كساها مؤنثتها  
 بما قتل في ديارها ، أما الخيل فكانت العنسيان تظن انها امهاتها لشدة سرعتها :

ونشرتهم فوق الأحيدب <sup>لهم</sup> شرارهم	كما نشرت فوق العروس الدراهم
تدوس بك الخيل الوكور على الذرى	وقد كثرت حول الوكور المطاعم



تظن نراخ الفتح أنك زرتها بأصاتها وهي العناق الصلاد

إذا زلفت مشيتها ببطونها كما تنشئ في الصعيد الأرقم

أكثر

وينتقل بعد ذلك إلى وصف حال المستق وقد منى بالهزيمة ، فيقول ان قفا  
المستق لا م وجهه لأن الوجه كان السبب فيما اصابه من الضرب ، وقد ظل المستق  
يفكر سيف الدولة حتى اكتوبر بناره مع ان الحيوانات باتت تعرف رائحته ، واجتمعت  
الأحداث عليه ففجعت بابه وابن صهره وصهره وأخذ بعد ذلك يشكر أصحابه لأنهم  
بتعرضهم لسيف الدولة مكنوه من الفرار والابقاء على حياته ، ولكنهم دفعوا  
حياتهم ثمنا لحياته .

أني كل يوم ذا المستق مقدم نفاه على الأقدام للوجه لا ثم  
أينكر ربح الليث حتى يذوقه وقد عرفت ربح الليث البهائم  
وقد فجعت بابه وابن صهره وبالصهر حملات الأمير الغواشم  
مضى يشكر الأصحاب في نوتها الظبي بما شغلها هامهم والمعاصم  
وينهم صوت المشرفة فيهم على ان اصوات السيوف اعاجم  
يسر بما اعطاك لا عن جهالة ولكن مغنوما نجا منك غا ثم

ثم ينهي المتنبي قصيدته هذه بمدح سيف الدولة متغنيا بمجده وكرمه

فيقول ١

ولست مليكا هازما لنظيره لكك التوحيد للشرك هازم

تشرف عدنان به لا ربيعه وتفتخر الدنيا به لا العواصم

لك الحمد في الدر الذي لي لفظه      فانك معطيه واني ناظم  
 واني لتعد وبي عطايك في الوفي      فلا أنا مذموم ولا أنت نادم  
 على كل طيار اليها برجله      اذا وقعت في مسميه الغمام  
 الا ايها السيف الذي ليس مفدا      ولا فيه مرتابولا منك عاصم  
 هنيئا لضرب الهام والمجد والعلی      وراجيك والاسلام انك سالم  
 ولم لا يفي الرحمن حدك ما وقى      وتغليقه هام العدا بك دائم

الحقبة الثالثة : ١٥٤ - ١٦٠ م      ٢٤٣ - ٢٤٩ هـ

في هذه الحقبة كان قسطنطين السلبع امبراطورا على الروم ، وظل المستق  
 نفسه وهو برداس بن الفقاس يعاونه ابناه لاون ونقفور . بدأ الروم يستعدون للانتقام  
 بعد تلك الهزيمة النكراء التي منوا بها في قلعة الحدش فاعادوا حصار القلعة لست خلون  
 من جمادى الاولى سنة ٢٤٤ هـ ( ١٥٥ م ) فهب سيف الدولة خائفا على القلعة حتى  
 اذا ما وصل اليها خرج اهلها المحاصرون وجعلوا الروم في الوسط بينهم وبين سيف  
 الدولة وكانت الكرة على الروم (١) ، فقال المتنبي : (٢)

وأي المعالي فليعلن من تعالى      هكذا هكذا والا فلا لا

ويشير في هذه القصيدة الى تراجع قسم من جيش الروم عند قدوم سيف

الدولة فيقول :

(١) كآخر كتاب - النخب - ص ١١٢ - ١١٣

(٢) المتنبي - الديوان ص ٤٠٣ - ٤٠٧

ما مضوا لم يقاتلوك ولكن — من القتال الذي كفاك القتالا  
 والذي قطع الرقاب من الضر ب مكفك قطع الأُصا لا  
 نزلوا في مصارع عرفوها يندبون الأعمام والأخسوا لا  
 تحمل الريح بينهم شعرها م وتذرى عليهم الأوصا لا  
 تنذر الجسم أن يقيم لديها وتريه لكل عضو مشا لا  
 ابصروا الطعن في القلوب دراكا قبل ان يبصروا الرماح خيا لا  
 ما يشك اللعين في اخذك الجيد ش فهل يبعث الجيوش نوالا  
 ما لمن ينصب الحباثل في الأُر ض ومرجاء أن يصيد الهلا لا  
 ان دون النى على الدرب والأحـ دب والنهر مخطا مزيا لا  
 فصب الدهر والملوك عليها فبناها في وجنة الدهر خالا  
 فهي تمشي مشي العروس اختيا لا وتثنى على الزمان دلا لا

#### ٤- معركة الدرب

وقد جريا هذا الانتصار سيف الدولة على متابعة غزواته في بلاد الروم ،  
 فعنى حتى قطع نهر ارسناس على اطراف رصفن حطها معه ثم اناخ على تل بطريق  
 على الشاطئ الغربي وفيه القائد يانس بن الشمشيق فأخلى المدينة ، فأحرقها  
 سيف الدولة وقتل من الروم نحو أربعة آلاف وغنم الكثير . وكمن ابن الشمشيق مع  
 برداس على الدرب اثنا رجوع سيف الدولة الا ان النصر كان حليف سيف الدولة ايضا

فعاد الى آمد سنة ١٥٦ م ٣٤٥ هـ . غير ان لاون بن الدستق سار بشرذمة  
على دلوک والنقى بأبي العشائر الحمداني فاقتتلا وأسر ابو العشائر وحمل الى  
بيزنطة حيث مات . (١) وكان المتنبى مع سيف الدولة في هذه الغزوة فنظم نونيته (٢)

الرأى قبل شجاعة الشجعان هو أول وهي المحل الثاني

ولقد فضل المتنبى الرأى على شجاعة الشجعان ، وبين أن الشجاعة  
ناقصة اذا لم يعنها الرأى والعقل والعقل ، الذى لولاه لما كان هنالك من فضل للانسان  
على الحيوان ، ولولاه لما فضل انسان آخر :

الرأى قبل شجاعة الشجعان	هو أول وهي المحل الثاني
فاذا هما اجتمعا لنفس حرة	بلغت من العليا كل مكان
ولربما طعن الفنى اقرا نسه	بالرأى قبل تطاعن الاقرا ن
لولا العقول لكان ادنى ضيفم	ادنى الى شرف من الانسان

وينتقل بعد ذلك الى مدح الأمير سيف الدولة ، انه لولاه لما افادت السيوف  
شيئا في هذه المعركة ، ويصف بعد ذلك المعركة التي خاضها الجيش ، ويصف مسير سيف  
الدولة للا في هذا الجيش فيقول :

لولا سمي سيوفه ومضاه  
لما سلطن لكن كالأجفان

— — —

(١) الانطاكى - التاريخ ص ٧٧٢ × ٧٧٤

(٢) المتنبى : الديوان ص ٤١٢ - ٤١٦

في جفيل ستر العيون غباره      فكانما يبصرن بالآذان  
يرمي بها البلد البعيد مظفر      كل البعيد له قريب دان

ويذكر المتنبي في هذه القصيدة ان انتصار الامر في هذه المعركة ليس الا  
انتصارا للاسلام واذلال لجميع الفئات والاديان ، فقال :

خضعت لمنصك المناصل عنوة      واذل دينك سائر الاديان

ولقد اطاعت المنايا سيف الدولة في تقتيل العدو وفتناثرت رؤوس القتل وتطايرت  
شعورهم فملأت اغصان الاشجار .

ومهدب امر المنايا فيهم      فاطعته في طاعة الرحمن

قد سودت شجر الجبال شعورهم      فكان فيه مسفة الغربان

وينتهي المتنبي قصيدته هذه بمدح سيف الدولة والاشادة بالمجد القوي

وصله العرب على يديه فأصبح مفخرة لهم لما اتصف به من شجاعة عكر وكرم :

رفعت بك العرب العماد وصيرت      نعم الملوك موافد غلا النيران

انساب فخرهم اليك وانما      انساب اصلهم الي عذنان

يا من يقتل من لو اراد بسيفه      أصبحت من قتلاك بالاحسان

ناذا رأيك حار دوتك ناظري      واذا مدحتك حار فيك لسان

وفي هذه الحفبة اغار الروم على ميانارقين فأحرقوا قراها ونهبوها وسلبوا  
 اهلها وعادوا فالحين . (١) ثم التقى سيف الدولة بابن الشمشيق وكان لا يزال  
 بطريقا فكسره وشتت جيشه وكان ذلك سنة ٣٤٥ هـ ٩٥٦ م ، وفي ذلك انشد  
 المتنبي سيف الدولة آخر قصائده في حلب ، (٢) وفيها يذكر ان ابن الشمشيق انقسم  
 عند ملكه بأن يغلب سيف الدولة ، الا انه لا يوجد أى اشارة لهذا القسم في  
 آثار المؤرخين . (٣)

#### قال المتنبي :

عقبى اليمين على عقبى الرقى ندم ما ذا يزيدك في اقدامك القسم  
 وفي اليمين على ما أنت واعد ما دل انك في الميعاد مدهم  
 آل الفنى ابن شمشيق فاحشه فنى من الضرب تنسى عنده الكلم  
 كل السيوف اذا طال الضراب بها يستبها غير سيف الدولة السام

القت اليك دما الروم طاعتها فلو دعوت بلا ضرب اجاب د م  
 يسابق القتل فيهم كل حادثة فما يصيبهم موت ولا هزم

(١) ابن الاثير - التاريخ ج ٨ ص ١٧١ - ١٧٢

(٢) المتنبي - الديوان ص ٤١٧ - ٤٢٢

(٣) البستاني : صحيفة البشر العدد ٥٥٢٥ - ٥ - ٦ حزيران سنة ١٩٢٨

لا تطلبين كريما بعد رؤيته      ان الكرام بأسخاهم يداخنوا  
ولا تبال بشعر بعد شاعره      قد افسد القول حتى احمد الصم

وفي ~~حكي~~ حزيران سنة ٢٤٦ هـ ٩٥٧ م دخل دمشق حصن الحدث  
فجلا أهله الى حلب فأحرق الحصن . وفي سنة ٩٥٨ م ٢٤٧ هـ سار ابن النعماني  
ومعه البراكموس ففتحوا سبيسط في أقل من يوم وحاصروا رعيان فتقدم سيف الدولة  
بعسكره ولكن النصر لم يكن حليفه في هذه المرة فانهزم وأسر من جماعته عدد كبير  
وذلك في شعبان سنة ٢٤٧ هـ ٩٥٨ م (١)  
كان لهذه الانتصارات التي أحرزها الروم وقع شديد في مختلف الديار الإسلامية  
ودليل ذلك خطبة ابن نباتة الفارسي الجهادية التي ألهاها في جامع ميفارقين . وثار  
بعض المصريين على نصارى مصر فكسروا أبواب كنيسة ميخائيل الملكية ونهبوا ما فيها وكذلك  
فعلوا بكنيسة أبي قيس التابعة لليعاقة . (٢) واهتم كافر بهذا الأمر وأراد إرسال النجدة  
لولا ان بعض السفن انقلبت فغرق من كان فيها من المقاتلين . (٣)

ويبدو ان هذه الانتصارات كانت مقدمة لسلسلة اعتبتها ، وانتهت بدخول الروم  
حلب ، وتوقيع معاهدة شديدة النصوص ، اختطفت يد المنون سيف الدولة قبل توقيعها  
بعامين . (٤)

(١) الأنطاكي : ص

(٢) الأنطاكي : التاريخ ص ٧٧٩ - ٧٨٠

(٣) كتار - النخب - ص ٢٨١

(٤) البستاني - البشير - العدد السابق

وفي سنة ٣٥٠ هـ ١٦١ م ورد نقفور فوفاس عين زربة بمائة وستين ألفا  
فأخذ في نقب الأسوار، وما أن رأى الأهالي ذلك حتى طلبوا منه الأمان وفتحوا له  
باب المدينة، ونادى بأن يخرج جميع أهل البلد إلى المسجد الجامع، وهوود بقتل  
من يتأخر في بيته. وفي الصباح انفذ رجاله وكانوا ستين ألفا وأمرهم بقتل من بقي  
في بيته. فقتل عالم كبير من الرجال والنساء والأطفال، وجمعوا من السلاح  
أربعين الف رمح وقطعوا خمسين ألف نخلة وطلب الدمستق ممن اجتمعوا في المسجد  
مغادرة البلدة قبل المساء. فقتل من التذافع على أبواب المدينة جمع كبير، وأخذ  
الدمستق ما خلفه الناس من أموال ومتاع وبقي في الديار الإسلامية واحدا وعشرين يوما  
فتح فيها عين زربة وأربعة وخمسين حظا حولها، منها ما فتحه بالسيف ومنها ما  
فتح بالأقان. وفي إحدى هذه الحصون التي فتحها بالأمان تعرض الأرمن للنساء  
اللواتي خرجن منه، فلاحق رجالهن غيرة عليهم فجردوا سيوفهم، فاغتاز الدمستق منهم  
وأمر بقتل الجميع وكانوا أربعماية رجل، وقتل النساء والصبيان ولم يترك الا كل جارية  
حدثه ومن يصلح ان يسترق، ولما اراد العودة بسبب الصوم خرج ابن الزيات صاحب  
طرسوس في أربعة آلاف رجل فأوقع به الدمستق وقتل جميع من كان معه، وكان  
ابن الزيات قد قطع الخطبة لسيف الدولة. ولما اصابهم هذا الوهن اعاد أهل  
البلدة الخطبة لسيف الدولة وراسلوه بذلك. (١) ولما علم ابن الزيات بذلك خرج إلى

(١) ابن الأثير - التاريخ - ج ٨ ص ١٢٨



داره روشن وكانت على شاطئ النهر وانتحر غرقا . (١)

وفي سنة ٢٥١ هـ ٩٦٢ م فتح الروم حصن دلك وثلاثة حصون مجاورة له بالسيف ، وفي جمادى الآخرة من هذه السنة أعاد سيف الدولة بناء عين زربة ، وسير صاحبه في جيش مع أهل طرسوس إلى بلاد الروم ففتحوا وقتلوا وسبوا وعادوا فقصده الروم حصن سيبي فملكوه . كما سار نجا غلام سيف الدولة في جيش إلى حصن زياد فلقبه جمع من الروم فهزمهم ، وأسنا منه منهم خمسمائة رجل . وفي شوال من نفس السنة أسرت الروم أبا فراس الحارث بن سعيد من منبج وكان متقلدا لها . (٢)

### • غزو حلب

يذكر كنفار نقلا عن الذهبي في كتابه " تاريخ الاسلام " عن واقعة حلب من تاريخ علي ابن محمد الشمشاطي ( ابو الحسن الشمشاطي كاتب سيف الدولة ) ان الروم أقبلت وخرجت من الدروب فخف سيف الدولة لملاقاتهم ومعه أربعة آلاف رجل الا انه وجد ان لا طاقة له بهم لوفرة عددهم ، فعاد إلى ظاهر حلب ليقاتلهم هناك . ثم أتى سيف الدولة خبر ان الروم مالوا نحو العمق فجهز غلامه نجا ولحق به بعد الظهر وفي الطريق أعلمه بعض العرب ان الروم لم يدخلوا جبرين وانهم مصبحون في حلب فخرج إليها وفتح خزائن السلاح للجميع ، وأقبل العدو فكانت معركة استمرت إلى العصر حيث وصلت امدادات الروم فأهلطوا بسيف الدولة فحمل عليهم الا انه سرعان ما لوى رأس نرسه

(١) ابن الأثير مسكوية - تجارب الأمم ج ٢ ص ١١٠ - ١١١

(٢) ابن الأثير - التاريخ ج ٨ ص ١٢٩ - ١٣٠

قاصدا بالس ، فانكأ أصحابه وانهزموا لما غادرهم وازدحموا في ابواب حلب وتعسلق  
قسم منهم السور بالحبال • وقتل من كبار الحمدانيين في هذه المعركة ابو طالب  
بن داود بن حمدان وابنه وداود بن علي وأسر الفياض كاتب سيف الدولة •  
ثم لما كان الغد طلب الروم شيخين يتفاوضون معهما فخرج اليهم شيخان  
وقال لهما منتصر حاجب المستق اني اردت ان احقق دماءكم فتخيروا اما ان تشهروا  
البلد او تخرجوا عنه بأهلكم ، فاستأذن الشيخان لمشاورة الناس • ولما كان الغد أتى  
الحاجب وقال : لتخرج الينا عشرة منكم لنعرف ما عمل عليه اهل البلد ، فخرج العشرة  
وطلبوا الأمان وتدخل الروم • فقال المستق : صح ما بلغني عنكم ؟ قالوا : ما هو ؟  
قال : بلغني انكم قد اقمتم مقاتلتكم بالازقة مختلفين ، فاذا خرج الحرم والصبيان ودخل  
اصحابي للنهب اغتالوهم • فقالوا : ليس في البلد من يقاتل ، قال : فاحلفوا لي ، فحلفوا  
له • وقد أراد الحاجب بهذا ان يعرف صورة البلد ، فتقدم بجيوشه الى قبالة السور  
فلجأ الناس الى القلعة ونصب الروم السلاط على باب اربعين وباب اليهود وصدوا  
فلم يروا مقاتلة نزلوا البلد ووضعوا السيف وفتحوا الابواب ، وقضي الأمر وعم القتل  
والسبي والحريق ، واستمر هذا ستة ايام • ثم زحف المستق وابن شمشيق على القلعة  
ودام القتال الى الظهر ، فقتل ابن الشمشيق ونحو مائة وخمسون من الروم فعاد المستق  
الى معسكره ونودي : من كان معه أسير فليقتله فقتلوا خلقا كثيرا ثم عاد الى القلعة فاذا  
بطلائع قد اقبلت من كفسرين وكانت نجدة للروم توهم المستق انها نجدة لسيف الدولة  
فرحل خائفا • (١)

ويزيد ابن مسكويه في كتابه "تجارب الأمم" على ذلك ان المستق قد استولى على قصر سيف الدولة قبل استيلائه على حلب فوجد من الورق ٢٩٠ بردة و ١٤٠٠ بغلا كما وجد من السلاح ما لا يحصى ، أخذها جميعا وأحرق الدار والريض وقاتل اهل حلب من وراء السور فقتل عدد من الروم بالحجارة ، وفتحت ثلثة بالسور طمع الروم في الدخول منها ، الا ان اهل البلد تدافعوا لحمايتها ولما جن الليل بنوها وهم يهلمون ويكبرون ، على ان الأمر لم يمض كذلك اذ ان رجال شرطة حلب ذهبوا الى منازل الناس وخانات التجار فنهبوها ، ونيل للناس : الحفوا بمنازلهم فانها قد نهبت فنزلوا عن السور واخلوه ومضوا الى منازلهم مبادرين ليهام افقوا عنها ، فانتهر الروم هذه الفرصة وصعدوا السور واشربوا على البلد ثم نزلوا وفتحوا الابواب وقتلوا كل من لقيم ، ولم يتوقفوا عن القتل الا حين ملوا وضجروا ، وكان في البلد من الروم ١٢٠٠ اسير سرعان ما تخلصوا من اسرهم وبدأوا يساعدون الفاتحين ، فضمهم المستق الى جيشه ، وسبى في هذه الغزوة بضعة عشر الف صبي وصبية ، وأخذ ونهب ما لا يوصف كثرة ومالا يحصى عددا ، فلما لم يبق شي يحمل عليه احرق الباقي بالنار وصب الماء في الحباب الملى بالزيت ففاض على وجه الأرض كما أخرج المساجد وأقام في حلب تسعة ايام توجه ابن اخت الملك بعدها لفتح القلعة الا انه لم يظفر بما تمنى فقتل على باب القلعة ، فأمر المستق بقتل جميع اسرى المسلمين ، وقادر حلب بعد ان قال لأهلها : هذا البلد قد صار لنا فلا تقصروا في العمارة فاننا بعد قليل نعود اليكم . (١)

---

(١) ابن مسكويه - تجارب الأمم ج ٢ ص ١٩٢ - ١٩٤

ويورد كنار عن مخطوط لابن ظافر يصف فيه احتلال الروم لقصر سيف الدولة فيقول : \* ملك الروم دار سيف الدولة بظاهر حلب وذرعها ستة آلاف ذراع واخذ له منها ما لا يحصى من الاموال ، شرح ذلك بـ ٣٠٠ بدره ، ١٠٠٠ عيين و ٢٠٠ ورق و ٣٠٠ حمل من البز الفاخر ومن الديباج الفاخر ما كان ادخره من عهد رومانوس ٥٠ حملا من اواني الذهب ، والفضة ما لا يحصى ، ومن الخيل ٣٠٠ رأس ومن السلاح والمناطق والتجانيف والسيوف مائة حمل ، ومن الجمال نحو ٢٠٠٠ جمل كما نقل سقوف الدار معه لأنها كانت مذهبية \* . (١)

ضعفت قوة سيف الدولة بعد هذه الغزوة بينما قويت شوكة الروم ، ففي سنة ٣٥٢ عبرت الروم الفرات لقصد الجزيرة واغلق اهل الموصل الاسواق واجتمعوا في المسجد الجامع لذلك ، ومضوا الى ناصر الدولة فضمن لهم الغزوة . كما اغلقت الرعية اسواق بغداد وذهبوا الى دار الخليفة ومهم كتاب يشرح مصيبة حلب ، فأخذ الحاجب الكتاب الى الخليفة فقرأه ثم خرج اليهم وعرفهم ان الخليفة قد بكى وانه يقول : قد فمني ما جرى وأنتم تعلمون ان سيفي معز الدولة وأنا ارسله الى هذا . فقالوا : لا نقتع الا بخروجك انت وان تكتب الى سائر الاقاق وتجمع الجيوش والا فانهزل لنولي غيرك . فغاضه كلامهم ثم وجه الى دار معز الدولة فركب هذا ومعه الاثراك وصرف الجمع صرفا فبيحا . ثم جاءت الاخبار بعد ذلك بموت طاغية الروم ( رومانوس الثاني ملك الروم ) (٢) وانهم مختلفون في تسمية الخلف ، فطمع عسكر طرسوس ، فدخلوا ارض الروم في عدد وافر ولغزو وأغاروا عليهم

(١) كنار هـ النخب ص ١٥٤

(٢) بيهر بينز - نورمان - الامبراطورية البيزنطية - ترجمة حسين مؤنس ومحمود زايد -

عليهم وعادوا بغنائم كثيرة ، واذ هم في طريق العودة لاقوا ابن الملائي فاقتلوا  
ونصر المسلمون . (١)

كذلك بلغ سيف الدولة ما وقع فيه الروم من نزاع واختلاف فأغار وأحرق  
وحصل من السبي أكثر من ألفين ، ومن المواشي مائة ألف رأس ، ثم بعد شهر أو شهرين  
توجه سيف الدولة غازيا فسار على حران وعطف على ملطية وسبى وفنم الكنسبر  
ثم خرج بعد ذلك إلى آمد . (٢)

وفي سنة ٢٥٢ هـ ٩٦٤ م ورد الخراساني لنجدة سيف الدولة في غزو  
بلاد الروم . وفي هذه الأثناء كان الدمستق قد هاجم المصيصة ، ولم يظفر بها ،  
وقد تلقت البلدة مساعدة من أهد اذنه وطرسوس ، فانتقم الدمستق من هذين البلدين  
بحرقهما ، وقبل انصراف الدمستق عن المصيصة وجه إلى أهلها : اني منصرف عنكم ، لا لعجز  
عنكم وعن فتح مد يديكم ، ولكن لضيق العلوقة ، وانا عائد اليكم بعد هذا الوقت ، فمن أراد  
منكم الانتقال إلى بلد آخر قبل رجوعي فلينتقل ، ومن وجدته بعد عودتي فقلته . (٣)

وفي هذه السنة أيضا هاجم الروم طرسوس وكاد يؤسر في هذه المعركة الدمستق  
ابن الشمشيق وقد انتشر الوباء بين الروم فمات منهم كثير فاضطروا إلى الرحيل . (٤)

(١) ابن مسكويه - تجارب الأمم ج ٢ ص ٢٠١

(٢) كنار - النخب - ص ١٦٥ - ١٦٦

(٣) ابن مسكويه : تجارب الأمم ج ٢ ص ٢٠١

(٤) ابن الأثير - التاريخ ج ٨ ص ١٨٢

وفي سنة ٣٥٤ هـ ٩٦٥ م ورد الخبر ان نفقور بنى بقيساريه مدينة ، وهي  
تقرب من بلاد الاسلام وان اهل المصيصة واهل طرسوس ارسلوا اليه ان يقبل منهم  
اتاة يؤدونها اليه وان يبعث لهم بواحد من طرفه ليقم بينهم ، ثم علم نفقور ان اهل  
هذه البلدان قد ضعفوا جدا ، فأرسل نفقور احد قواده ففتح المصيصة وأعمل فيها القتل  
والسلب والاسر ، فأسر من اهلها من بقي في المدينة وكان عددهم نحو مائتي الف  
نسمة ، ثم سار الى طرسوس ففتحها صلحا ، وأكرم اهلها وأمرهم بالانتقال عنها وسمح  
لهم بحمل ما يطيقونه من مال وسلاح ، فساروا وسير معهم ثلاثة من بطارقتهم يحمونهم حتى وصلوا  
انطاكية ، وجعل المسجد الجامع بطرسوس اصطبلا لدوابه ، وفقد البلد بطريقا من بطارقتهم  
في ٥٠٠٠ رجل ، وقد عمر طرسوس وجلب اليها الميرة من كل جهة فصار الخبز رطلين  
بدانق ، فدخل اهلها في طاعة الملك وتنمر بعضهم . وقد هدف الملك من كلي ذلك ان  
يجعلها حصنا له ومعقلا يقرب عليه ما يريد من بلاد الاسلام . (١)

وفي سنة ٣٥٥ هـ ٩٦٦ م جرى تبادل الاسرى فنودي محمد بن ناصر الدولة  
وأبونفاس وغيرهما من آل حمدان والقاضي ابو الهيثم بن أبي الحصين وزهير وقطاس  
وغيرهم . اما ابو العشائر فقد مات في الاسر ، ودفع سيف الدولة بجميع اسرى الروم ،  
وفي من المسلمين ٣٠٠٠ أسير اقتداهم سيف الدولة بمبلغ ٢٤٠ الف دينار رومي . (٢)

(١) ابن مسكويه : تجارب الأمم ج ٢ ص ٢١٠ - ٢١٢

(٢) الأنطاكي - التاريخ ص ٨٠٣ - ٨٠٤

ويذكر التنوخي في كتابه " نشرار المحاضرة " عن البيضا " ان سيف الدولة دفع خمسمائة الف دينار في نداء الاسرى ووصلهم في سبيل تحسين احوالهم كل ذلك من ماله الخاص . وكان ذلك خاتم اعماله الحسنة وانعاله الشريفة التي تجاوز الوصف وتفوق العد ، ولما تم له ذلك طلب الى كتابه طالبا منهم الكتابة والاعلام بتعام الفداء . (١)

اثنا عرضي لوقائع الحروب التي جرت بين سيف الدولة والحمداني من جانب والروم مجتمعين من جانب آخر ، استشهدت بمقطوعات شعرية كانت في معظمها من نظم المتنبي . وكانت هذه المقطوعات في الواقع حقائق او سجلات تاريخية ، لما تضمنته من ذكر للمعارك ووصف للغزوات . ولقد اورد صاحب اليتيمة نبذا او مقطوعات اختارها لبعض الشعراء الذين ذكروا او سجلوا وصفا للمعارك دون ان يذكر المناسبة او المناسبات التي قيلت فيها . ولقد بذلت جهدي كي أحقق زمن هذه المقطوعات او المعارك التي قيلت بمناسبتها ولكنني لم أوفق الى ذلك . ولعل من الفائدة ، بل لعله يكون جكا جزا من هذا العمل الدراسي اختيار بعض ما قاله هؤلاء الشعراء حتى نحكم بالنهاية على جودة شعرهم وذلك بمقارنة هذا الشعر بشعر المتنبي .

قال السري الرفاء من قصيدة في مدح سيف الدولة يذكر بعض  
غزوات الأمير : (٢)

---

(١) التنوخي - نشرار المحاضرة واخبار المذاكرة ج ١ ص ٢٥١

(٢) الثعالبي : يجمع بيتة الدهر - ج ٢ ص ١٢١

طلعت على الديار وهم نبات  
وأعدت السيوف وهم حصيد  
فما أبقيت الا مخطافات  
حماها الخصر منها والنهود

٥

وكرر هذا المعنى في قوله : (١)

أفنت ظباك الروم حتى كأنها  
لم تبق الا ظبية أوربها

وله من قصيدة أخرى قوله : (٢)

ولرب يوم لا تزال جياته  
تطأ الوشيح مخضبا ومحطما  
معقودة غرر الجياد بفقعه  
وحجولها مما تخوض من الدما  
يلفك من وضح الحديد موحا  
طورا ومن رهج السنايك ادما  
اند مت تغرس الفوارس جراحة  
فيه وتد هاب الردى أن يقدم  
والندب من لقي الأئمة سافرا  
ونني الأئمة بالعجاج ملثما

واختار صاحب الوفيات للسرى هذه الأبيات : (٣)

تركهم بين مصبوغ تراثيه  
من الدما ومخضوب ذواتيه  
فحائد وشهاب الرمح لاحقه  
وهارب وذباب السيف طالبيه  
يهوى اليه بمثل النجم طاعنه  
وينتحيه بمثل البرق غالبه  
يكسوه من دمه ثوبا ويسلبه  
ثيابه نهوكاسيه وسالبه

(١) الشعالي : يتيمة الدهر - ج ٢ ص ١٢١

(٢) السرى الرنة - الديوان ص ٢٣١

(٣) ابن خلكان - وفيات الأعيان ج ٢ ص ١٠٤ - ديوان السرى ص ١٧



ووصف أبو العباس النامي مسير سيف الدولة بجيشه لعلافة الروم في

أحدى قصائده التي يمدح فيها الأمير الحمداني ، فقال : (١)

نحن أبناء ذا الهوى تسكن الآنـ	مفس منا الوالضنا والزفير
نال منا يوم الفراق كما نالـ	ل من الناكثين سيف الأمير
في خميس للنصرفيه لسوا	عقده من لوائه المنصور
رجله كالدبار وفرسانه كالأسـ	د بأسا ، وخيله كالصقور
وسجايك يا أبا الحسن الغـ	ر واتعابهن شكر الشكور
لوعدا الدهر صاندا لي عن الحـ	ظ وأعلن من جد حال عثور
لتعطرت من غبار مذاكيـ	ك رواحي وكان عطري بكوري
ثم صيرت من دما أعاديك (٢)	خلوتي وكان منه ظهوري
ولقيت المنون تحت عواليـ	سك معدا ذخرا ليوم نشوري
سر على السعد تستظل من الأياـ	م ظلي سلامة وحبور
بين فرضين من جهاد وشهر	انت في الناس مثله في الشهور
سمع النصرفيه أمرك لما	خاطبته الأقدار بالتأمير
انتم دارة العلا يا بني حمـ	دان ، سكان بيتها المعمور
وتسيرون في القنا فترى الآـ	جال مرتابة بذاك المسير
في شوس من الحديد عليها	انجم يفترون فوق بدور
وعجاج كأنه من دخان النـ	د يلقي الهوا بالتعطير

عبق من علامك فكان الأثر  
ض مسك والجور من كانور  
فتحيو بمد حتى فهي ريحا  
نة تبقى بقاء الدهر

ولا بن نباته السعدى في ذم الروم والأشرى منهم قوله : (١)

قد كنت تأسرهم بالسيف منصلنا      نصرت تأسرهم بالخوف والوهل  
من يزرع الضرب يحد طاعة عجباً      ومن يربي العلا يأمن من الثكل  
كانت سحابتك فيهم كل بارقة      حمراً تهطل بالأيدي على القل  
فالأيوم سحبتك فيهم كل بارقة      غراً تهطل بالأموال والحلل  
حتى تمنى ملك الروم حظهم      ورواه معهم في الأشرم يزل

وضمن البيهقي إحدى رسائله عدداً من الأبيات وصف فيها سيف الدولة

بأنه حامي الدين فقال : (١)

كأنما أذخر الرحمن معظمه      دون الملوك لسيف الدولة البطل  
رأه أكرمهم في الخيل أن ذكروا      وصفاً وأفضلهم في القول والعمل  
فهزه وظباً الأسياف مغمدة      واستله غير منسوب إلى القل  
حتى غدا الدين من بعد العبورية      جؤلان يرقل من نعماء في حلل  
فلو تكلم في حال وقيل له      من خبر هذا الوري لم يسم غير علي

---

(١) النعالي - يتيمة الدهر ج ٢ ص ٣٨٨

(٢) النعالي - يتيمة الدهر ج ١ ص ٢٤٦

هذا هو حال شعر الحرب عند بعض الشعراء الذين أقاموا في بلاط سيف الدولة ، وأعتقد ان هذه المختارات التي قد تمثل شعرهم تمثيلا صادقا ، وإذا ما أردنا مقارنة هذه المختارات بما أوردت للمتنبّي في هذا الفصل لتبين لنا اتساع الهوة والفرق بين أسلوب المتنبّي وبين أساليب هؤلاء الشعراء ، فالمتنبّي عندما يصف الحرب فأنما ينقلك معه الى جوار المعركة ، فتحس وأنت تقرأ شعره بأنك انتقلت معه لتعيش في هذا الجو الحربي ، بعكس اصحاب هذه المختارات ، والمتنبّي عندما ينظم القصيدة فانه يجعلها كالبنيان المرصوص ، ولا تستطيع وأنت تقرؤها الا وان تؤخذ بوحدها ، فلا حشرو ولا تزيد بل اختيار لطيف لألفاظ سهلة ، وزيادة على ذلك فان أبا الطيب عندما يصف الحرب فانه يصف جميع مقوماتها ، فيصف السلاح والجنود والجيش والخيال بينما لا يتجدد مثل ذلك في شعر غيره ، وانما نبخسه حقه وفيسته عندما نقارن شعره بشعر هؤلاء .

اما ابو فراس فقد اشترك مع سيف الدولة في حروبه ضد الروم ، وكان قائدا من قواده الحربيين ، ولكننا للأسف لا نستطيع ان نلحق شعره بالمعارك الحربية التي جرت بين سيف الدولة والروم لا لشيء الا لأنها لا تتضمن اشارات الى تلك المعارك .  
قال أبو فراس : (١)

لما برزنا لله مستق مرة	ورأى بوادر خيلنا كالأشهم
طلب النجاة بنفسه فتحكمت	في جيشه الأسياف اي تحكمت
ما كان بعض قلوبنا في جسمه	فيكون اثبت في هضاب يلطم
لولا الجواد الا دهم الناجي به	اضحت قوائم رجله في الا دهم

وقال في وصف سيف الدولة وهو يراغب العدو وهزيمة : (١)

أشد ما أراه فيك أم كرم	تجود بالنفس والأرواح تصطلم ؟
يا باذل النفس والأموال مبتسما	أما يهولك موت ولا عدم ؟
لقد ظننتك بين الجحفلين ترى	أن السلامة من وقع القنا تصم
نشدتك الله لا تسمح بنفس على	حياة صاحبها تحيا بها أم
إذا لقيت رفاق البيض مفردا	تحت العجاج فلم تستكثر الخدم
تندى بنفسك أقواما صنعتهموا	وكان حقهم أن يفتدوك هم
من ذا يقاتل من تلقى القتال به	وليس يفضل عنك الخيل والبهيم
تضن بالطمع عنا ضن ذي بخل	وملك في كل حال يعرف الكرم
لا تبخلن على قوم إذا قتلوا	أثنى عليك بنو الهيجا دونهم
البست ما لبسوا أركيت ما ركبوا	عرفت ما عرفوا علمت ما علموا
هم الضوارس في أيديهم أسل	فإن رأوك ناسد والقنا أجسم

ولما أتى رسول ملك الروم يطلب الهدنة ، أمر سيف الدولة بالركوب بال سلاح  
فركب من داره ألف غلام ملوك بالف درع مذهب على ألف فرس عتيق ، وركب الناس  
والقواد على طبقاتهم - وكان فيهم أبو فراس - حتى طبق الجيش جبل جوشن وما  
حوله فقال أبو فراس في ذلك : (٢)

---

(١) أبو فراس - الديوان ج ٣ ص ٢٥٧ - ٢٥٨

(٢) الأمين - أبو فراس الحمداني ص ٩٩ - الديوان ج ٢ ص ٦٥ - ٦٦

علونا جوشنا بأشد منه	وأثبت عند مشتجر الرماح
بجيش جاش بالفرسان حتى	ظفنت البربحرا من سلاح
والسنة من الغمديات حمر	تخاطبنا بأنواء الرياح
وأروع جيشه ليل بدسيم	قليل الصبح ما بين الصباح
فكان ثباته للقلب قلبا	وهيبته جناحا للجنح

ولعل أجمل اشعار أبي فراس أسريته التي قالها حين وقع أسيرا في أيدي  
الروم ، ولقد أسرا أبو فراس مرتين ، الأولى بمغارة الكحل سنة ٣٤٨ هـ ٩٥١ م  
وما تعدى به الروم خرشنة ، ويقل في هذا الأسرانه ركب فرسه وأركضه برجله فأهوى  
به من أعلى الحصن الى الفرات (١) وفي ذلك يقول : (٢)

ان زرت خرشنة أسيرا	فلقد حللت بها مفيرا
ولقد رأيت النار تنف	تهب المنازل والقصورا
ولقد رأيت السبي يج	لعب نحونا حوا وحورا
من كان مثلي لم يبت	الا أسيرا أو أميرا
ليست تحل سراتنا	الا الصدور أو القبورا

(١) ابن خلكان : وفيات الأعيان ج ١ ص ٣٥٠

(٢) أبو فراس : الديوان - ج ٢ ص ٢٠٨

أما المرة الثانية التي أسرف فيها فكانت في منبج سنة ٣٥١ هـ ٩٦٢ م وكان  
واليا عليها ، وحمله الروم الى القسطنطينية حيث أقام أربع سنوات نظم خلالها كثيرا  
من الشعر معظمه في عتاب سيف الدولة والحنين الى أمه . (١)

بعث الى سيف الدولة معاتباً فقال : (٢)

دعوتك للجفن القريح المسهد      لدى ، وللنوم القليل المشرد  
فيا ملبسي التعمى التي جل قدرها لقد اخلقت تلك الثياب فجرد  
الم تراني فيك صاقت حدا      وفيك شرمت الموت غير مفرد  
وكتب الى أمه صهيجة وقد ثقل من الجراح التي ألمت به (٣)

مصابي جليل والعزاء جميل      وظني بأن الله سوف يدبيل  
جراح تحامها الأناة مخافة      وسفمان باد منها وه خيل

---

~~وصرنا نرى~~ ان المتارك محسن      وان خليلا لا يضير وصول  
تصفحت احوال الزمان فلم يكن      الى غير شاك للزمان وصول

وكتب الى سيف الدولة من قصيدة : (٤)

(١) ابن خلكان - وفيات الأعيان ج ١ ص ٣٥٠

(٢) ابو فراس : الديوان - ج ٢ ص ٧٥ - ٨١

(٣) لغز - - - ج ٢ ص ٣١٢ - ٣١٦

(٤) - - - ج ٣ ص ٣٢٢

يا فارح الكرب العظيم م وكاشف الخطب الجليل

كن يا قوى لذا الضعيف م ويا عزيز لذا الدليل

ويستمر أبو فراس في أسره يحن الى بلده الذي آواه ، وابن عمه الذي رياه  
وعاش في حماه ، واصدقائه ، وأمه الرؤوم ، فينظم في هذا الحنين والشوق شعرا رقيقا  
صادقا يصف فيه ما يعانيه من ألم الوحدة والفراق ، فراق اهله وذويه ، ولعل فراق أمه  
وشوقها اليه كانا اشد مضاضة على نفسه من أى ألم آخر وهو يقول في ذلك : (١)

### توليد

لولا العجز بمنيج	ما خفت اسباب المنية
ولكان لي عن سأل	ت من الفدى نفس أبية
كن اردت مرادها	ولو انجذبت الى الدنية
أمت بمنيج حرة	بالحزن من بعدى حرية
فيها التقى والديني مج	معاك في نفس ذكوية
لا زال يطرق منبجا	في كل غادية تحسية
يا أمنا لا تحزني	وثقي بفضل الله فيه
يا أمنا لا تيأسي	لله الطاف خفيه
أوصيك بالصبر الجميل	فانه خير الوصية

(١) أبو فراس : الديوان ج ٣ ص ٤٣٣ - ٤٣٥

ويروى أن أمه كانت تخرج إلى طريق القوافل ~~المطوية~~ المارة بمنبج فتسأل  
عنه الركبان ، ثم لما أعياها ذلك خرجت إلى حلب ودخلت على سيف الدولة سائلة  
أياء فداء ابنها وهي تضرع إليه وتشكو ، (١) وظاهر من قوله :

لكن أردت مرادها                      ولو أنجذبت إلى الدينه

أقول ، ظاهر من قوله هذا ، أن أمه هي التي ألحت عليه في طلب الفداء من  
سيف الدولة .

قال أبو فراس وقد سمع حمامة تنوح بقربه على شجرة عالياه فبثها الشكوى  
وناجاها بقوله : (٢)

أقول وقد ناحت بقربي حمامة	أيا جارتى هل تشعرين بحالسي
معاذ الهوى ما ذفت طارقة الهوى	ولا خطرت منك الهموم ببالي
اتحمل محزون الفؤاد قوادم	على غصن نائي المسافة عالياي
أيا جارتى ما انصف الدهر بيننا	تعالى أفاطك الهموم تعالي
تعالى ترى روحا لدى ضعيفة	تردد في جسم يعذب بالي
ايضحك مأسور وتبكي طليقة	ويسكت محزون ويندب سالي
لقد كنت أولى منك بالدمع مقلّة	ولكن دمعى في الحوادث فالي

(١) المحاسني - شعر الحربي أدب العرب - ص ٢٦٢

(٢) أبو فراس - الديوان - ج ٢ ص ٢٢٥



وكتب ابو فراس الى سيف الدولة : مفاداتي ان تعذرت عليك فأذن لي  
في مكاتبة اهلي خراسان ومراسلتهم ليفادوني وينوبوا عنك في أمري . فأجابه سيف  
الدولة بكلام حسن ( كذا بالأصل ولعل الأصح خشن ) وقال له : ومن يعرفك  
بخراسان ؟ فبعث اليه ابو فراس : (١)

أسيف الهدى وقريح العرب	الام الجفا وقيم الغضب ؟
وما بال كتبك قد اصبحت	تنكبي مع هذى النكب ؟
وانت الكريم وانت الحلم	وانت العطف وان انت الحذب
وما زلت تسعدني بالجميل	وتنزلني بالمكان الخصب
وانك للجبل المشمخر	لي بل لقومك جبل للعرب

---

وان خراسان ان انكرت	علاى فقد عرفتها حلب
ومن أين ينكرني الأبعدون	أمن نقص جد ؟ أمن نقص أب ؟
أست واياك من أسرة	وبيني وبينك عرق النسب ؟

وأحفظ ابو فراس الدمستق في مناظرة جرت بينهما ، قال له الدمستق :  
اننا انتم كتاب ولا تعرفون الحرب ، فقال له ابو فراس : نحن نطأ ارضك منذ ستين سنة  
بالسيوف ، أم بالأقلام ؟ ثم قال : (٢)

(١) ابو فراس : الديوان ج ٢ ص ٢٥ - ٢٧ × البيتية ج ١ ص ٧١ - ٧٢

(٢) ابو فراس : الديوان ج ٢ ص ٢٦ - ٢٨ - البيتية ج ١ ص ٨١ - ٨٢

اتزعم يا ضخم اللغاديدي اننا ونحن اسود الحرب لا نعرف الحربا

و

والواقع ان ابا نراس استعان في هذه الفصيدة بلهجة التنديد ، فهو  
يخاطب المستق مذكرا اياه بالوفائع والحروب العاضية التي جرت بين العرب  
والروم ، ومعيدا الى ذاكرة المستق بعض نتائج هذه المعارك ، ومخاطبته له  
لا تخلو من التهمك ، فهو يبدأ الفصيدة بلهجة الناكر لكرامته فيقول :

اتزعم يا ضخم اللغاديدي اننا ونحن اسود الحرب لا نعرف الحربا  
فويلك ! من للحرب ان لم نكن لها ومن ذا الذي يضحى ويمسي لها تريا ؟  
ومن ذا يكف الجيش من جنبااته ومن ذا يقود العمى او يصدم الغلبا ؟

ويذكر المستق ببعض الحوادث التي اصابته عائلته مباشرة فقتل اخوه ، وأصيب  
وجه والده ببعض الجراح ، ويدعو للمستق بالويل لعدم تذكره وثاني ابن اخته ، واركانه  
هو نفسه للهرب من وجه الجيش العربي ، فاذا كان المستق قد نسي ذلك فليسأل بعض  
اقاربه وليسأل اهل بعض المدن المجاورة للعرب ، فيقول :

وويلك ! من أردى اخاك بمرعش وجلل ضريا وجه والدك العضا ؟  
وويلك ! من خلل ابن اختك موثقا وخلاك باللقان تبندر الشعبا ؟  
اتوعدا نا بالحرب حتى كأننا واياك لم يعصب بها قلبنا عصبنا  
لقد جمعنا الحرب من قبل هذه فكنا بها أسدا وكنت بهد كلسا  
وسل برد ، سل عنا اباك وصهره وسل اهل برد اليس اعظمهم خطبا ؟  
وسل فرقاشا والشه فق صهره وسل سبطه البطريق اثبتهم قلبا ؟  
وسل صيدكم آل الملايين ، اننا نهينا ببيض الهند عرغمهم نهبا ؟

وسل اهل بهرام واهل بلنطس      وسل آل شنوان الخناجرة الغليا ؟  
وسل بالبطر صيس العساكر كلها      وسل بالمسيطرناطس الروم والعربا ؟

يقول ابو فراس فليسأل هؤلاء ألم تكفهم سيوفنا قتلا ، اكنا نقتلهم بالسيوف  
أم بالأقلام ، واذ اشدت ان تفاخرنا بالضراب والطعان فلا شك ~~في~~ في انك كاذب .

الم تكفهم قتلا ونهبنا سيوفنا      وأسد الشرى الملاى وان جمدت رعبا ؟  
بأقلامنا اجحرت أم بسيوفنا ؟      وأسد الشرى قدنا اليك أم الكتب ؟  
تفاخرنا بالضرب والطعن والقنا      لقد اوسعتك النفس يا ابن استها كذبا  
عن الله اوفانا - اذا قال - ذمة      وأنفذنا طعنا وأثبتنا غسربا

ولست أرى سببا للاحاح ابي فراس على سيف الدولة بالفداء ، ولقد كان هذا  
الفداء نقطة ينقذ منها الحاسدون والكائدون الذين كانوا يؤثرون بقاؤه في الأسر ، فأخذ  
بعض المؤرخين يزعم ان سيف الدولة جاني ابن عمه وقعد عن فدائه ، وفات هؤلاء ان يعرفوا  
الحالة السياسية والاجتماعية التي كان عليها سيف الدولة آنذاك ، فحلب مهدمة ورجال سيف  
الدولة منكفون عنه ، وماله الذي كان في قصر الحلبة منهوبة وعلماته زيادة على ذلك  
يتريصون به . هذه العوامل هي التي أخرجت هذا فداء سيف الدولة لأبي فراس وغيره  
من اعزاء سيف الدولة ، ففي الأسر زيادة على أبي فراس ابوالعشائر (وكان قد توفي في الأسر)  
ومحمد بن ناعر الدولة ، وابو الهيثم بن ابي الحصين الرقي قاغي حلب . (١) وما أن  
توفرت سبل الفداء لسيف الدولة وكان ذلك سنة ٢٥٥ حتى سارع الى ذلك ودفع من ماله  
الخاص الشيء الكثير . (٢)

(١) المحاسني : شعر الحرب في أدب العرب ص ٢٦٨ - ٢٦٩

(٢) فصلت ذلك في صفحات السابقة

على كل فان تأخير النداء ان أنادنا بشي' فاننا انادنا واتحفنا بهذه الاشعار  
 الرقيقة التي نظمها ابو فراس في أسره . هذا الشعر الرقيق العذب يقول عنه الاستاذ  
 آدم متر : \* ولست ارى في القصائد ، التي قالها في سجنه ببلاد الروم ، الا انها نشر  
 مسجوعه واذا وجدنا من يبالغ في امتداحها من المؤلفين كالصاحب والشعالبي فهذا برهان  
 جديد على ضعف الفارق بين الكاتب والشاعر . (١)

ان الاستاذ متر لا يكتفي هنا بانتقاد شعراي فراس ، بل انه يجرح رأى  
 شخصيتين من الشخصيات الأدبية الهامة التي عاشت في القرن الرابع الهجري . ترى ما هي  
 الثقافة النقدية التي تخول الاستاذ متر ان يقول مثل هذا القول عن شعراي فراس ؟ ان الفقد  
 ونقد الشعر العربي - بصورة خاصة - يجب ان يكون وثقا على الناطقين بالضاد وحدهم ،  
 لأنهم اعلم بدقائق لغتهم من غيرهم من الأجانب - مع احترامنا لهؤلاء الاساتذة .  
 فهم قد أدوا خدمات جليلة للتراث العربي لا يمكن انكارها - وزيادة على ذلك فان العربي  
 عندما يسمع مثل هذا الشعر تهتز اوداجه طربا ويميل تشوة ويتيه فخرا .

ولا بد لي ، وقد انتهيت من هذا العرض لحالة شعر الحرب في بلاط سيف  
 الدولة من ان أقف وفتين ، أولاها وقف مقارنة بين شعر المتنبي في حروب سيف الدولة  
 ضد القبائل العربية وشعره في محروب سيف الدولة ضد الروم . فلقد كان أمرا جديرا  
 بالاهتمام ان نلاحظ ان المتنبي في شعره عن حرب القبائل لجأ الى اسلوب الساسة في  
 ايامه ، فهو قد اقتفى اثر معاوية الذي لم يقطع الشعرة ، فهو يطالب سيف الدولة بجزر

---

(١) متر : الحضارة الاسلامية في القرن الرابع الهجري ج ١ ص ٣٨١

القبائل ويطالبه بعد ذلك بالرافة والعنو والتسامح مستثيرا في سيف الدولة عاطفته العربية ، وهو على نقيض ذلك في شعره في الروميات اذ تحس وانت تقرا روميته بأنه موصور لما حدث بل انه يطلب من سيف الدولة أخذ الروم بالشدة والعنف ، كذلك تحس وانت تقرا شعره في حرب القبائل . العربية انه يبرز لنا سيف الدولة بالتسامح العاني عن الظالمين ، الراد على نساء العرب حريتهن لأنهن حرمة بينما تحس وانت تقرا روميته بأنه اظهر سيف الدولة يعظمه القائد الذي لا يلين كأنه الحديد ، والحاكم الذي يأخذ أعداءه بشدة لاهوادة فيها ، يسبي من النساء ما شاء لأن ذلك حق من حقوق الحرب في ذلك العصر .

اما الوقفة الثانية التي لا مفر منها فهي ابراز الخصائص المميزة للروميات . ولقد كانت الروميات سجلا تاريخيا صادقا للحروب التي جرت بين الأمير الحمداني وملوك الروم فالمتنبي في قصائده مؤرخ صادق يذكر لنا الحقائق التي يعلمها عن الجيوش والأسلحة والمعدات التي كانت خاصة بالروم ، فالجيش مؤلف من خليط عجيب من الناس لا يمكن التفاهم فيما بينهم الا بالترجمين ، والسلاح والمعدات أمر غريب لم يكن يتعمله العرب في حروبهم . وتميزت الروميات كذلك بالوصف الواقعي الدقيق حتى انك تنتقل الى وسط المعركة اثنا قراءتها ، فتركب الخيل مع من ركب وتنتقل معهم اينما انتقلوا ، وتضرب كيفما ضربوا ، وقد برز في هذا الأمر ابو فراس وابو الطيب . حتى ارتفعت قصائد الأخير الى درجة الملاحم . كذلك ابرز لنا شعر الحرب ضد الروم أن العرب على الأقل كانوا يعتبرون هذه الحروب حروبا تقوم بين الاسلام من جهة والشرك من جهة ثانية ، وخلقوا لنا من سيف الدولة زعيما اسلاميا رفعه الاسلام في رفعة وانتصاراته ،

وأكد أقول ان هذه الأشعار جعلت من هذه الحروب نقطة الانطلاق للحروب الصليبية . وأخيرا أقول ان هذه الأشعار أكدت بل شددت على اظهار سيف الدولة قائدا ومحاربا لا تلين له قناة ، شجاع حتى تكاد شجاعته تؤدي به الى الموت .

هذا هو شعر الحرب في بلاط سيف الدولة ، رنع لواء شاعران عربيان قال الاستاذ بلاشير عن شعر أحدهما : " ان قصائد المتنبي الحربية ترتفع الى جلال وعظمة الملاحم ، وهو جلال وهي عظمة ، لا مثيل لهما في الشعر العربي من قبل " . (١)

ورأى في مكان آخر ان سيف الدولة مصاب بهوى الحرب ، وعبر المتنبي عن حقيقة هذا الهوى ، بل ظل يهدد آمال سيف الدولة العظام في العزة والنصر طيلة عهده معه . (٢)

وزاد على ذلك بقوله : " ان صوت المتنبي ليطن مجلجلا وقويا في قصائد الحربية وكأنه صوت اولئك البرابرة الجرمانيين الذين تملأ نفوسهم نوحا أنات وحشرجات أعدائهم المقتوليين " . (٣)

(١) حاشد الحشور .

(٢) المصدر السابق ص ١٢٢

(٣) المصدر السابق ص ١٨٣

ويؤيد الاستاذ كزار هذا الرأي ، بل يزيد عليه بقوله : " ان المتنبي كان أعظم شاعر عربي خلد حروب العرب مع البيزنطيين ، ويز في ذلك كل شاعر قبله قال الشعر في حرب الروم . والمتنبي في ذلك نسيج وحده ، ولعل قصيدته الميمية المثل الأعلى عند أبي الطيب في سيف الدولة ، ولعلها المثال الذي يجب اتباعه في القصص الحربي ، فان المتنبي كان يرسم كل حركة من هذه المعركة بعبقريته المصورة الجبارة " . (١)

ويرى الاستاذ احمد امين ان سيف الدولة فارس ، وكذلك المتنبي ، يعيش الخيل والضرب والطعان ، فاذا نظم المتنبي في الغزوات والقتال والشجاعة والحرب نانا يستمد ذلك من نفسه ومن شعره لا من الفاظ حشاها في رأسه ينظمها ولا تتصل بقلبه . (٢)

اما الدكتور شوقي فيرى ان المتنبي في شعره يندفع متغنيا ببطولة سيف الدولة ، وهو غنا لا شك في انه ينفس عن كل نفس عربية تأبى الضيم ولا تحتمله ، الا انه في هذا الغنا عبر عن طموحه واعتداده بنفسه وترفعه عن كل ما حوله . (٣)

ولقي كل من الشاعرين وجهه في وهو في ساحة القتال يدافع عن نفسه ، فقد كمن نارك في نفر من قومه لأبي الطيب ونازله وقتله ، (٤) وغدرا أبو المعالي يخاله أبي فراس فقتله ، (٥) رحم الله الشاعرين وطيب ثراهما .

(١) مقالة الاستاذ كزار ص ٩٩

(٢) امين - احمد ، فيض الخاطر - القاهرة سنة ١٩٤٩ - ج ٤ ص ٧٩ - ٨٠

(٣) شوقي - غيف - شوقي ، الفن ومذاهبه في الشعر العربي - بيروت سنة ١٩٥٦ ص ٢٦٤

(٤) ابن رشيق - ابو علي الحسن : العمدة القاهرة سنة ١٩٥٥ ص ٧٥ ، ايضا البديعي الصبح المبني ص ٧٩

(٥) ابو الفدا - المختصر في اخبار البشر ج ٢ ص ١٠٨

## اثر البلاط في الشعر والشعراء

### ٤ - شعر الوصف

حيى الله سبحانه حلب بفسط وافر من جمال الطبيعة ، وكان امرا مقضيا ان يتأثر الشعراء بهذا الجمال فيحاولوا وصفه . وتعددت اغراض الوصف عند شعراء بلاط سيف الدولة ، فوصفوا الطبيعة والزهور ، ووصفوا فصل السنة وما تنفر عنها من ثلوج وامطار وخضرة . كما وصف قسم من الشعراء مظاهر الحياة الاجتماعية بما فيها من مجالس الشراب وما تنفر عن هذه المجالس من دعوة اليها ، ووصف للخمر وكووسها ، ولم يكن هذا الامر مستحدا وسأبين ذلك في مكانه ، ووصف قسم آخر رحلات السيد وهي مظهر آخر من مظاهر الحياة الاجتماعية كما وصف قسم آخر بعض مظاهر الحياة العامة .

ولعل من الجدير بالذكر في هذا المقام القول بأن المصادر التي انتخب منها هذه النخب في شعر الطبيعة والوصف لم تشر من قريب او من بعيد الى ان الشاعر انشد سيف الدولة هذه القصيدة او تلك ، او ان الشاعر نظمها لينشدها في مجالس سيف الدولة . ولكن تصورى للموضوع بقودني الى القول بأن هذه المقطوعات نظمت في بيئة حمدانية هي بيئة حلب التي كان يحكمها سيف الدولة ، وان الشعراء هم شعراء سيف الدولة انفسهم .

---



فلا شك في ان سيف الدولة استمع في مجالس سمره الى بعض من هذه المقطوعات ، اذ لا يمكن ان يكون كل الشعر الذي ينشد في المجالس شعرا حريبيا او شعرا في المديح ، ولعل الطبيعة الانسانية تحتم تنوع مواضيع هذه المجالس فحظي شعر الوصف بنصيب قد يكون قليلا ، من ذلك النوع

( ١ ) وصف الطبيعة والزهور :

تغنى الصنوبري ، وهو ابو بكر محمد بن احمد بنهر قوين وجعل له موائيقا  
وعهودا ، واضفى اليه صفة الامان لقلعة الماء فيه الامر الذي لا يعرض انسانا  
للغرق ، فجعل محاسن غيره من الانهار مساوي يترفع عنها نهر  
قوين الصغير ، فلا سفن تعكر صفوه وهدوءه ولا تماسيح تغترس زواره ومرتاديه ،  
ولا سمك فيه بل ضائع تلاء الجو بنقيتها فيقول : ( ١ )

قويني له عهد لدينا وميثاق	وهدي العهود والموائيق ادواق
ففي الخوف انا لا غريق نرى له	فنحسن على امن وذا الامن ارزاق
ونزهد ان لا سفينة تمنطي	مطاه لها وخذ عليه واعناق
وان ليس يعتناق التماسيح مشربه	اذا اعتناق شرب النيل منهن معتاق

( ١ ) ابن الشحنة ، محب الدين محمد : الدر المنتخب في تاريخ مملكة حلب ببيروت سنة ١٩٠٩

ولا فيه سلور ولو كان لم أكن  
 ارى انه الا حميم وغساق  
 بل تقتلي النسبج في جنباته  
 علاجم بالنسبج مذ كن حذاق  
 اقامت به الحيتان شونا ولم تزل  
 تقام على شطيه للطير اسواق  
 وسربل بالارجاء مثنى وموحدا  
 كما سربلت غصنا من البان اوراق  
 وفاضت عيون من نواحيه درف  
 ولما تعاونها جفون **وآفاق**  
 ويمضي الصنوبرى في وصف ماء النهر "فهذا الماء صاف كالبلور" لامح كاللؤلؤ" ،  
 اذا ما عبث النسيم فانه يخلق في صفحته سبيونا ودروعا **تتطويع** فيقول :

هو الماء ان يوصف بكنه **صفاته**  
 فللما اغضا له واطراق  
 ففي اللون بلور وفي الملح لؤلؤ  
 وفي الطيب تحريد وفي النفع درباق  
 اذا عبث ايدى النسيم بوجهه  
 وقد لاح وجهه منه **ابيض** يراق  
 فطورا عليه منه زرق حقيقة  
 وطورا عليه جوشن منه رقرق  
 ويستمر الصنوبرى في وصفه للوازم النهر فيصف زهرة اللينوفر واوراقه التي تعطر  
 الجو فيما يحيطه فيقول :

وكم بعده لينوفر متمشوف  
 بارق من تبر والزبد **حيد** اعناق  
 له ورق يعلو على الماء مطبق  
 كاطباق مدهون يكهن اطباق  
 ويقول بعد ذلك ان بعض الناس يعييون عليه غيابه الا انه لا يطيل غيبته فهو يذهب ليعود  
 كالصيف والسمج والبدر "والورد في غيبته" ولولا هذا الغياب لما اشتاق اليه احد :

وقد عابه قوم وكلهم له      على ما نعاطوه من العيب عشاق  
 نهاب قويق ان يمل فانما      يقيم زمانا ثم يمضي فمشاق  
 وقالوا اليس السيف يبلي لباسه      فقلت الفتى في السيف يقنعه طاق  
 وملا المسبح الا آتب ثم نائب      تواريه آفاق <sup>ويطيه</sup> ~~ويطيه~~ آفاق  
 ومك البدر الا زائد ثم ناقص      له في تمام الشهر حبس واطلاق  
 ولو لم تداول غيبة البدر لم تنق اليه      قلوب تائفات واحداق  
 فلو دام في الحب الوصال ولم يكن      فراق ولا هجر لما اشتاق مشاق  
 قويق رسلي الخيث يأتي وينقضي      ويأتي انيلاقا تارة ثم ينساق

وينقضي كشاجم بنهر قويق ويتنزل به ، ويصف الزهور والورود التي نبتت على جانبه فيقول : ( ١ )

والارض تكسى بزهر الر      باض وشيا معهد  
 كأن خرر عينا      بها يضاهكن خرر

.....

وحمرة في شقيق      وخضرة في زبرجد  
 واقحوان كعقد      من لؤلؤ قد تبدد  
 والنرجس الغض يونو      الى ابهار المضد  
 كما ~~استار~~ حبيب      الى حبيب بموعد .

أما النهر فيظهر أنه مطروب لهذا الغزل الذي يجري بين أبنائه الأزهار فتراه  
يسير تارة معتدلا وتارة أخرى ملتويا فيقول :

والنهر بين اعتدال	من سيوة وتأود
كأنه تلو	ثم استوى وتمدد
كأن فيه سيونا	مهندات تجرد
فتارة هي تنصب	وتارة هي تتمد
كأن لغيلوفر النهر	مر فيه سراج توقد
طورا تضئ وطورا	لشدة الريح تتمد

وقال الصنوبري في وصف سرير من الشقيق أحاط به ورد أبيض: (٢)

قد أحرق الورد بالشقيق	خلال بسستانك الانيق
كأن حوله وجوه	مستشوفات الى حريق
وقال أيضا: (٣) وكأن محمر الشقي	حق اذا تصوب او تصعد
اعلام ياقوت نشر	ن على بساط من زبرجد

والصنوبرى معجب الى حد بعيد جدا بالازهار والاشجار ، وخصوصا  
عندما يأتي الربيع فتبدأ الازهار في النمو، فينمو الورد والنرجس ومن شدة  
اعجابه بالازهار يتمنى لو كان يملك حق صيانة الرياض ليمنح اللثام من  
ارتبادهما والمشي على ما فيها من ازهار فيقول : ( ١ )

ما للربى قد اظهرت اعجابها	يا ريم قومي الآن ؟ ويحك فانظري
فالاّن قد كشف الربيع حجابها	كانت محاسن وجهها محجوبة
يحكي العيون اذا رأت احبابها	ورد بدا يحكي الخدود ، ونرجس
بلق الحمام <b>مشيلة</b> اذ نابها	ونياب باقلا* يشبه نوره
قد شممت عن سوقها انوابها	والسرو تحسبه العيون غوانبا
خود تلاعب موهنا اترابها	وكان احداهن من نفح الصبا
يوما لما وطئ اللثام ترابها	لو كنت املك للرياض صيانة

وينصب الصنوبرى من النرجس ملكا على الازهار فيقول : ( ٢ )

ام من تلاحظهن وسط المجلس	ارأيت احسن من عيون النرجس
قضب الزمرد فوق بسط السندس	دور تشتت عن يواقيت على
من زعفران ناعمات الملمس	اجفان كافور حفن باعين
بشموس افق فوق غصن الملمس	فكانها اقمار ليل احدث

( ١ ) الكتيبي ، ابن شاعر : نوات الوفيات القاهرة سنة ١٩٥٥ ج ١ ص ١١١ - ١١٢

ج ١ ص ١١١ .

( ٢ ) الكتيبي " " " " " " " " " " " "

وللصنوبرى مقادعة لطيفة تخيل فيها مفاخرة جرت بين الورد والنجس  
والنجس يفاخر بأن له عينين بينما يود عليه الورد بأن حمرة الخدود افضل  
بكثير من عينين تكسوهما صفرة البوقان (٣)

زعم الورد انه هو ابيهى من جميع الانوار **والعرجان**  
فاجابته عين النجس الغضى (م) بذل من قولها وهوان  
ايها احسن النور ام سقى سلة رثم مريضة الاجفان ؟  
أم فماذا يوجبو بحمرته الو رد اذا لم يكن له عينان  
فجزها الورد ثم قال مجيبا بقياس مستحسن وبيان  
ان ورد الخدود احسن من عي ن بها صفرة البوقان

بل ان الصنوبرى تصور معركة جرت بين الازهار واخذ كل نوع في ابراز محاسنه  
**وكأنها عبيد** تتفاخر بالجمال ؟ اما الجميلة فانها تخفي الطرف وتكسي خدودها بحمرة  
الخجل خوفا من الحسد فقال : (١)

خجل الورد حين لاحظته الفر جس من حسنه وغار البهار  
فعلت ذاك حمرة وعلت ذا حمرة واعتري البهار اصفرار  
وله ايضا بعض القوائد في وصف د يوزكي ؟ ضمنها وصفا لالزهار ؟ ففي واحدة منها  
جمع بين **وصف** الروض والزهر والمياه الجارية والفزل في براعة من القول ومهارة في الصياغة  
فقال منها : (٢)

(٣) الطباق : اعلام النبلاء ج ٤ ص ٣٥ . الكشي نوات الوفيات ج ١ ص ١١١ .

(٢) الديارات ص ١٤٠

كأن الأرض في حمر وصفه عروس تجتلي في حلتين .

وله قصيدة أخرى **صهبت** مجموعة كبيرة من الازاهير بحيث بدت كطاقة جميلة  
منسقة الحواشي مزينة الاطراف جمع الشاعر فيها بين الاقحوان والسوسن  
والشقيق والبهار والآذريون والنرجس والمعنور والنسرين والورد والخزامي  
والقيصوم ومطلعها : (٣)

يا نديعي اما نحن الى القصـ ف فهذا اوان يبدد الحنين

.....

وبدا النرجس البديع كمنـ ل عيون تنو اليها عيون  
ما ترى جانب **الهي** وقد اشدـ قدق فيه الخبى والنسرين  
صاح فيه **الهزار** ناح به القمر ي غنى في جوه الشفتين  
فلهذا قيصومه ، وخزاما ه وذا الورد فيه الياسمين

وقد اهدى شاعرنا الصنوبرى وردا من صديق له ، فرد عليه بقصيدة في مدح الورد  
خلع عليه فيها من الصفات الجميلة الشيء الكثير ، بل انه جعل من هذه الهدية  
التي اهديت له ضرة للنجوم والمسك والعنبر والكافور ، بل حفر فيها من **عسل** الازهار  
الاخرى فقال : (١)

(٣) الديارات ص ١٤٢ - ١٤٣

(١) ل الشكمة - المصدر السابق ص ٣٤٧ - ٣٤٨ عن مخطوط لد يوان الصنوبرى

خطيرة من سيد خطير	باكورة طريفة البكور
عن مفتنة كنبذ ورد جوري	الى فريد الشكل والنظير
جاءت فكانت ضرة النجوم	في لون خد الشادن الغريب
في طبق ابدع في التصوير	والمسك والذئير والكافور
اخف في الكف من التمثير	قضيانه كاعظام المهجور
يهلك فيه بصر البصير	كانما مند يله من نور
طل لده الزهر كالاسير	فما يراه سوى الضمير
وفجعة الاتوج بالسرور	اما رأيت ذلة المنثور
وبكها في هيئة المذعور	هجلة التفاح في الحضور

يُكاد يستعدي الى الامير

حقا لقد كان الصنوبري شاعر الطبيعة ولو قدر لشعره اني يجمع في ديوان محقق

مطبوع . لوجدنا ان الصنوبري شاعر الطبيعة بلا منازع . اما بقية الشعراء فقد تعرضوا

لوصف الطبيعة والزهور ، ولكنهم لم يتفرغوا لذلك بل لم يخلقوا في هذا المجال كما خلق الصنوبري ،

وقد قال السري الرفاء في وصف زهرة اللينوفر ( ٢ )

صفر مدار نصيبها شرف	مفتضح عند نشرها العطر
تحملها خيزرانة ذبلت	ذبول صبا اذله الهجر
كأنها اذا زهت بالسنة	انطقها للمهين الذكر
خناجر من جناجر تزعت	فهي من الماء آدم حمر



144

هات التي هي يوم البعث اوزار  
اما ترى الورد قد باح الربيع به  
وكان في خلع خضره فقد خلعت  
كالنار في الحسن عني شربها النار  
من بعد ما مر حول وهو اضممار  
الا عرى اغفلت منه وازرار

وسار السرى على نفس النهج في وصف النرجس؛ اى انه يطلب الخمر اولاً ثم ينتقل  
بعد ذلك الى وصف النرجس بعد ان ازاخت الارض الخطاء عنها فقال (٢)

هذا اوان نمار لهـ  
ان السفار صغيرة  
سفرت لنا الدنيا وكم  
ورأيت نرجسها على  
ان حل حل السرور  
ما كان قبل كانه  
لكنه ازرى بها  
سوك فاجن بالكأس النمار  
فاغش الكبائر والكبار  
القت محاسنها الخمار  
لباتها حليا معارا  
به مخيما او سار سارا  
معرض العيون لها شعارا  
نعرضن ذالا وانكسارا

ولم يفت الببغاء ان يجارى زملاءه الذين وصفوا الازهار بوصف الورد والنرجس  
فجاء هذا الوصف عذبا رقيقا ٤ ووصف الورد عند الببغاء مقتون بوصف للرئيس  
ودعوتة للشراب فقال ( ٣ )

(١) السرى الرفاء : الديوان ص ١٤١ .

• ١٤٥ ص : " " (٢)

( ٣ ) النعالي : بتيمة الدهر ج ١ ص ٢٦٤ - ٢٦٥

زمن الورد اظرف الازمان	وأوان الربيع خير أوان
ادرك النرجس الجنى ونزنا	منهما بالخدود والأجنان
اشرف الزهر زار في اشرف الده	سرفصل فيه اشرف الاخوان
وأجل شمس العقار في يد بدر الـ	حسن يخدمك منهما النيران
وأدرها عذرا وانتهمز الـ	كان من قبل عائق الامكان
في كؤوس كأنها زهر الخشـ	خاشضمت شقائق النعمان
واختدعها عند البزال م	بألفاظ المثاني ومطربات الاغاني
فهي أولى من المرائس ان زد	ست بعزف النايات والعيداني

كذلك شبه البيضا النرجس بالكأس البيضاء حوت الراح الصفراء ، وبعد ان ينتهي

من هذا التشبيه يدعو الى الشراب فيقول : (١)

ونرجس لم يعد مبيضه الـ	كأس ولا اصغره الراحا
تخال اقحاف لجبين حوت	من اصفر العسجد اقداحا
كأنما تهدى التحايا به	لطفنا الى الأرواح ارواحا
يلهي عن الورد اذا ما رنا	ويخطف المسك اذا ما فاحا
أحبب به من زائر راحل	عوض بالأحزان انراحا
نانهمز الفرصة في قربه	وكن الى اللذات مرتاحا
وهاتها عذرا لم تفتزع	في الليل الا عاد أصباحا
كأنما كل بهد بنان حوت	كاساتها تحمل مصباحا
واجن بالحافظك من وجنتي	مديرها وردا وتناحا

(١) الشاعبي : ينومة الدهرج ١ ، ص ٢٦٥

ولابي الفتح الشمشاطي ( كاتب سيف الدولة ) في وصف البنفسج قوله ( ٢ )

اشرب عن زهر البنف      سج قبل تأنيب الحسود  
فكأننا اوراقه      انار قرص في الخدود

ووصف الشمشاطي كذلك الجلنار مشبها اياه بخدود الحسان التي كساها الحياء احمرارا

وهو كالعقيق محمر في مخضر فيقول ( ١ )

وبدا الجلنار مثل الخدود      قد كساها الحياء ثوب عقار  
صفحة الله كالعتيق تراه      احمر ناصعا لدى الاخضرار

تلك هي حال وصف الطبيعة والزهر عند شعراء البلاط الحمداني ، والملحوظ ان

الجميع اتفقوا على اقتران وصف الزهر بوصف الربيع والدعوة وطلب الشراب ولا غرابة في ذلك

لأن الزهور تنمو في الربيع كما ان الشراب يطيب في الربيع وما دنا قد ذكرنا الربيع فيجب

ان نذكر وصف الشعراء لبقية فصول السنة .

( ٢ ) وصف فصول السنة وما تفرع عنها :

تحيزت حلس بطقس غريب ففي الشتاء برد قارس ، وفي الصيف حر لائح وبين الشتاء

والصيف ربيع جميل وقد تأثر الشعراء بهذا الجو الذي يعيشون فيه ويحيونه ، فقالوا شعرا في

الشتاء ومقتضياته من نار وشراب .

قال الصنوبري في وصف الثلج وقد غطى الارض في يوم من ايام الشتاء ( ٢ )

ذهب كوه وسك يا غلا      م فانه يوم منفض  
والجو يجلي في البيا      ض وفي حلى الدر يعرض  
اتظن ذا ثلجا وذا      ورد على الاغصان ينفض  
ورد الربيع ملون      والورد في كانون ابيض

( ٢ ) النعالي : يتيمة الدهر ج ١ ص ١٠٩ .

( ١ ) النعالي : ~~يتيمة الدهر ج ١ ص ١٠٩~~ نشر النظم ، رضى سنة ١٣٠٠ ، ص ١٣٧

( ٢ ) السرى الرفاء : الديوان ص ١٣٦ .

ووصف السرى الرفاء النلج بقوله ( ٣١ )

يا من انامله كالعارض السارى	وفعله ابدأ عار من العار
اما ترى النلج قد خاطت انامله	نوبا يزر على الدنيا بأزهار
نار ولكنها ليست بمبدية	نورا ودما ولكن ليس بالجارى
والنار قد اعوزتنا في مبيحتنا	بيعا ولو وزن د ينار بد ينار
فامنن بما شئت من راح يكون لنا	نارا فاننا بلا راح ولا نار ( ١ )

وقد وصف الرفاء كانون النار ( احد مستلزمات الشتاء في حلب ) ( ٢ )

وأزهر وضاح يوق عيوننا	اذا ما رميناه بلحظ النواظر
له أربع تأبى السرى غيراتها	تصافح وجه الارض مثل الحوافر
تقلع بعضها من مورد	وسائرهما في مثل صبح الدياجر
نواصله ايام للقر سداوة	ونهجوه ايام لفح الهواجر

ووصف السرى يوما باردا فقال ( ٣ )

يوم خلعت به عذارى	فعریت من حلل الوثار
وصبوت فيه الى الصبا	والشيب يشحك في عذارى
متلون يبدى لنا	طرقا بالاراف النهار
فهواه سكب الرداء	وغيمه صافي الازار

( ٣ ) السرى الرفاء \* الديوان ص ١٣٦

( ١ ) هذا البيت اوردته صاحب البيتمة ج ٢ ص ١١٨ ولم يورد في الديوان

( ٢ ) السرى الرفاء \* الديوان ص ١١٤

( ٣ ) السرى الرفاء \* الديوان ص ١٣٥

وقال كئاسم يصف المطر مشبها إياه باللؤلؤ المتساقط من العقد : (٤)

غيث اتانا مؤذنا بالخفض	متصل الويل سريع الرقص
دنا فخلناه دوين الأرض	متصلا بطولها والعرض
الفا الى ألف بسر يفضي	ثم سما كاللؤلؤ المرفض
فالارض تجلي بالنبات الغض	في حليها الأحمر والببيض
من سوسن أحوى وورد غض	مثل خدود نقشت بالعض
وافحوان كاللجين المعض	ونرجس ذاكى النسيم بض
مثل العيون رفقت بالغض	ترنوفيشاها الكرى فتغضي

ووصف النامي السحاب الأحمر المطر فتسأل عما اذا كان له عين عاشق محمرة

من الوجد والهيام ، كما شبه المطر باللؤلؤ اذا هطل ~~فلا~~ فانما يشبه دمع ثكلى ففدت  
وحيدها ، فقال : (١)

خليلي هل للزمن مقلة عاشق	أم النار في احشائها وهي لا تدرى
اشارت الى أرض العراق فأصبحت	كاللؤلؤ المبتول أدمعها تجرى
تسريل وشيا من خرز تطرزت	مطارفها طرزا من البرق كالتبر
سحاب حككت ثكلي أصيبت بواحد	فعاجت له نحو الرياض على فسبر
فوشي بلا رقم ونفش بلا يسد	ودمع بلا عين وضحك بلا ثغر

ووصف سيف الدولة قوس قزح فشبهه بشوب حسنة متعدد الألوان ، فقال : (٢)

- 
- (٤) الحصرى ، ابراسحاق ابراهيم بن علي - زهر الآداب وثمر الألباب - تحقيق علي محمد البجاوي ، سنة ١٩٥٢ ج ١ ص ٥٢٢  
(١) الثعالبى : يتيمة الدهر ج ٠ ص ٢٢١  
(٢) الثعالبى : يتيمة الدهر ج ١ ص ٢١

وساق صبيح للصبح دعوته      فقام وفي اجفانه سنة الخفض

يطوف بكاسات الحفار كأنجم      فمن بين منقض علينا ومنقض

وقل زنتسرت ايدى الجنوب مطارقا      على الجو دكتنا والحواشي على الارض

يطرزها قوس النعام باصفر      على احمر ~~في~~ اخضر تحت مبيض

كأن يال خور اقبلت في غلائل      مصبغة والبعض اقصر من بعض

وعقد الصنوبرى مخاضلة بين فصول السنة في مقطوعة شعرية ، فبدأ بالصيف وذكر انه ان

وجد في الصيف الرياح والفاكهة فيجب ان لا ينوب عن بالتا انه فصل قميظ وحر ، اما الخريف

وان يكن فيه النخيل قد بدأت تنضج ثماره فالارض فيه عريانة لا خضرة فيها ولا **هيلة** ، اما الشتاء

وان بهطل المطر ~~اننا~~ فان الارض تكون محصورة . ولا شك ان الدهر هو الربيع حيث تنور

الانمار ، والارض مخضرة والجو صاف . فقال ( ٣ )

ان يكن في الصيف ريحان وفاكهة      فالارض مستوقد والجو تنور

وان يكن في الخريف النخل مخترقا      فالارض عريانة والجو مقدر

وان يكن في الشتاء الغيث متصلا      فالارض محصورة والجو مأسور

ما الدهر الا الربيع المستنير اذا      جاء الربيع اناك النور والنور

والارض ياقوتة والجو لؤلؤة      والنبت غير وزج والماء بلور

تبارك الله ! ما احلى الربيع انلا      تغرر نقايس بالصيف مفرور

من شم طيب جنيات الربيع يقل      لا المسك مسك ولا الكافور كافور

وللسرى الرفاء من قصيدة قوله في وصف الربيع (١)  
 اما ترى الجو يجلي في ممسكة      والارض تختال في ابرادها القشب  
 واذا الح حسام البرق موءلغا      في الومض جد خطيب الرعد في الخطب  
 والريح وسنى خلال الروض وانية      فما يواع لها مستيقظ التوب

( ٣ ) - وصف مظاهر الحياة الاجتماعية :

كان للرياض المحيطة بحلب انوكبير من حيث انها حنت الناس على التزه فيها  
 والتمتع بجمال الطبيعة ، وكان بعضهم يشرب الخمر في هذه التزهات ليرفه بها عن نفسه ، فأضحى  
 شرب الخمر ~~مظهرا~~ مظهرا من مظاهر الحياة الاجتماعية ، وكان بعض الشعراء طليعة هؤلاء الناس ،  
 ولعل الرياض وجمالها حب اليهم قول الشعر في وصف الخمر ، التي لم يكن بد من شربها بالنسبة  
 اليهم في تلك التزهات . وتناولت ~~مظهرات~~ مظهرات هؤلاء الشعراء وصف الخمر ، ووصف مجالسها والدعوة الى  
 هذه المجالس ووصف الكأس . ولم تخل هذه المجالس من الغناء والرقص . فتطرق الشعراء الى  
 وصف هذا ~~المنظر~~ <sup>الذرين</sup> . وكان سيف الدولة يحضر بعض مجالس الغناء ، ولأبي نواس يستنجز الامير  
 ما وعده به من انه سيسمعه غناء <sup>ابي</sup> أعبد الله المنجم فقال ( ١ )

ابا سيدا عمي جوده      بفضلك نلت السنى والسنا  
 وكم قد اتيتك من ليلة      فنلت الغنى وسمعت الغنا  
 اما المظهر الآخر الذي بدا جليا من خلال اشعار بعض الشعراء فكان وصفهم  
 للطرد ، ولنبدأ الآن في استعراض الخمرات .

قال الصنوبري ( ٢ )

سقباني بكل لون من الراح (م) على كل هذه الالوان

( ١ ) النعالي : بتيمة الدهر ، ج ٢ ص ١٦٧ .

( ٢ ) نون ب اسيد : شعر الطبيعة في الادب العربي القاهرة سنة ١٩٥٥ ص ٢٠٥

وقال ايضا يا نديمي ! اما نحن الى القصص

ف ف هذا اوان بيدد الحنين ! !

ما ترى جانب المصلى وقد

اشرفت منه ظهوره والبطون ؟

اسرحت في رياضه سرج القط

سر وطابت سهوله والخزون !

وقال ايضا في وصف الخمر مشبها ساقياها بالبستان :

لا اشرب الكأس الا من يدى رشأى

مهغف كغنيب البان مياش

مورد الخد في قمص مورد

له من الآس اكليل على الراس

قل للذي لام فيه هل ترى خلفا

يا امح الروض بل يا امح الناس !

والواقع ان انصراف الصنوبرى الى شعر الطبيعة شغله عن بقية الاغراض الاخرى التي نظم

فيها ، ولهذا جاءت مقطوعاته في غير وصف الطبيعة ضعيفة لا تماثل تلك في القوة والمتانة .

قال السرى في وصف بقية خمر في القدح ( ١ )

اعاذل ان النائبات بمرصد

وان سرور المرء غير مخلد

اذا ما مضى يوم من العيش

فصله بيوم صالح العيش مرغد

وحالية من حسننها وجمالها

وان برزت عطل الشوى والمثلد

تعاطيك كأسا غير ملأى كأنما

فواقعها احداق درع مزرد

كأن اعاليها بياض سواك

تلوح على توريد جيب مورد

والأبي محمد عبد الله بن عمرو بن محمد الفياض ، كاتب سيف الدولة ونديمه ، وسفيوه الى

بنفداد في وصف مجالس الشراب قوله ( ٢ )

( ١ ) السرى الرثاء : الديوان ص ٩٥ .

( ٢ ) الثعالي : يتيمة الدهر ج ١ ص ١٠٣ .



تم فاسقني بين خفي الناي والعود      ولا تبع طيب موجود بمفقود  
 كأسا اذا ابصرت<sup>نحي</sup> القوم محتشما      قال السرور له قم غير مطرود  
 نحن الشهود وخفي العود خاطبنا      نزوج ابن سحاب ببنت عنقود  
 وطلب **الواواء** من غلام خمرنا فقال له ( ٣ )

قم يا غلام الى الدمام      قم راوني منها بجام  
 بادر الى صرف الحمـ      يا سابقا صرف الحمام  
 وتغنم الفضلات من      دهر يجور على الكرام

وقال ابو بكر الخالدي في الدعوة للشرب ووصف الكأس ( ١ )  
 ألافنا سقني والليل غاب نوره      لغيبة بدر في النعام غريق  
 وقد فضح الظلما برك كانه      فواء مشوق مولع بخفوق  
 هراما كان الكف من طيب نشرها      وصغرتها قد خلقت بخلوق  
 نعاينها نورا جلاها تجسد      ونشرتها نارا بغير حريق  
 كان حباب الكأس في جنباتها      كواكب در في سماء عقيق  
 وله في وصف الكمر والكأس والآنية ويد الساقبي ( ٢ )

ومدامة صفراء في قارورة      زرقاء تحملها يد بيضاء  
 فالراح شمس والحباب كوكب      والكف قطب والانا سماء

( ٣ ) الثعالي : يتيمة الدهر ج ١ ص ٢٨٠ .

( ١ ) الثعالي : يتيمة الدهر ج ٢ ص ١٩٥ .

( ٢ ) الثعالي : ج ٢ يتيمة الدهر ص ١٩٥ .

ووصف غلاما ٢ اسكرته الخمر فأخذ يثنى ويترنح ٢ بقوله ( ٣ )

وأغيد روته المدامة فانشنى  
كما يثنى من ربه النصف النصف  
دعوت البها وهو في دعوة الكرى  
وقد اخذت في خلع اسودها الارض  
فقام وفي اعطافه فضل سكرة  
وفي عينه من ورد وجنته بعض

واورد النعالي لابي عثمان سعيد بن هاشم الخالدي قوله في وصف مجلس شراب ( ٤ )

ادن من الدن لي فد اك أبي  
واشرب وسقى الكبير ولتخب  
اما ترى الطل كيف يلعب في  
عيون نون تدعو الى الطرب ؟  
في كل عين للطل لوله  
كدمة في جفون منتحب  
والصبح قد جردت صوارمه  
والليل قد هم منه بالهرب  
والجو في حلة ممسكة  
قد كتبها البروق بالذهب

ولأبي عثمان في وصف الخمر ونشوتها قوله ( ١ )

يا نديني اطلق الفجر ( م ) فما للكأس حيس  
قهوة تعطبها قبل طلو ع الشمس شمس  
وهي كالمرخ لكس هي سعد وهو نحس

أما الببغاء فقد اجاد في وصف الخمر ٢ واورد له النعالي مقطوعات عدة امتازت

بالسهولة وحسن السبك منها قوله في الخمر والقдах ( ٢ )

- 
- ( ٣ ) النعالي يتيمة الدهر ج ٢ ص ١٩٥ .
  - ( ٤ ) النعالي يتيمة الدهر ج ٢ ص ١٩٨ .
  - ( ١ ) النعالي يتيمة الدهر ج ٢ ص ٢٠٢ .
  - ( ٢ ) النعالي يتيمة الدهر ج ١ ص ٢٦١ .

بالقصص للقصص منزل كذب      ما للتصايفي في غيرة ارب

..... =

فالراح بدر والجام هالته      والافق كفي والانجم الحبيب

حبال به الماء عن طبيعته      بالمزج حتى خلناه يلتهب

ونحن في مجلس تد يو به ال      خمر علينا الاقداح لا الملب

ينسى باوطانه الحنين الى الاوطان ( م ) من بالسروور يفتوب

لو لا حفاظي المشهور      ما اضللتني بعد بغداد سلوتي حلب

وقد اختلفت الاماكن التي كان الشعراء يجتمعون فيها للشرب ، فقسم منهم كان يشوب

في الرياض المحيطة بحلب والقسم الآخر كان يشرب في الاديرة حيث يقدم الرهبان الخمر ، وأورد

صاحب الديارات وصفين للأديرة قال احدهما الصنوبري وقال الآخر كشاجم ، ولم يستحدث الصنوبري

او كشاجم هذا الوصف بل انهما سارا على نهج سابقهم في القرنين الثاني والثالث الهجريين .

وكذلك الامر بالنسبة للتغزل في الغلمان الذين كانوا يجتمعون بالشعراء في هذه الاديرة وتغزل الشعراء •

بهم ولا الغلمان الذين كانوا يوقصون او يخدمون عندهم •

قال ابو نواس قصيدة في غلام نصراني اسمه عبد يشوع وكان يهواه ، فخطبه واسحلفه بما

يقدسه ويجله المسيحيون من رسل واماكن ، ومريم ويسوع المسيح واخيوا الحق فيه اقول استخلفه ان

يوحسه ويقرب منه فيقول ( ١ )

بمحمودية الدين العتيق      بطربينتها بالجا نديق

بشهرن بيوحنا بميسى      بما سرجيس بالقص الشفيق

.....

بجك قاصدا ما سرجان      بدو النوبهار فد يرفيق

.....

حواري على دين وثيق

بمريم بالمسيح وكل جد

. . . . .

وبالحسن المركب فيك الا  
رحمت تحرقني وجفوني ريتي  
أما والقرب من بعد الثاني  
يمين فتى لقائله عشيق  
لقد أصبحت زينة كل دبر  
وعيد مع جفائك والعقيق  
واذعن عاشقوك الى التبارى  
من الاسلام طرا بالهروق

وقال الحسين بن الضحاك في ديوانه سابو مبتدئا القصيدة بالغزل بالهمز **درخا** فقال (٢)

ومواتي باشرت بين حدائق  
ففضضتهن وقد حسن صحاحا  
اشبعت وخزة تلك وخزة هذه  
حتى شربت دماهن جواحا  
ابرزتهن من الخدود حواسرا  
وتركت صون حريمهن صباحا  
في ديوانه سابو والصباح يلوح لي  
فجمعت بدرا والصباح وراحا  
فان هب بطنك كيف شئت فكله  
فما **القرنت** تخطر سا وجماحا

ويتذكر ابن المعتز لياليه التي قضها في الاديرة فيستحلفها بالعودة اليه لأنها كانت  
عنده نماذج للجنة وأن كانت غير خالدة فقال (١)

يا ليالي بالمطيرة والكر  
كنت عندى انموذجات من  
خود يو السوسي بالله عودى  
الجنة لكنها بغير خلود

لم يخالف شعر الاديرة عند شعراء البلاط الحمداني شعر الاديرة عند من سبقهم من  
شعراء القرن الثاني والثالث الهجريين ؟ فلم يتطور هذا الشعر كما كان يتوقع له . اما شعر التغزل  
بالنلمان فهو عند شعراء البلاط اعف وارقى مما كان عليه عند من سبقهم ؟ ولعل **إقامتهم** في البلاط  
الحمداني ؟ جذبت **هنا** اشعارهم هذه ؟ بينما كان الشعراء في القرنين الثاني والثالث الهجريين  
يلجأون الى القبيح من الكلام .

(٢) الشابشتي - الديارات ص ٣٥ .

(١) الشابشتي - الديارات ص ٩٦ .

وذكر السنوبرى ديو زكي في مقطوعة شعرية بدأها متنزلا بالرقعة والرأفة ثم اتى بعد ذلك

الى ذكر الدسر فقال (٧)

أراق سجاله بالرقنين	جنوني صخوب الجانبين
واهدى للرصيف رصيف فرن	يعاود طربو الدلتين
معاهد بل مآلف باقيات	بأكرم معهد بن ومآلفين
يضاحكها السموات بكل فج	فيضحك عن نزار أو لحي
كأن الأرض من صفر وحر	عروس تجتلى في حلتين
كأن عناق نهرى ديو زكي	وانا اعتنا عناق متيمين
وقت ذاك البلبل يد اللبالي	وذاك النبل من متجاورين
أقاما كالمسوارين استدارا	على كتفيه او كالدملجين
أيا متنزهي في ديو زكي	الم تك نزهتي بك نزهتين
اردد بين ورد نذاك طرفا	يورد بين ورد الوجنتين

ولم يذكر كشاجم عمر مريونان في القصيدة التى اوردها الشابشي على انها قيلت في هذا الديوان والشاعر

هنا يبدأ القصيدة بالدعوة الى الشراب فيقول مطلعها (٣)

اغد يا صاحبي الى الأنبار	تشرب الراح في شباب النهار
واعمر العمر باللذات والقص	ف وحت الكروبس والاونار
ما ترى الدهر قد اتاك بوجه	طلق بعد نبوة وازوراد
لابسا حلة من الزهر كانت	قبل محجوبة عن الانظار

(٢) الشابشتي - الديارات ص ١٤٠ .

(٣) الشابشتي - الديارات ص ١٦٧ .

وينتقل الشاعر بعد ذلك الى وصف الازهار وينتهي القصيدة طالبا من صاحبه اغتنام

غفلة الزمان لينهب اللذات فيقول :

فاغتنم غفلة الزمان وبادر واغترض لذة الليالي القصار

اما شعر الخلمان فقد كان ممثلا في القرنين الثاني والثالث الهجريين في شعر مصعب

الكاتب وقال الشابشتي عنه \* وكان مصعب هذا \* من اشد الناس تهتكاً ، واكثرهم خلاعة ومجوناً

واستهتارا بالمرء **وططرها** في الحانات والديارات ، واشعاره كلها في الخلمان ، لا تعدو

هذا المعنى الى غيره \* (١) وقد احب مصعب هذا فلما اسمه ابن بمان (٢) قال

مصعب في المسلك الذي سلكه (٣)

وقائلة توجو بهلاحي الى متى فقلت لها ما كفي الارض امرء <sup>رام</sup>

فقلت لقد انضيت في النسي جاهدا ركاب فسق انت فيها تردد

انبيكي لشو بعد نشو فما ارى بكاءك حتى ينفذ الدهر بنفذ

أعازل ، لولا المرء أصبحت عابدا هم اهلكوا د بني علي وافسدوا

دعاني أناس زاهدا حتى ابصر واخشوعي <sup>الله</sup> في الزهد أصبحت ازهد

نصبت لهم تحت الخشوع مكائد ي وللرفق احبانا عواقب تحمد

تشبهت بالزهاد والحرب خدعة ورايت بالتسبيح والكف تعقد .

وانتشر الرقص الى جانب مجالس الشراب ، وكان الخلمان يرقصون والشعراء يشربون

فجارت قرائع الشعراء بوصفهم فقال السري (١)

(١) الشابشتي الديارات ص ١٢٣ .

(٢) الشابشتي الديارات ص ١٢٤ .

(٣) الشابشتي الديارات ص ١٢٤ .

(١) النعالي بتيمة الدهر ج ٢ ص ١٣٠ - ١٣١ .

إذا اختلجت منك **كبه** لرقص      نزت طير القلوب اليه نزوا  
 افارس انت احسن من تصنى      على صبح وأملح من تلوى  
 ويقول الثعالي هذين البيتين من قول الصنوبري :  
 فمن **تلوى** على نايه      ومن مثن على صنجه

كما رافق مجالس الشراب هذه التغزل بالعلماء ومناجبتهم . قال البهاء متغزلا بنفلام  
 له خرج للخنز ( ٢ )

يا غازيا انت الاحزان غازية      الى فوادى والاحشاء حين غزا  
 ان بارزتك كما **ة** الروم فارمهم      بسهم عينيك تقتل كل من برزا  
 وكتب ابو فراس الى غلامه منصور بيته حنينه وشوقه اليه فقال ( ٣ )  
 ارت لصب فيك قد زدته      على بلايا أسره اسرا  
 قد عدم الدنيا ولذاتها      لكنه ما عدم الصبرا  
 فهو اسير **الجسم** النجماني بلدة      وهو اسير القلب في اخرى

وتغزل الصنوبري بشاب أم المصلين قائلا ( ٤ )

ولم انس ما عانيت **ه** من جملته      وقد زهرت في بعض الليالي مصلاه  
 ويقرأ في المحراب والناس خلفه      ولا تقتلوا النفس التي حرم الله  
 فقلت تأمل ما نقول فانه      نالك يا من تقتل الناس عيناه

( ٢ ) الثعالي يتيمة الدهر ج ٢ ص ٢٦٠

( ٣ ) ابو فراس الديوان ج ٢ ص ٢٠٧ - ٢٠٨

( ٤ ) الكتيبي نوات الوفيات ج ١ ص ١١٣ .

اهتم الحمدانيون اهتماما خاصا بالطرد فكان وسيلة من وسائل اللهو البارزة في حياتهم ، ولا غواية في ذلك ، لان الطرد مران للحرب وتحفيز لها ، ونظم أبو فراس ارجونة الطردية ، وصنف كشاحم كتاب المصاهد والمطارد ، كما نظم بعض شعراء البلاط الحمداني كالبحري الرفاعي وابي الفتح النبهاني في هذا الفن الشعري .

( ١ )

نظم أبو فراس مزدوجة في الطرد بدأها بالحكم والاقوال الماثورة فقال :-

ما العمر ما طالته به الدهور	العمر مائم به السرور
أيام عزى وتناز امرى	هي التي احسبها من عمرى
ما اجور الدهر على يمينه	وأغدر الدهر بمن يمينه
لو شئت مما قد قللتنا جدا	عدت أيام السرور عدا
أنعت يوما مر لي بالشام	ألد ما مر من الأيام

ثم يصف بعد ذلك استمقاطه في الصباح وتدايه للمستول عن الصيد ليهطلب منه احضار الاحصنة وعددها سبعة اثنان منها لصيد الارنب وخمسة لصيد الغزلان ، أما كلاب الصيد فقد طلب منها اربعة ، وتوجه بعد ذلك الى الفهاد ومدرب البازهار طالبا منهم الاستعداد فقال :-

ودعوت بالصقار ذات يوم	عند انتباهي سحرا من نومي
قلت له اختر سبعة كبارا	كل نجيب يرد الغبارا
يكون للارنب منها اثنان	وخمسة لغزلان
واجعل كلاب الصيد نوبتين	ترسل منها اثنين اثنين
ولا تؤخر اكلب العراض	فهن حثف للظباء قاضي
ثم تقدمت الى الفهاد	والبازهارين للاستعداد
وقلت ان خمسة لتقتع	والزرقان الفخ والمقع
وأنت بما طهاغ لا تنهاط	عجل لنا اللباء والواسطأ



وصف خروجه في الصباح للصلاة بينما البزاة تخرج مجردات فيقول :-

حتى اذا احسست بالصباح	ناديتهم حي على الفلاح
نحن نصلي والبزاة تخرج	مجردات ، والخيول تُشرج
قلقت للفهاد فاض وانفرد	وصح بنا ان عن جنبي واجتهد
فلم يزل غير مبهمة عنا	اليه يضي ما يفر منا

وينتقل بعد ذلك الى وصف خروجه ، فهو يخرج في رجاله وكأنهم ذاهبون للقتال ،  
وما ان استمدوا حتى أنهم خبر من غلام كان في مكان مشرف أن هنالك صيدا فركض أبو فراس  
وضرب نهلة قبل بها النائم فقال :-

وسرت في صف من الرجال	كأنما تزحف للقتال
فما استويتنا كلنا حتى وقف	غلم كان قربها من شرف
ثم أناني عجلا ، قال السبق	قلقت ان كان العيان قد صدق
سرت اليه فأراني جانه	ظننتها يقطي وكانت نائه
ثم أخذت نهلة كانت معي	ودوت دورين ولم اوسع
حتى تمكنت فلم اخط الطلب	لكل حثف صهب من الصهب
وضجت الكلاب في المقاور	تطلبها وهي بجهد جاهد
وصحت بالاسود كالخطاف	ليس بأبيض ولا غطراف

أما وقد صيد الصيد ، فلهطلب من الطباخ تحضير الطعام ، ولهمد الشراب وليوزع

على الصحاب فقال :-

صحت الى الطباخ ماذا تنتظر ؟	انزل عن المهر وهات ما حضر
جا * بأوساط وجرد تاج	من حجل الصيد ومن دراج
فما تنازلنا عن الخيول	يمنعنا الحرص عن النزول
وجي * بالكأس وبالشراب	فقلقت وفرها على اصحابي

اسمعي اليوم وروائي الفرج  
 فلم نزل نقلي ونشوى ونصب  
 شربا كما عن من الزقاق  
 فلم نزل سبع ليل عددا  
 تقد كفاي بعض وسط وقدح  
 حتى طلبنا صاحبها فلم نصب  
 بغير ترتيب وغير ساق  
 اصمد من راح وأحظى من غدا  
 وكان أبو الفرج الببغاء من الشعراء الذين ولموا بظهور الصيد وعلى الاخص الجوارح  
 ( ١ )  
 فوصف العقاب والزبح فقال في وصف العقاب وتفضلها على غيرها :-

ما كل ذاء مخلب ونهاب  
 بمدرك في الجد والطلاب  
 شريفة الصبغة والانساب  
 وتسخر الارض عن السحاب  
 يظل منها الجوفي اغتراب  
 ذكوة تنظر من شهاب  
 ومكبب ضخم انبت رابي  
 وراحتي ليهت شرى غلاب  
 موهقة امض من الحواب  
 من سائر الجارح والكلاب  
 امسر ما يدرك بالعقاب  
 تطير من جناحها في غاب  
 وتحجب الشمس بلا حجاب  
 مستوحشة للطير كالمرتاب  
 ذاء جرائ واسع الجلاب  
 وهففس موثق النصاب  
 نهطت الى برائن صلاب  
 وكل ما خلق في الضباب

لملكها خاضعة الرقاب

( ٢ )

وصف كشاجم البازي بقوله :-

لما أجد الليل في انجازه  
 دعوت صمدا فأتى بهازه  
 ضامن زاد جد من احرازه  
 اقترانه تشكل عن بهازه  
 ولاح ضوء الصبح في اعجازه  
 تحمل بسراء على تقازه  
 ندبا هواء الطير في اغرازه  
 يبادر الفرصة في انتهازه

( ١ ) النويري ، شهاب الدين أحمد - نهاية الارب في فنون العرب ، القاهرة سنة ١٩٢٣ ج ١  
 ص ١٨٣ - ١٨٤ .

( ٢ ) كشاجم - الصايد واعطاره - تحقيق الدكتور محمد أسعد طلس ، بغداد سنة ١٩٥٤

كانما راح الى برازه      فامتزه الموشي من طرازه  
فصاد قبل الشد في اختيازه      خمسين حزنا هن باحتيازه  
ما اسلف البر فلم يجازه      ولا خلا في الوعد من انجازه

٥ - وصف مظاهر الحياة العامة وأدائها -

عرضت في الصفحات السابقة وصفا لمظاهر الحياة الاجتماعية وارد فيها من الاشعار ما رأته مثالا صادقا تنعكس من خلالها الحياة الاجتماعية بأبهى وأجلى صورها \* الا ان هنالك عددا من المقطوعات عثر عليها في كتاب " بتيمة الدهر " لم أتمكن من تصنيفها على أنها مظهر من مظاهر الحياة الاجتماعية ، بل هي أوصاف لنواحي متعددة من مظاهر الحياة العامة ، والهومية ، فهناك الكثير من وصف المعاصر والبرك واعتبارات ، والمشجع والكتب وغير ذلك من الأمور -

( ١ )

قال البهزا\* في وصف البركة -

قورا\* كالفلك المستدير      تزرق الصيون بلا\* لائها  
هبتها البحار بأملجها      وسحب السماء\* بأنوائها  
كان تدفق تبارها      يداك تفيض بنعمائها  
وجودك اغزر من جهدها      وخلقت اعزب من مائها

( ٢ )

وبصف الصنوبرى السواقي بقوله -

فلك من الدولاب فيه كواكب      من مائه تنقش ساعة تطلع  
متلون الاصوات يخفض صوته      بدناكه طورا وطورا يرفع

( ٣ )

وأورد الثعالي وصف النامي للشارقة -

سامية في الجو مثل الفرقد      قاعدة فيه وان لم تقعد  
يكاد عاليها وان لم يهد      يخرق من حوض الغمام بالهد

( ١ ) الثعالي - بتيمة الدهر ج ١ ص ٢٧٠

( ٢ ) الصنوبرى - نهاية الارب ج ٩ ص ٢٨٩

( ٣ ) الثعالي - بتيمة الدهر ج ١ ص ٢٣١

ووصف كشاجم الشمعة مشبها اياها بهركة ما \* اخذت فانورتها في قزف الماء الى الاعلى

( ١ )

فكان الضوء \* منبجعا من الشمعة فقال :-

بهركة صغر عمودها شمع تنفخ نارا من موضع الماء \*

تبيكي اذا ما المقص خمشها فرط حيا \* من الاخلا \*

كانها عاشق يخامله فيه هواد لمقلة الراقي

صفوه لوك وذوب معنبة وديع حزن ونار احشا \*

( ٢ )

ويصف السرى الرفا \* الشمعة بقوله :-

وباكهة ليلها كله تحاكي الصباح بمصباحها

بصيرة ليل ولكنها ضريته عند اصباحها

تجز لاصلاحها واسها فافسادها عند اصلاحها

وحظي الكتاب بنصيب من الوصف فقال كشاجم انه اذا صاحبه فانما يصاحب الملوك

( ٣ )

والكبرا \* فيقول :-

وصاحب مو \* نس اذا حضر حالسني بالملوك والكبرا

جسم فزات نحما النفوس به يجل معنى وان دنا خطرا

ملكك منه كنزا عنيت به فما ابالي ما قل أو كثرا

أظل منه في مجلس حقل بالناس طرا ولا أرى بشرا

وان اطلق به فما لك من مستحسن منظرا ومختبرا

اعجب به حايها ولو جعلت عليه كف الحليب لاسنرا

( ١ ) الثعالي به يتهمة الدهر ج ١ ص ٢٨٦

( ٣ ) الثعالي به يتهمة الدهر ج ١ ص ٢٨٥

( ٢ ) السرى الرفا \* به الديوان ص ٧٥

( ١ )

ووصف السرى الرفاء \* القلم بقوله -

أخوس ينبهك باطرقه      عن كل ما شئت من الامر  
 يذرى قرطاسه دمة      تهذى لنا السروما تدرى  
 كعاشق اخفى هواه وقد      تمت عليه عبوة تجرى  
 تبصره في كل احواله      عربان يكسو الناس أو يعرى  
 يرى اسيرا في دواة وقد      أطلق أقواما من الاسر

وتفرد كشاجم في وصف مظهر من مظاهر الحياة العامة ، وكان هذا المظهر من الاعمال

التي كان يقوم بها ، والمشهور عنه انه كان طباح سيف الدولة <sup>شمال</sup> يصف جونة طعام صوته  
 ( ٢ )  
 الوانا كثيرة منه -

وجونة موصوفة من الجون      قد جمع الطباخ فيها كل فن  
 من كل سخن شخج وبارد      ما بين الزان الى بارد  
 فن رقاق ناعم رقاق      يحد في الشطر والمذاق  
 ويصف بعد ذلك شربه الخمر مع الطعام فيقول -  
 وجاءنا الدلفة بالمدام      ونحن لم ننهض من الطعام  
 بخير ترتب ولا صواني      وغير انقال ولا رهبان  
 لان في الجونة انواع الارب      وعرضا عن كل شي \* مطلب  
 هذا هو النوع الذي اختاره      ليس الذي عد بنا انتظاره

أما البخل ، وهو أحد المظاهر الخالدة في كل عصر وأوان ، فقد وصفه كشاجم

بقوله في البخل ، وقد صورته تصويرا صادقا فقال -

صديق لنا من ابرع الناس في البخل وأفضلهم فيه وليس يذى فضل

( ١ ) السرى الرفاء - الديوان ص ١٤١ \*

( ٢ ) الثعالبى - بتيمة الدهر ج ١ ص ٢٨٧ - ٢٨٩ \*

( ٣ ) " " " " ج ١ ص ٢٨٦

دعاني كما يدعو الصديق صديقه  
فجئت كما يأتي الى مثله مثلي  
فلما جلسنا للطعام رأيت  
بهي ان من بعض اعضاءه اكل

-----

وقيت لو اني كنت بهنت نمة  
وبحت ثواب الصوم مع عدم الاكل  
هذه هي حالة شعر الوصف في بلاط سيف الدولة الحمداني ، وقد كان للطبيعة  
تأثير مباشر في ابراز هذا اللون من الشعر الذي كان قسم منه مستحدثا وجديدا في الشعر  
العربي وهذا القسم هو وصف الزهور ، ولعل بقية الالوان كانت معروفة \* ولعل ما يجدر  
ذكره ويجب الاشارة اليه هو أن المتنبي لم ينظم في الوصف ، وصف الطبيعة - اثنا \*  
اقامته في بلاط سيف الدولة ، ولست أدري ان كانت مدائحه وحرمانه حالنا بهنته وبين وصف  
الطبيعة بحيث لم تنركا له وقتا لنمل هذا الامر \*

( ١ )

كان الحمدانيون من المشيعين • الا ان تشيعهم كان خفيا على حد قول القرماني •

" كان بنو حمدان شيعا لكن تشيعهم كان خفيا • ولم يكونوا كني يوسه • فان بني بويه

كانوا في غاية القباحة ويعلق ابن كثير على تشيعهم بقوله • " وقد كان هو • لا • الطوك رفقة •

( ٢ )

وهذا من اتيح القول " ويذكر الاستاذ فواد البستاني ان سيف الدولة كان يدارى اهل

حلب وكلهم على مذهب السنة والجماعة ولم يكن يحلب رافضي الى ان دخلها الروم سنة ٩٦٢ ، وبعد

خروجهم منها نقل اليها سيف الدولة جماعة من الشيعة ، وأظهر تشيعه فغلب على اهلها

( ٣ )

التشيع • ويؤيد قول الاستاذ البستاني ما اورده في حديثي عن سيف الدولة ، ان

اوردت نص الكتابة على الدنانير وهي • " لا اله الا الله ، محمد رسول الله • أمير

المؤمنين علي بن أبي طالب ، فاطمة الزهراء ، الحسن ، الحسين ، جبريل عليهم السلام •"

وتاريخ هذه الكتابة يعود الى سنة ٣٥٤ حين صاهر سيف الدولة اخاه ناصر الدولة •

وقد نظم بعض الشعراء قصائد في مدح آل البيت ومن هو • لا • أبو فراس ، وأبو

مكر الخالدي ، وكشاجم • والسرى الرن • والصنوبري ، الا ان هذه القصائد باستثناء قصيدة

واحدة لابي فراس ، لا نعين الفئة التي كان يثني اليها الحمدانيون كشيعا •

قال أبو فراس ، وكان محمد بن سكرة الهاشمي قد نظم قصيدة يفاخر فيها ولد

ابي طالب ، ويمتدح ولد علي ، ويمتدحهم ، ومثلها •

بني علي دعوا مقاتلكم لا ينقص الصدر وضع من وضعا

( ٤ )

فلم يجبه أبو فراس تنزيها عن مناقضته لسفاهة شعره وقال في اهل البيت

الدين مخترم والحق مهتضم وفي آل رسول الله يقتسم

( ١ ) الطباخ • اعلام النبلاء ج ١ ص ٢٧٩

( ٢ ) ابن كثير ، عماد الدين أبو الفداء • اسماعيل بن عمر - الهداية والنهاية ، القاهرة ج ١١ ص ٢٦٤

( ٣ ) البستاني ، فواد صحيفة البشير - عدد ٥٤٢٧ بيروت ٣١٠٣٠ كانون ثاني سنة ١٩٣٨

( ٤ ) أبو فراس • الديوان ج ٣ ص ٢٤٧ - ٣٥٦

والناس عندك لا ناس فيحفظهم سوم الرعاة ولا شاة ولا نعم

اني اهتم قليل النوم ارقني قلب تصارع فيه الهم والهم

وعزلة لا ينام الليل صاحبها الا على ظفرو وفي طيه كرم

ثم مهاجم بعد ذلك بني العباس ويمتنعهم هم المسلمين لتخلص الخلافة من عبث

النساء والخدم قال :-

يا للرجال ، أما لله منتصف من الطفاة أما للدين منتقم

بنو علي رعائنا في ديارهم والامر تملكه النعمان والخدم

لا يطفئ بنو العباس ملكهم بنو علي موالهم وان زعموا

انفخرون عليهم لا ابا لكم حتى كان رسول اله جدكم

وما توازن يوما بيوكم شرف ولا تساوت بكم في موطن قدم

ولا لكم مثلهم في اعجد متصل ولا لجدكم معشار جدهم

ولا لمروكم من عرقهم شبه ولا نعملنكم من ائهم اسم

قام التي بها يوم الخدير لهم والله يشهد والاملاك والامم

حتى اذا اصبحت في غير صاحبها بانة تتنازعها الذوة بان والوخم

وايو فراس في الهم السابق وما يلمه يذكر حق العلويين في الخلافة وان الخلفاء

الذين ولوا امر المسلمين ليسوا الا ادعاء لاحق لهم :-

وصيرت بينهم شوري كائهم لا يعرفون ولا الحق ائهم

نال الله ما جهل الاقوام موضعها لكنهم ستروا وجه الذي علموا

ثم ادعاه بنو العباس ائهم ومالهم قدم فيها ولا قدم



لا يذكرون اذا ما معشر ذكروا  
ولا رآهم أبو بكر وصاحبه  
فهل هم مدعوها غير واجبة  
أما علي فقد أدنى قرابته  
هل جاحد يا بني العباس نعمته  
بئس الجزاء جزيتهم في بني حسن  
لا بهمة ودعتكم عن دعاتهم  
ويستمر أبو القاسم في مهاجمة بني العباس وتفضيل بني علي عليهم ويقول عنهم  
انهم باعة خمر ، ومبايرونهم بعلمية ابنة المهدي وكانت مغنية وكان اخوها ابراهيم كذلك  
يا باعة الخمر كفوا عن مفاخركم  
خلوا الفخار لعلاميين ان سئلوا  
لا يعضون لغير الله ان غضبوا  
تبدو التلاوة من ابيائهم أبدا  
منكم علمة أم منهم وكان لكم  
أم من تتساوله الالحيان سائرة  
اذا تلوا سورة غنى امامهم  
ما في ديارهم للخمر معتصر  
ولا نهيت لهم خنثى تنادهم  
الركن والبهت والاستار منزلهم  
وليس من قسم في الذكر تعرفه  
صلى الاله عليهم ايما ذكروا  
ولا يحكم في امر لهم حكم  
اهلا لما طلبوا منها وما زعموا  
أم هل أئمتهم في اخذها ظلموا  
عند الولاية ان لم تكفر النعم  
أبوكم أم عبيد الله أم ~~الخصم~~ قثم  
ابوهم العلم الهادي وامهم  
ولا يمين ولا قرين ولا هم  
عن فتية بمهم يوم الهياج ذم  
يوم السوء ال وعاملين ان علموا  
ولا يضمنون حكم الله ان حكموا  
وفي يوتكم الاوتار والنغم  
شيخ المغنين ابراهيم أم لهم ؟  
عليهم ذو المعالي أم عليكم ؟  
(قف بالديار التي لم يعنها القدم)  
ولا يهونهم للسوء معتصر  
ولا يرى لهم قود له حشم  
وزمزم الصفا والحجر والحرم  
وهم من غير شك ذلك القسم  
لانهم للورى كهف ومعتصر

---

وفي شعر أبي فراس إشارة إلى المذهب الشيعي الذي كان يتبعه الحمدانيون ،  
وقد تنبه لهذا الأمر الأستاذ ماريوس كمار في نخبه ، فأورد قصيدة أبي فراس وشرحها  
شرحاً وافياً ، كما عين المذهب الذي كان عليه الحمدانيون وهو المذهب الاثنا عشري . قال  
أبو فراس : (١)

لست أرجو النجاة من كل ما اخ	شاء الا بأحمد وعلي
وبنت رسول الله فاطمة الطه	ر وسبطيه والامام علي
والتقي النبي باقر علم الله	به فينا محمد بن علي
وابنه جعفر وموسى ومولا	نا علي أكرم بن علي
وابي جعفر سمى رسول الله	به ثم ابنه الزكي علي
وابنه العسكري والقاسم المظ	هر حفي محمد بن علي
فيهم ارتجى بلوغ الأمانسي	يوم عرضي على ملك علي

ولأبي فراس أبيات أخرى ~~له~~ <sup>أورد</sup> فيها أسماء الاثمة الاثنا عشر وفيها يقول : (٢)

شافعي " أحمد " النبي ومولا	ي " علي " و " البنت " و " السبطان "
و " علي " و " باقر العلم " و " الصادق "	ثم " الامين " ذو التبيان "
و " علي " و " محمد بن علي "	و " علي " و " العسكري " الداني
والامام " المهدي " في يوم لا يد	فزع الاغفران ذي الغفران

وقال أبو بكر الخالدي من قصيدة في رثاء الحسن بن علي : (٣)

اذا تفكرت في مصابهم	اتعب زفد الهموم قاده
بعضهم طربت مصارعهم	وبعضهم سعدت مطارحهم

(١) كنار : النخب ص ٢٢٢ - ٢٢٥ ، أبو فراس - الديوان ج ٢ ص ٤٢٩ - ٤٣٠

(٢) أبو فراس : الديوان ج ٢ ص ٣٩٧

(٣) الثعالبی : يتيمة الدهر ج ٢ ص ١٨٧ - ١٨٨

اظلم في كربلاء يومهم      ثم تجلى وهم ذبائحهم  
 لا يرح الغيث كل شارقه      تهيج غواصيه أو روائحه  
 على ثرى حله ابن بنت رسول      ل اليه مجروحة جوارحه  
 زل حماهم وقل ناصره      ونال اقصى مفاء كاشحه  
 عفرتهم بالثرى جهين فقى      جبريل بعد النبي ماسحه  
 يطل ما بهنكم دم ابن رسول      ل الله وابن السفاح سائحه  
 سمان عند الانام كلکم      قاتله منكم وذابحه  
 وأكثر كشاحم من البكاء على مصيبة العلويين فقال :- ( ١ )  
 بكاء وقل غنا البكاء      على رزق ذرية الانبياء  
 لئن زل فيه عزيز الدرع      لقد عز فيه ذليل العزاء  
 اعلمني ان يرد التقى      كسانه حي لاهل الكساء  
 سفينة نوح فمن يمتلق      بحبهم يمتلق بالنجا  
 لعمرى لقد ضل رأى الهوى      بأثدة من هواها هوائي  
 واوصى النبي ولكن غدت      وصاياه منهذ بالمراء  
 ومن قبلها امر الهيثون      يرد الامور الى الاوصياء  
 ولم يهش القوم غل الصدود      حتى طواه الردى في ردا  
 ثم محمد الشاعر الى ذكر فضائل الامام علي متغنيا بها اجتمع عنده من رشد وشجاعة  
 متعصباً له لاحقيقته بالخلافة فيقول :-  
 ولو سلموا لامام المهدي      لقول معوجههم باستوا

( ١ ) الشكوة :- فتون الشعر في مجتمع الحمدانيين ص ٢٩٠ - ٢٩١ عن مخطوط لديوان كشاحم

هلال الى الرشيد عالي الضحا  
 وسيف علي الكفر ماضي المضاع  
 ومجر تدفق بالمعجزات  
 علوم مساوية لا تقال  
 لعمري الاولى مجدوا الحق  
 وكم موقف كان شخص الحمام  
 جلاء فان انكروا فضله  
 مظايا الخطايا خذى في الظلام  
 لقد هتكت حرم المصطفى  
 وساقوا رجالهم كالعبيد  
 فلو كان جدهم شاهدا  
 ويهكي الصنوبري على آل البيت ويهتهم رثا حارا فيقول :-  
 سيرا اذا لن تسيرا  
 محلات ظهورا  
 زورا يهتوب قبرا  
 زورا النقي وزورا  
 زورا الشمس شمس ال  
 يا عين فاضي رواها  
 فمض لحمزه أو لا  
 عمه زاده من  
 عيرا تناقل عيرا  
 وموقرات نذورا  
 وبالعراق قهورا  
 وصيه والوزيرا  
 أيام زورا البدورا  
 لهم وفضي بكورا  
 ممباس فضا عزيرا  
 كساهما النور نورا

(١) الشكوة :- فنون الشعر في مجتمع الحمدانيين ص ٢٩٤ - ٢٩٥ عن مخطوط لديوان  
 الصنوبري الجامعة العربية \*

اقول والقول يبقى      بعد الدهور دهورا

دور الفرى ودورا      بالطف حميت دورا

ويخص الشاعر معركة كربلاء ومصراع الحسين بالذكر ، ويذكر مصراع آل البيت من الرجال

وبكاء ذرية الرسول من النساء فيقول :-

والمنطويين بطونا      والمنحنيين ظهورا

والطمعين بئما      والمطمعين أسيرا

لهني عليهم لهونا      لهني عليهم صفورا

بني عليهم حمار      باغ يوم حميرا

يوم الحسين على الدي      بن كنت يوما عسيرا

ملا والله كربا      ما كربلاء الصدورا

كأنني برحى الحمر      ب أشكت ان تدورا

والفاطميون تقرب      سهم السيوف الطيور

والفاطميات ينحر      ن بالدموع النحورا

وباني الصنوبرى على ذكر بني أمة فيها جمهم مستبشعا فعلة يزيد مع الحسين وحمل

رأسه اليه فيقول :-

ما عصبة لم تخف      الالهة ان يجورا

ما عصبة لم تراقب      قرآنه ~~المسطورا~~ المسطورا

الم يكن حمل رأس ال      حسين خطبا كبيرا ؟

اكان قرن تنابا      بالقضيب يسيرا ؟

سبحان من يمسك الارض حلقه ان تمورا

ايحتم من ابيه وجدته محظورا

نارتم اهل بدر لما وجدتم نوره ورا

اما السرى الرفاء فانه مدح<sup>ج</sup> الهيت بقصيدة جمع فيها بين التمجيد والثناء والمكاء،

فجمع ما ثروهم وبكى على سيد الشهداء فقال من قصيدة طويلة :-

( ١ )  
ورب غراء لم تنظم قلائدها الا لوحيد فيها الفاطهونا

الوارثون كتاب الله يمشحهم ارث النبي على رغم المعددين

قوم نصلي عليهم حين نذكرهم حبا . ونلعن اقواما ملاعينا

اذا عددنا قريشا في اباطحها كانوا الذوائب والصرائنا

اغنتهم عن صفات البادحين لهم مدائح الله في طه وباسينا

ظلمت امدحهم الا لارغم في مدحهم انف شانهم وشاننا

ثم يقف الشاعر ليذكر مصيبة الحسين في كربلاء في الم وحسرة فيقول :-

اقام روح وريحان على جدث شلوا الحسين به ظمان آمينا

كان احشائنا من ذكره اهدا تطون على الجبر او نحش السكاكنا

مهلا فما نقضوا اوتار والده وانما نقضوا في قتله الدينا

آل النبي وجدنا حبكم سبها يرضى الاله به عنا ويرضنا

ولا نخاطبكم الا بصادتنا ولا نناديكم الا بوالنا

وكم لنا من فخار في مودتكم يزيدها في سواد القلب نمكنا

ومن عددو لكم مخف عداوتهم والله يرميه عنا وهو يرمينا

ان اجرني حبكم جرى الجواد فقد اضحت رحاب مساعبكم مبادينا

فكف يمدوكم شمري وذكركم يزيد مستحسن الاشعار نحسنا

تلك هي الحال التي كان عليها الشعر الشيعي ، واختلف الحال فيه بالنسبة لكل شاعر . فأبو فراس في شعره يهدد ويمنذر ويتوعد ، وذلك راجع الى مركزه وقوته ، بينما نجد ان بقية الشعراء قد سلكوا منهجا غير منهج أبي فراس . فشعرهم بكاء وتمجيد ، وروثا وذكرى مؤلمة ، تشير في النفوس الحزن والليونة . وكان كل هؤلاء الشعراء من شيعة علي ، وقد ذكرهم الاستاذ محسن الامين في موسوعته " اعيان الشيعة " في القسم الخاص بطبقات الشعراء .<sup>(١)</sup> وكان موقف سيف الدولة من هذا التشيع موقف المراقب ، وكان الشعراء يحاولون في اشعارهم الشيعة مجازاة أبي فراس في شعره .

---

(٢) الامين - محسن الامين العاملي الحسيني اعيان الشيعة دمشق سنة ١٩٤٤ الجزء الاول ، القسم الثاني - أبو فراس ص ١٦٥ ، الصنوبري ص ١٦٣ ، كشاجم ص ١٦٤ ، السرى الرثاء ص ١٦٦ ، أبو بكر الخالدي ص ١٦٨

## أثر البلاط في النثر

### ١ - الكتابة والكتاب

بحثت في الفصل السابق أثر البلاط الحمداني في الشعر والشعراء ، وقسمت البحث الى اقسام تتلاءم والاغراض الشعرية ، فتكلمت عن شعر المديح والثناء ، واتبعت ذلك بالحدِيث عن شعر الحرب وشعر الوصف باقسامه المختلفة كما بينت وانتهيت ذلك الفصل بالحدِيث عن الشعر الشيعي .

اختلفت اغراض الكتابة عن اغراض الشعر ولعل السبب في هذا الاختلاف البسبب يعود الى تخصص الكتاب بالكتابة الديوانية ، ولان الكاتب لا يفد على الامير كما يفد الشاعر بل انه يقيم في البلاط ، ويبقى في معية الامير .

ومن الكتاب الذين وردت اخبارهم مع اخبار سيف الدولة الحمداني ، ابو بكر الخوارزمي وابو الفرج البغيا ، وابو علي الحاتمي والخطيب ابن نباته الفارقي . ووجد ابو الفرج الاصفهاني على سيف الدولة وقدم له نسخة من كتاب "الاجاني" ، وكاناه سيف الدولة على هذه الهدية بمبلغ الف دينار معتذرا<sup>(١)</sup> لكذلك نجد نوعا من الاتصال بين الامير الحمداني وابي اسحاق ابراهيم بن هلال الصابي<sup>(٢)</sup> .

ولا نجد في مصادر النثر العربي في القرن الرابع الهجري رسائل لهؤلاء الكتاب عنيت بشؤون سيف الدولة او البلاط الحمداني . الا ان هنالك بعض الرسائل التي كتبها ابو الفرج البغيا وبعث بها الى سيف الدولة مادحا ، فبعث الى الامير يذكر منصرفه من بعض الغزوات ظافرا وكره على ابن الزيات بعد ان عصاه وعودته الى حلب ، فيذكر ان التفاوت بين

(١) ابو الفداء المختصر في تاريخ البشر ج ٢ ص ١٠٨

(٢) الثعالبي يتيمة الدهر ج ١ ص ٢٣ .



الناس يكون بمقارنة ما لكل منهم من الهمم والغرائم والجود والكرم ، والشجاعة والمجد ، ولا شك في ان تكون كفة سيف الدولة الراجحة ، ولا يستطيع احد الوصول الى ما وصل اليه من هذه الصفات الحميدة ، فكأن الله ادخر كل هذه الامور ليهبها لسيف الدولة الامير - يقول ابو الفرج (١) :

"الرياسة - ايد الله سيدنا - حلة موموقة ومرتبة مرموقة يتفاضل الناس فيها بقدر الهمم ، وينالونها بحسب مراتبها من الكرم . فما تدرك الا بالسماح ، ولا تملك الا باطراف الرماح ، ولا تتخلص الا بالحمد ، ولا تخطب الا بلسان المجد ، فكل من ادركها طلبا ، واستحقها بافعاله لقبا من غير الدخول لسيدنا تحت شرف التعبد ، ورق الاخلاص لا التردد ، فقد حرم نيل الكمال وعدل عن الحقيقة الى المحال .

لانه الغاية القصوى التي عجزت	عن ان تؤمل ادراكا لها الهمم
ما تستحق ملوك الدهر مرتبة	في الفضل الا له من فوقها قدم
ذكاءه ان دجا ليل الشكوك ضحى	وظله ان خطا صرف الردى حرم
فلوعدا الكرم الموصوف راحتهم	عن ان يجاوزها لم يكتم الكرم

الشجاعة اقل ادواته ، والبلاغة اصغر صفاته ، يطرق الدهر اذا نطق ، وينطق المجد اذا افتخر ، فالامال موقوفة عليه ، والثناء اجمع مصروف اليه ، نهض بما قعدت هم الملوك عن ثقله ، وضعف الدهر عن مغلثاته مثله ، بهم سيفيه وكزائم علوية ، فرد شمل الدين جد يدا ، وذميم الايام حميدا ، بحق اوضحه وخلل اصلحه ، وهدي اعاده وضلال اباده .

فلا انتزع الله الهدى عز بأسه	ولا انتزع الله الوغى عز نصيره
واحسن عن حفظ النبي وآله	ورعى سوام الدين توفير شكره
فما تدرك المداح ادنى حقوقه	باغراق منظم الكلام ونشره

لان ادنى نعمة تستغرق جماع الشكر ، وايسرمنة تفوت المبالغة في جميل الذكر .  
 فاما هذا الفتح الشريف خطره ، الحميد اثره ، المشهور بلاؤه ، والعاجب ثناؤه ، الباسق  
 نفعه ، العام نفعه ، فاشرف من ان يحد بالصفات ، او يعد بافصح العبارات لاجراء الله  
 تعالى سيدنا فيه من نيل الارادة على مشكور العرف والعادة فيما ابتسم فيه ثغر الديسن ،  
 وشمل صلاحه كافة المسلمين .

كانما ادخر الرحمن معظمه      دون الملك لسيف الدولة البطل  
 رآه اكرمهم في الخير ان ذكروا      وصفا ، وافضلهم في القول والعمل  
 فهذه وظا الاسياف مغمدة      واستله غير منسوب الى الفل  
 حتى غدا الدين من بعد العبوس به      جذلان يرزل من نعماء في حلسل  
 فلو تكلم في حال وقيل له :      من خبر هذا الوري ؟ لم يسم غير علي \* .  
 ويحث الببغا ، برسالة اخرى الى سيف الدولة وتغنى في قسم منها بذا : سيف  
 الدولة ووفائه وفضله وشجاعته فقال (١) :

" شهاب ذكا لا طود وفا ، وكعبة فضل ، وغمامة بذل ، وحسام حق ولسان صدق ،  
 فالليالي بأفعاله مشرقة . والاقدار لخوفه مطرقة ، تحمده اولياؤه وتشهد له بالفضل اعداؤه ؛  
 يقابلنا البدر من بـرد      ويشملنا السعد من سعد  
 ولو فخر المعبد لم تلقه      فخورا بشي سوى مجده "

وللببغا من رسالة اخرى لسيف الدولة في شكر صنائعه قوله : (٢)

(١) ثم ان شكرى نعمة الله تعالى بما جدد من ملاحظة سيدنا حالي ، وتداركه بطول  
 التطول مرض امالي . ما لا او مل — مع المبالغة والاغراق فيه — فك نفسي بحال من رق ايادي  
 غير اني احسن لها النظر ، واجمل عندها الاحدثة والخبر . بالدخول في جملة الشاكرين والاتسام

(١) الثعالبي : يتيمة الدهر ج ١ ص ٢٤٦ — ٢٤٧  
 (٢) الثعالبي : يتيمة الدهر ج ١ ص ٢٤٧ .

بفضيلة المخلصين اذ كان - أدام الله عزه ١ - قد نصر إياهم على الخمول ، واستنفذني من  
التعهد للتأميل ."

فصرت امسك عن اوصاف نعمته	عجزا وينطق عن آثارها حالي .
.....	.....

رويد جودك قد ضاقت به همي	ورد عني برغم الدهر اقلالي
لم يبق لي امل ارجو نداك به	دهرى لانك قد افنيت امالسي

"والله ينهضني من شكر طوله ، والنهوض بحقوق فضله . لما يبلغني رتبة الزيادة ،  
ونيل السؤل والارادة بمنه وكرمه ."

وطلب سيف الدولة من اللبغا ان يبعث برسالة تهنئة الى شخص تزوجت امه ، وكان  
العرب يعايزون من تتزوج امه فكتب له : (١)

"من سلك اليك - اعزك الله - سبيل الانبساط ، لم يستوعر مسلكا من المخاطبة فيما  
يحسن الانقباض عن ذكر مثله ، واتصل بي ما كان من خبر الواجبة الحق عليك المنسوبة بعهد  
نسبك اليها اليك - وفر الله صيانتها - في اختيارها ما لولا ان الانفس تتناكره وشرع المروءة  
يخطر له لكت في مثله بالرضا اولى ، وبالاعتداء بما جدده الله في صيانتها حرى ، فلا  
يسخطنك من ذلك ما فرضه وجوب الشرع ، وحسنه ادب الديانة ، ومباح الله احق ان يتبع ،  
واياك ان تكون ممن لما عدم اختياره تسخط اختيار القدر له ."

---

(١) القلقشندي ، ابو العباس احمد ، صبح الاعشى في كتابة الانشا القاهرة سنة ١٩١٦

## اثر البلاط في النشر

### ٢ - الخطابة

ابن نباته ،

كان ابن نباته ابو يحيى عبد الرحيم بن محمد بن اسماعيل بن نباته الفارقي اللخمي العقلائي المولد المصري الدار<sup>حاضرة</sup> (١) ، خطيب حلب وبها اجتمع بالمتنبي وسمع عليه بعض ديوانه وكان سيف الدولة كثير الغزو فاكثر من الخطب التي نحث على الجهاد ، والتي يطلب فيها من الناس نصره سيف الدولة (٢) . ويروى ابن خلكان في حديثه عنه انه كان يتمنى رؤية النبي فقال : " لما عملت خطبة المنام وخطبت بها يوم الجمعة ، رأيت ليلة السبت في منامي كأنني بظاهر ميفارقين عند الجبانة ، فقلت ما هذا الجمع ؟ فقال لي قائل : هذا النبي " صلعم " ومعه اصحابه ، فصدت اليه لأسلم عليه ، فلما دنوت التفت فرأني فقال : مرحبا يا خطيب الخطباء ، كيف تقول ، واوما الى القبور فقلت : لا يخبرون بما اليه آلوا ، ولو قد روا على المقال لقالوا ، قد شربوا من الموت كأسا مره ، ولم يفقدوا من اعمالهم ذره ، وآلى عليهم الدهر آلية بره ، ان لا يجعل لهم الى الدنيا كره ، كانهم لم يكونوا للعيون قمره . ولم يعدوا في الاحياء مره ، اسكنهم والله الذي انطقهم وأبادهم الذي خلقهم ، وسيجدهم الذي اخلقهم ويجمعهم كما فرقهم ، يوم يعيد الله العالمين خلقا جديدا ويجعل الظالمين لنار جهنم وقودا ( يوم تكونون شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا ) وأومات بقولي يوم تكونون شهداء على الناس الصحابة ويقولون شهداء الى الرسول صلعم ، ( يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا ومسا عملت من سوء تود لو أن بينها وبينه امدا بعيدا ) . فقال لي احسنت أدن ، فدنوت فأخذ

(١) ابن العماد الخليلي ، عبد الحي : شذرات الذهب في اخبار من ذهب القاهرة سنة ١٢٥٠ ج ٣ ص ٨٣

(٢) ابن خلكان : وفيات الاعيان ج ٢ ص ٣٢١ .

وجهي وقبله وتغل في فمي وقال ، وفقك الله . " وقال ابن خلكان ، وبقي الخطيب بعد ذلك ثلاثة ايام لا يأكل فيها من المسك في قمه ، وكأش بعد المنام ثمانية عشر يوما . وولد سنة ٣٣٥ هـ وتوفي سنة ٣٧٤ بميافارقين حيث دفن . (٢)

واذا كنت قلت ان المتنبى كان شاعر الحرب التي جرت بين سيف الدولة والروم فان ابن نباتة كان خطيب الجهاد بلا منازع ، فاعتبر الحروب بين سيف الدولة والروم حروبا تجرى بسببين الاسلام واعدائه المشركين ، فهي الجهاد في سبيل اعلاء كلمة الله ، واعتبر نصرته المسلمين لسيف الدولة نصرته للدين . وهو يؤكد هذه الحقيقة في جميع خطبه الجهادية . وهو يبدأ خطبه بحمد الله وذكر جليل صفاته ، وبعد ان يذكر وحدانية الله يشهد ان محمدا رسول الله ، ويسير على هذا النهج في جميع الخطب ، فيقول (٢) :

" الحمد لله الكريم الوهاب ، الرحيم التواب الشديد العقاب ، العتيد الثواب الذي جل عن الاشكال والاضراب ، وتعالى عن مشاكلة الخلطاء والاصحاب وقصرت عن ادراك صفاته غايات الاسباب ، وحصرت دون تفسير ذاته عبارات ذوى الاطناب فهو الباطن المعبود بسلا مواراة صحاب ، والظاهر الموجود في العقول بلا ارتياب ، احمده على نعمه الهنيئة العذاب واشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له شهادة دائمة بلا انقضاء ، واشهد أن محمدا عبده ورسوله انتخبه من أشرف العرب العربا وابتعثه من اطهر اصل ونصاب ، من شجرة عبد مناف بن قصي بن كلاب . مبرا من كل دنس وعاب مطهر القول عن الحظل والكذاب ففرق الله به جموع الاحزاب وشهد ازله بخير صحاب . صلى الله عليه وعلى اله الخيرة الاطياب وصحابته البررة الانجاب ، صلاة تفيض عليهم بركاتهم <sup>فيهم</sup> السحاب وسلم تسليما " .

(١) ابن خلكان : وفيات الاعيان ج ٢ ص ٣٣١ - ٣٣٣ .  
جمعت خطب ابن نباتة في ديوان وتولى شرحها عدد من العلماء منهم : ابو البقاء عبد الله بن حسين العكبري الحنبلي ، وتاج الدين ابو اليمن زيد بن الحسن الكندي ، وموفق الدين عبد اللطيف بن يوسف البغدادى وعثمان بن يوسف القليوبي ، وسرى الدين بن هانئ ، ونجم الدين البارزى الحموى . (ابن نباتة ديوان الخطب ص ١٢ - ١٣ من المقدمة ) .

(٢) ابن نباتة : الديوان ص ١٧٧ - ١٧٨ .

ويعد ان ينتهي من هذه المقدمة في هذه الخطبة ، وامثالها يبدأ في مخاطبة الناس ،  
وتختلف اغراض هذه الخطب باختلاف الاحداث ، فاذا رأى تقاعسا من الناس في نجدة سيف  
الدولة اخذ في حضمهم على الجهاد ، عابا عليهم هذا التقاعس منددا بموقفهم مؤنبا اياهم  
فيقول : (١)

"ايها الناس ان الدنيا قد ادبرت وآذنت بانقلاب ، وان الاخرة قد اقبلت واذعنت  
باقتراب ، فلا نحن لما ادبر من هذه ذرو اجتناب ، ولا لما اندر من تلك اولو ارتقاب ، كأن قلوبنا من  
الصم الصلاب ، او كأن نفوسنا واثقة بحسن المآب . كلا بل ران عليها خبث الاكساب ، واعمى  
بصائرنا طول اللعاب ، فليس ينفعها قرع العتاب ، ولا يروعها صدع الكتاب ، ولا تمضها اذالة  
الاحساب ، قد دخلت علينا الفتنة من كل باب ، واطمعتنا الدنيا اطماع السراب ، تنهارش على  
حطامها تهارش الكلاب ، ونلبس فيها جلود <sup>الطنان</sup> الثان على قلوب الذئاب ، ننظر الى المعروف نظير  
الخزير الغضاب ، ونسكن الى المنكر سكن الباني بالخود الكعاب ، وقد أظلنا من العدو وسحاب  
ممتدة الاطناب ."

ويأخذ ابن نباته في هذا المكان في تنبيه الناس للخراب الذي ينتظرهم على يدي  
هذا العدو ، ولكن الناس عن ذلك لاهون ، يتحكم في مصائرهم العبيد والاذناب فيقول : (٢)

"وقد أظلنا من العدو وسحاب ممتدة الاطناب ، ودبت في ديارنا منه عقارب الخراب ،  
وم الغلاء والبلاء بقبيح الاكساب ، فما العجائب الفادح عندنا بعجائب ولا نفوسنا تكثرت بعظم  
المصائب ، وما ذاك الا لصول العبيد فيكس على الارباب ، وعدلكم الهجان بالصريح اللباب ، وانقياد  
الروءوس فيكم للاذناب ، وارتكاب كل هواء الى ضد الصواب ، شأنكم بينكم التناز بالالقاب ، واغتيال  
انفذ في الاعراض من الحراب ، وشهد ملق اقتل من سم الحباب ، وخبث فعال ينقض مبهم الاسباب ،

(١) ابن نباتة : الديوان ص ١٢٨ - ١٢٩ .

(٢) ابن نباتة : الديوان ص ١٢٩ - ١٨١ .

وارواح عن الانقياد للحق صعب ، فلا العالم يعمل بما علمه من حكم الكتاب ، ولا يردعه ما أتقنه من السنن والاداب ، فانيبوا عباد الله الى ريك من سوء مصارع الاغتياب ، واستعدوا لهجوم قاطع الاصلاب ، ومفرق الاحباب ، ومسكنكم تحت اطباق التراب ، ومنزلكم منازل الاغتراب بحيث تصمم الاسماع عن الخطاب ، ويقع الامتناع عن الجواب ، وتستعقبون فلا تقدرون على الاعتبار وتمكتون نسي الارض احقابا بعد احقاب ، ثم يصاح بكم ليوم الحساب ، فتقومون سكارى من غير شراب ، وتصبر اعمالكم فلائد في الرقاب \* .

وينهي الخطيب هذه الخطبة بالدعاء له ولاصحابه بتجنب هذا الموقف ، وذلك بعمل ما فيه مرضاة الله ، وينهي خطبته بالاستشهاد بالقرآن فيقول : (١)

"وتصبر اعمالكم فلائد في الرقاب ، ان في ذلك لذكرى لاولى الالباب جعلنا الله واياكم من شمر لدار الارخاب واستعبد حذار الارهاب ، واستدفع بتقوى الله اليم العقاب ، ان احسن ما نسفته لهوات الخطاب وابين ما حققته ادوات الاعراب ، كلام من توكلت عليه واليه متاب \* (افمن يعلم انما انزل اليك من ربك الحق كمن هو اعشى \* .

ويخض على الجهاد في خطبة أخرى من خطبه مرغبا المؤمنين بذلك ذاكرات ثواب الله لكل من باع نفسه في سبيله ، فقال بعد حمد الله والسلام على رسوله : (٢)

أيها الناس ان الله أيُّ بكم فهل انتم سامعون ، وندبكم الى طاعته فهل انتم اليها سارعون وزجركم عن معصيته فهل انتم عنها راجعون ، وساومكم بنفوسكم فهل لها انتم بائعون ، وجعل اثانها جنته فهل انتم اليها نازعون ، وانبت لكم من الحبة سبعمائة فهل انتم لها زارعون ، واعد من خالفه عذاب جهنم فما انتم صانعون ، وهو القائل سبحانه لا يا أيها الذين آمنوا هـل ادلكم على تجارة تنجيكم من عذاب اليم ) ، الا وان الجهاد كنز وفر الله منه <sup>اقسامكم</sup> ، وحرز طهر الله به اجسامكم <sup>اقسامكم</sup> ، فانه تنصروا الله ينصركم ويثبت اقدامكم . فانفروا رحمكم الله جميعا وثبات ، وشنوا على اعدائكم الغارات ، وتمسكوا بعصم الاقدام ومعادل الثبات ، واخلصوا نسي جهاد عدوكم حقائق النيات \* .

ثم يستثير حماس المسلمين ببيان الحال التي يجلبها عليهم التقاعس والخذلان من ذل واضمحلال ، ويطلب منهم محاربة الشهوات قبل محاربة الاعداء ، واذا هم فعلوا ذلك فانهم يتسابقون في هذا العمل الى نيل الحياة الخالدة فيقول : (١)

"وانه والله ما غزى قوم في عقر دارهم الا ذلوا ، ولا قعدوا عن صون ذمارهم الا اضمحلوا ، واعلموا انه لا يصلح الجهاد بغير اجتهاد ، كما لا يصلح السفر بغير زاد ، فقدموا مجاهدة القلوب ، قبل مشاهدة الحروب ، ومغالبة الاهواء قبل محاربة الاعداء ، لا يادروا باصلاح السرائر ، فانها من اصلح العدد والذخائر ، وليدفع القاعدون عن المجاهدين بالدعاء ، ومن لم يستطع منكم سبيلا الى اللقاء ، فاعتاضوا بحياة لا بد من فنائها ، بالحياة التي لا ريب في بقائها ، وكونوا ممن اطاع الله وشمر في مرضاته " .

أما السبيل الى ابتغاء مرضاة الله فهو الجهاد والاعمال الحسنة ، واقتال <sup>القتال</sup> والثبات فيه فيقول : (٢)

"وسابقوا بالجهاد الى تملك جناته فان للجنة بابا حدود ، تطهير الاعمال ، وتشديد انفاق الاموال ، وساحته زحف الرجال الى الرجال ، وطريقه غمغة الابطال ، ومفتاحه الثبات في معترك القتال ، ومدخله من مشرعة الصوام والنبال ، فاجبوا رحمكم صفقة البيع الرابع ، بالتمسك الجزيل الرابع من الملك المسامح ، فقد ضمن لكم ذلك في نص كتابه ، وبينه في محكم خطابه ، حيث يقول ( ان الله اشترى من المؤمنين انفسهم واموالهم بان لهم الجنة ) جعلنا الله واياكم ممن غلب هواء ، وسارع في مرضاة مولاه وكانت الجنة منقلبة ومثواة ، ان احسن القصص والكلام ، وابلغ الشعر والنظام ، كلام ذي الجلال والاکرام ، ( يا ايها الذين امنوا اذا لقيتم فئة فاثبتوا ) .

(١) ابن نباته : الديوان ص ١٨٣ - ١٨٤ .

(٢) ابن نباته : الديوان ص ١٨٤ .



ولا بن نباته خطبة في الجهاد وقفها على التنديد بالموقف الذي وقفه المسلمون من سيف الدولة في احدى غزواته ، وخذ لانهم له . فخاطبهم ابن نباته ، مستنكرا موقفهم ، وعودهم عن الجهاد بينما العدو يعيث في ارضهم فسادا ، وقارن بينهم وبين الحيوان الذي يدافع عن مكانه ، ويطلب منهم الاغارة على العدو وقبل ان يخبر عليهم لانهم جماعة الله فقال : (١) " ايها الناس : الى كم تسمعون الذكر فلا تعون ، والى كم تفرعون بالزجر فلا تقلعون ، كأن اصماعتكم تنج ودائع الوعظ ، او كان قلوبكم بها استكبار عن الحفظ ، وعدوكم يعمل في دياركم عمله ، ويبلغ بتخلفكم عن جهاده أمله ، صرخ بهم الشيطان الى باطله فاجابوه ، وندبكم الرحمن الى حقه فخالفتموه ، هذه البهائم تناضل عن ذمارها ، وهذه الطير تموت حمية دون اوكارها ، بلا كتاب انزل عليها ، ولا رسول ارسل اليها ، وانتم اولو العقول والافهام ، واهل الشرائع والاحكام ، تندون عن عدوكم نديد الابل ، وتلوعون له مدارع العجز والفشل ، وانتم والله اولى بالغزو اليهم ، واخرى بالمغار عليهم ، لانكم امناء الله على كتابه ، والمصدقون بشوابه وعقابه ، خصكم الله بالنجدة والبأس ، وجعلكم خير أمة اخرجت للناس ، فابن حمية الايمان ، وابن بصيرة الايقان ، وابن الاشفاق من لهب النيران ، وابن الثقة بضمان الرحمن " .

والله سبحانه ضمن المعونة للمسلمين وضمن لهم النصر مقابل الورع والتقوى ، فقال ابن نباته : (٢)

" فقد قال عز جلاله في الفرقان ( بلى ان تصبروا وتتقوا ويأتوكم من فورهم هذا يمددكم ربكم بخمسة الاف من الملائكة مسومين ، وما جعله الله الا بشرى لكم ولتطمئن به قلوبكم وما النصر الا من عند الله العزيز الحكيم ) فقد اشترط عليكم التقوى والصبر ، وضمن لكم المعونة والنصر ، افتتهمونه في ضمانه ، أم تشكون في عدله واحسانه ، فسابقوا رحمكم الله الى الجهاد بقلوب تقية ونفوس أبية ، واعمال رضية ، ووجوه مضيئة ، وخذوا بعزائم التشمير واكشفوا عن رؤوسكم

(١) ابن نباته الديوان ص ١٨٨ - ١٨٩ (٢) ابن نباته الديوان ص ١٨٩ - ١٩٠

عار التقصير ، وهبوا نفوسكم لمن هو أملك بها منكم ، ولا تركوا إلى الجزع فإنه لا يدفع الموت عنكم \* .  
وينادي ابن نباته بعد ذلك للجهاد ، ويعد بالنصر والجنة ، ويصف أفضال الجهاد  
من النصر أو من الشهادة في سبيل الله ، وينهي خطبته بإيراد آية في الحث على الجهاد فيقول : (١)  
" فالجهاد الجهاد أيها الموقنون ، والظفر الظفر أيها الصابرون والجنة الجنة أيها  
الراغبون ، والنار النار أيها الهاربون ، فإن الجهاد أثبت قواعد الإيمان ، وأوسع أبواب الرضوان ،  
وأرفع درجات الجنان ، وإن من ناصح الله فيه لبين منزلتين مرغوب فيهما ، مجمع على تفضيلهما ،  
أما السعادة بالظفر في العاجل ، وأما الفوز بالشهادة في الاجل ، وأكره المغزلتين اليكم ، وأعظمها  
نعمة عليكم ، فأنصروا الله فإن نصر الله حرز من الهلكات حريز ، ( ولا ينصرون الله من ينصره إن الله  
قوى عزيز ) أن أحسن ما نطقت به بلغاء الخطاب ، وأنور ما أضأت به ظلمات الباب كسلام  
العزیز الوهاب ( يا أيها الذين آمنوا ما لكم إذا قيل لكم أنصروا في سبيل الله <sup>نزع</sup> أننا قتلتهم فسي  
الأرض ) .

وفي إحدى خطبه دعا الناس إلى السكينة ، عندما بلغهم خبر فتح حلب ، فقال بعد  
أن حمد الله وصلى على رسوله ، أن الله لن يخذل قومهم له ناصرون ، ولا يهلك من اعتز به  
من عباده بل هو معهم في كل ضائقة ، وإذا انتصر العدو على المسلمين فما ذلك إلا لأن الله  
أراد أن يبلوهم . فقال : (٢)

" أن الله جل ذكره وغلب أمره اختار لكم الإسلام ديناً ، وكان لكم بالنصر على الأعداء  
ضميناً ، بمعاذير قدمها اليكم ، وموائيق أحكمها عليكم ، فقال وهو اصدق القائلين ( وعد الله  
الذين آمنوا وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكن لهم  
دينهم الذي ارتضى لهم ولا وليد لنهم من بعد خوفهم أمنا ) أفضان الله يخفرهم نعم الله تكفر

(١) ابن نباته الديوان ص ١٩٠

(٢) ابن نباته الديوان ص ١٩١ - ١٩٣

أم يد الله عن أعدائه تقصر ، أم الوفاء بما وعد الله عليه يعسر ، ما لكم لا تتدبرون القرآن ، وتدرعون  
 الأيمان ، وتجاهدون في الله حق جهاد ، وتحادون من حاد من عباده ، ولتظنون أني يخذلكم  
 وأنتم له ناصرون ، <sup>٣١</sup> أي تتوهمون أنه يسلمكم وأنتم في سبيله صابرون ، كلا إنه لا تجوز ظلامه ولا تغرب  
 عنه قلامه ، ولا يهلك من استتر بعزه ولا يهلك من اعتصم بحرزه . . . وانصروا ديننا اكرمكم الله به  
 من قبل أن تخلقوا ، واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا ، ولا يهولنكم عدو الله ولو طبقت الغبراء  
 جنوده وشرقت الفضاء بنوده ، فإن الغالب الظاهر من ثبته الله وكلن معه ، والهارب الدامر من  
 شتته الله وقمعه ، وقوموا الله من جهاده بأداء الغرض ، ذلك لو يشاء الله لانتصر منهم ولكن  
 ليبلو بعضكم ببعض " .

ولابن نباته خطبة في حفر الخندق حول سور ميفارقين سنة ٣٥٢ هـ ويذكر أن هذا  
 العمل إنما هو اتباع لسنة الرسول عند حفره للخندق ، وكان هذا العمل درعا واقيا بقي المسلمون  
 من غزوات أعدائهم . (١)

وفي خطبته التي ذكر فيها وصول نجر خراسان النجدة سيف الدولة يؤكده الحقيقة  
 الدينية للحروب بين الأمير والروم فقال : (٢) " من الله علينا وعليكم بنصره القريب ، وادال لاهل  
 التوحيد من عبدة الصليب " .

وسار الخطيب الفارقي على هذا المنهج في جميع خطبه الجهادية ، ونستطيع ان تبين  
 من النماذج التي اوردتها خصائص خطابة ابن نباته الفارقي التي ميزت كتابته عن كتابة غيره .  
 اعبر ابن نباته غزوات سيف الدولة غزوات غايتها وكل همتها اعلاء شأن الدين الاسلامي ، على  
 غيره من الاديان . وكان يبدأ خطبه بحمد الله ، ذاكرا له من الصفات ما يلائم موضوع الخطبة  
 ثم يثني بعد ذلك بالصلاة على محمد رسول الله ( صلعم ) موردا له من الصفات ما يتناسب

(١) ابن نباته الديوان ص ٢٠٠

(٢) ابن نباته الديوان ص ٢٠٦

وموضوع الخطبة . ويظهر في خطبه التزامه للسجع ، بل انه ربما التزم السجع الطويل في كل الخطبة ، ليدل بذلك على قدرته الخطابية وهو لما يبلغ الثامنة عشرة من عمره . كما كان يستشهد ببعض الايات القرآنية في خطبه فتراه في منتصف الخطبة يورد الاية ليعزز ما ذهب اليه من القول ، وينتهي هذه الخطب بايراد الاية او الايتين اللتين توافقان في معنييهما ودالتيهما القصد من الخطبة . ولعل هذه الايات كانت من آيات الجهاد التي وردت في القرآن الكريم . وتنوعت اغراض خطب ابن نباته بتنوع الاهداف والمناسبات فاحتوت على تنديد وتوبيخ ولم وتقرع ، كما كانت تدل على الترغيب والتشويق بالحياة الافضل في الآخرة ، ورمت بعض خطبه الى تسكين الناس وتهدئة الخواطر ، وهو في كل ذلك لا يبعد عن الجو الحربي المحيط به ، وما يقتضيه هذا الجو من حماس واندفاع ، وهدوء وارتياح .

وفي ديوان خطب ابن نباته الفارقي خطبة يمكن القول انها عنيت بشؤون سـيـف الدولة وحكمه وهي خطبته في ولاية الامير ابي المكارم بن سيف الدولة لديار بكر . بدأ ابن نباته خطبته هذه بالقاء المواعظ على الناس ، ويذكر بعد هذه المواعظ سيف الدولة فيصفه بأنه حارس الدنيا والدين الذي انعم على اهل ديار بكر بان سلم امرهم الى ابنه ابي المكارم . ويطلب من اهل ديار بكر شد ازرا الامير في اعماله هذه . فقال منها خطبته بالدعاء لسيف الدولة : (١)

” ايها الناس ارأوا بالتقوى صدوع اعمالكم ، وارغبوا عما يوبقكم يوم مآلکم ، واعلموا ان مطايا النعم وحشيه ، فاجمعوا باعلان الشكر نواذها ، وان رزايا النقم مخشية ، فاقطعوا بادمان الذكر موادها ، ولا تجعلوا نعم الله قوة لكم على عصيانه ، واحسنوا معاملة من عمكم باحسانه فما من نعمة جللتها سابقة الا شفعتها لكم باخرى لاحقه ، منا منه قد يما لم يزل ديدنه واجريشاه فواصلوا حمده ولا تعبدوا الا اياه ، فمن سني عوارفه ومشهور نعمائه ، وخفي لطفه ومأثور الائه ، حراستكم بحارس الدنيا والدين ، وكفايتكم بسيفه المنقطع القرين ، الذائد عن التوحيد واهله ،

(١) ابن نباته ، عبد الرحيم بن محمد : ديوان الخطب بيروت سنة ١٣١١ ص ٢٧٩ - ٢٨٠

والجامع شمل الاسلام بتبديد شمله ، الامير سيف الدولة ابي الحسن ، الكاشف عنكم غيابة الآفات والفتن . ومن تمام احسانه اليكم ، وعام امتنانه عليكم ، تشريفكم بايداع مهجته ورد اموركم الى سلبيله وصفوته ، الامير ابي المكارم ، ابن سيف الدولة الصام . فابشروا عباد الله بالعز المؤبد والسلطان المجدد ، والخصب <sup>الرمد</sup> بطلوع هذا الكوكب الاسعد ، فهو جوهرة من ذلك البحر . وثمرة من ذلك النجر ، وصباح من ذلك الفجر ، وغطريف من ذلك الصقر ، وشنينة تعرف من اخزمها ونعممة واجب شكر منعما ، فاشكروا الله عباد الله هلى ما خولتموه ، واذكروه كما علمكم ما لم تعلموه ، واقدموا على عدوكم بالجهاد قبل اقدامه ، واخرسوا بحق زئيركم باطل بغامه ، فقد امدكم الله بضيغمه وابن حسامه ، فارغبوا اليه جميعا في حراسة دولته ودوام أيامه ، اللهم اشدد ببقائه عصم اهل التوحيد ، وعرفه وسائر المسلمين بركة هذا التقليد والبسه جنن التقوى والباس الشديد . وبلغ به مبالغ آبائه الجحاجة الصيد ، واطرف عن دولته عين كل باغ وحسود ، وامتع الاسلام واهله بسترك يا ذا الجود . (١) .

ويحتوى ديوان خطب ابن نباته عدا عن الخطب الجهادية ، على خطب المعاد <sup>تاكيدا</sup> التي كانت الحقيقة الموت الذى يجب ان يعد الانسان في حياته ما يرضاه لنفسه حتى يقضي <sup>وهو</sup> وطمنن الى أن اعماله الطيبة ستكون له خير معين ونصير يوم القيامة .

” ذكرت في مقدمة هذا الفصل ان الكتاب الذين كتبوا لسيف الدولة كانوا : الخوارزمي ، البيهقي ، وابن نباته . ودرست خطب ابن نباته الجهادية لاعتقادي انها تبين لنا العلاقة بين ابن نباته وسيف الدولة ، لانصراف الخطيب فيها الى العناية بشؤون سيف الدولة . اما بقية الكتاب فابنت ان رسائلهم لا تعنى بشؤون الامير او بشؤون بلاطه ، كما ان علاقتهم به لم تكن واضحة من خلال آثارهم التي خلفوها لنا . وسأقدم في هذا المقام عرضا سريعا موجزا لهؤلاء الكتاب

(١) ابن نباته ، عبد الرحيم بن محمد : ديوان الخطب بيروت سنة ١٣١١ ص ٢٧٩ - ٢٨٠ .

لان علاقاتهم بالامير لم تكن واضحة وليس في المستطاع استبانتهما من آثارهم .

#### ١ - ابو بكر الخوارزمي (١)

قال الثعالبي (٢) : . . . ولم يزل يتقلب في كور العراق والشام ، ويأخذ عن العلماء ، ويقتبس من الشعراء ويستفيد من الفضلاء حتى تخرج فرد الدهر في الادب والشعر ، ولقسي سيف الدولة وخدمه واستفاد من يمن حضرته ، ومضى على غلوائه في الاضطراب والاغتراب وشرق بعد ان غرب .

اعتمد ابو بكر السجع في كتابته وقد وصف الدكتور شوقي ضيف هذا الاعتماد بالتصنع والتصنيع ، فقال في ذلك : (٣) " وكانت صناعة الخوارزمي في رسائله تقوم على التصنيع وما ينطوى فيه من سجع ويدع ، على ان من يتأمل في هذه الصناعة يمس تسرب ضروب من التصنع اليها ، اذ كان الخوارزمي يعتمد الى ضروب من التهويلات والمبالغات وكانما قصر الموضوعات التي كان يعالجها هو الذي ادى به الى هذه الصورة من التعبير ، وانظر اليه يكتب الى احد تلاميذه فيصف ايامه الماضية معه فيقول : " كأن تارق من حاشية البرد ومن طلوع السعد واحلى من انجاز الوعد ، واعذب من القند بل من النقد ، واعبق من الورد ، وما اردت الا ورد الخد ، بل من المسك والند ، واطيب من القرب بعد البعد ، ومن الوصل في اثر الصد ، بل كانت ارق من نسيم الزهر في السحر ، ومن فضاء الوطر على الخطر ، بل كانت اقصر من ليل السكرى او نهـر الحيارى " .

ولا شك في ان الدكتور ضيف مصيب في قوله باعتماد الخوارزمي على السجع وتقصده

له ، والقطعة التي أوردها خبر دليل على ذلك .

(١) هو محمد بن العباس الخوارزمي ، وابن اخت محمد بن جرير الطبري صاحب التاريخ ، لقب بالطبر خزمي لان امه من طبرستان وابوه من خوارزم . قيل توفي سنة ٣٨٣ ، ولا يعرف بالضبط عام ولادته . ( ابنه خلکان ، ترجمه الخوارزمي )

(٢) الثعالبي : يتيمة الدهر ج ٤ ص ٢٠٤

(٣) ضيف ، شوقي ، الفن ومذاهبه في النثر العربي ، القاهرة سنة ١٩٤٦ ص ١٠٨

ولا يعجب الاستاذ احمد امين بأسلوب الخوارزمي ويقول عنه وعن ابي الصابي: " وانا  
شخصيا استمتع كتابته (كتابة الصابي) وكتابة الخوارزمي ومن هنا نحوهما وأرى انها جعجعة  
ولا طعم ، والفاظ جوفاء ولا معنى . " (١)

والملاحظ في نثر الخوارزمي انه يتضمن بعض المعاني المطروقة من قبل في رسائله ،  
فتأثر بالمتنبي وشعره وتنبه الثعالبي الى هذا الامر فأورد امثلة عليه من نثر الخوارزمي وقوله في  
احدى رسائله: (٢) " وكيف امدح الامير بخلق صن به الهواء ، وامتلات من ذكره الارض والسما  
وابصره الاعى بلا عين وسمعه الاصم بلا اذن " . وهذا حل نظم ابي الطيب :

تنشد اثوابنا مدائحـه	بالسن ما لهن افـراء
اذا مررنا على الاصم بها	اغنته عن مسمعيه عينا

ولا يي بكر من رسالة اخرى (٣) : " ولقد تساوت الالسن حتى حسد الالبكم وافسد القر  
حتى احمد الصم . وهذا هو قول المتنبي  
ولا تبال بشعر بعد شاعره      قد افسد القول حتى احمد الصم

والشيء المستغرب بالنسبة للخوارزمي هو انه مع اقامته في بلاط سيف الدولة ، فاننا  
لا نجد في رسائله اى رسالة بعث بها الى الامير الحمداني اطلاقا .

ونظم ابو بكر الشعر ، وتأثر في بعض اشعاره بمدائح المتنبي في سيف الدولة فأخذ  
معاني المتنبي وصاغها من عنده . قال ابو الطيب (٤) .

فان تغق الانام وانت منهم	فان المسك بعض دم الغزال
--------------------------	-------------------------

وللمتنبي في مثل هذا المعنى قوله :

وما انا منهم بالعيش فيهم	ولكن معدن الذهب الرغام
--------------------------	------------------------

(١) امين ، احمد - ظهر الاسلام القاهرة سنة ١٩٥٢ ج ٢ ص ٩٦ - ٩٧

(٢) الثعالبي : يتيمة الدهر ج ١ ص ١٢٧ - ١٢٨

(٣) ج ١ ص ١٢٨

(٤) ج ١ ص ١٣٠

وجاء الخوارزمي فاخذ معنى البيتين وقال :

قد يتك ما بدا لي قصد حر      سواك من الورى الا بدا لي  
وقال ابو الطيب المتنبى (١) :

وصرت اشك فيمن اصطفيه      لعلمي انه بعض الانام

واخذ الخوارزمي هذا المعنى فقال :

قد ظلمناك بحسن الد      طق يا بعض الانام

## ٢ - ابو الفرج الببغاء (٢) :

سلك ابو الفرج في كتابته سبيل السجع ، ولكنه في مسلكه هذا اتى بنثر مقبول لا تعجه الاسماع ، وكان في بعض الاوقات يفلت من السجع فلا يسلكه ، ولا تختلف كتابته عن غيره الا في انه كتب بعض الرسائل القصيرة جدا ، كما كتب بعض القصص (٣) التي تشابه في اسلوبها اسلوب اصحاب المقامات في كتاباتهم . وضمن الببغاء بعض رسائله الى سيف الدولة مقطعات شعرية ذكرتها في مقدمة هذا الفصل . اما المصدر الوحيد الذي يمكنني القول بانه اورد معظم رسائل الببغاء فكان صبح الاعشى للقلقشندي . وحوى هذا المصدر رسائل الببغاء في تهنئة بعض اصحابه ممن ولوا بعض الاعمال ، وتهنئة من صرف عن الولاية . وتهنئة من عاد من الحج ، او تزوج او ابل من المرض . وشأنه هذه الامور شأن كتاب الدواوين في ذلك العصر .

(١) الثعالبي : يتيمة الدهر : ج ١ ص ١٣١

(٢) عبد الواحد بن نصر بن محمد ، المتقدم ذكره في الفصل السابق بوصفه احد الشعراء الذين اقاموا في البلاط الحمداني ومدحوا سيف الدولة باشعارهم ، بقي في البلاط حتى وفاة الامير فخرج من حلب وتنقل في البلاد وتوفي سنة ٣٩٨ . (ابن تغرى بردى . النجوم الزاهرة ج ٤ ص ٢١٩) .

(٣) الثعالبي : يتيمة الدهر : ج ١ ص ٢٣٧ - ٢٤٥



### ٣ - ابو علي الحاتمي (١) :

خدم ابو علي سيف الدولة الحمداني وهو شاب في التاسعة عشرة من عمره ويقول في ذلك : (٢)

"وقد خدمت في بلاط سيف الدولة - تجاوز الله عن فرطاته - وانا ابن تسع عشرة سنة ، تميل بي سنة الصبا وتنقاد الي اريحة الشباب بهذا العلم ، وقد كان كلفا به علقا علاقة العزم باهله ، منقبا عن اسراره ، ووزنت في مجلسه تكرمة وادنا ، وتسوية في الرتبة - ولم تضمر خدای عن عذاريهما - بأبي علي الفارسي ، وهو فارس بالعربية وحائز قصب السبق فيها منذ اربعين سنة ، وبأبي عبد الله بن خالويه وكان له السهم الفائق في علوم العربية تصرفا في انواعه ، وتوسعا في معرفة تواعده واوضاعه ، وبأبي الطيب اللغوي وكان كما قيل حنف الكلمة الشرود حفظا وتيقظا . وتنازعت العلماء ومدحت في مصنفاتهم وعددت في الافراد الذين منهم ابو سعيد السيرافي ، وعلي بن عيسى الرمانى ، وابو سعيد المعلى ، واتخذت بعضا من كان يقع الايمان عليه سخرة ، وانا اذ ذاك غزير الغرارة ، تميد بي اسرار السرور ، ويسرى علي رخاء الاقبال واختال في ملائمة العز في بلهنية من العيش وخفض من النعيم ، وخطوب الدهر راقدة وایامه مساعدة " .

تلك هي الحالة التي كانت عليها الكتابة في بلاط سيف الدولة الحمداني ، وقد اكتنف هذه الحالة من الغموض واللبس الشيء الكثير ، وحاولت جهدي ان ابين فيها قدم صورة واضحة لحالة النثر العربي في بلاط الامير الحمداني ، وارجو ان اكون قد حظيت في هذا الامر ببعض التوفيق ان لم يكن كل التوفيق .

(١) محمد بن الحسن بن المظفر الحاتمي ، من الشخصيات القوية ، التي لا يعرفها الا القليل من الناس . الفعددا من الكتب في اللغة والادب منها حلية المحاضرة في صناعة الشعر والموضحة في مساوي المتنبي ، والهلجاجة في صناعة الشعر ، وسر الصناعة في الشعر ، والحالي والعاطل في الشعر ، وكتاب المجاز في الشعر . (مبارك - النثر الفني في القرن الرابع الهجري ج ٢ ص ١٥٩) .

(٢) مبارك - النثر الفني ج ٢ ص ١١٣ - ١١٤ .

## أثر البلاط في النشر

### ٣ - اللغة واللغويون

ذكرت في حديثي عن البيئة الأدبية في بلاط سيف الدولة الحمداني أن الشعراء والمتنبي خاصة كانوا يتحسبون للنقاد ، يأخذهم على ما يقولون ، فاضطر الشعراء إلى مراجعة قصائدهم حتى يأمنوا مهاجمة النقاد لهم . أما النقاد الذين عنيتهم فلم يكونوا غير اللغويين ، وليس جميعهم بل بعضهم . ترى من من اللغويين كان يقيم في بلاط سيف الدولة ، والجواب على هذا التساؤل ينحصر في ذكر أسما أربعة أقاموا في البلاط مددا متفاوتة . واجتمعوا في فترة واحدة تقريبا ثم فرقهم الدهر بعد ذلك ، وكان هؤلاء الأربعة ابن خالويه ، أبا علي الفارسي ، أبا الفتح بن جني ، وأبا الطيب اللغوي الحلبي ، وما دام اللغويون يتقدرون الشعراء وينقسمون فيما بينهم إلى مؤيد ومعارض ، فلا بد من أن تنشط المناقشة والمناقشة فيما بينهم .

#### ١ - ابن خالويه

هو أبو عبد الله الحسن بن أحمد بن خالويه الهمداني الأصل ، دخل بغداد ثم غادرها إلى دمشق ثم استوطن حلب . وكان الحمدانيون يكرمونه ويدرسون عليه ويقتبسون منه . (١) واختص بسيف الدولة وأولاده ، وفي حلب انتشر علمه وانتشرت روايته ، وكان له مع المتنبي مناظرات . (٢) سأورد بعضها في الفصل القادم من هذه الرسالة .

---

(١) ابن خلكان : وفيات الأعيان ج ١ ص ٤٢٣

(٢) السيوطي : جلال الدين ، بغية الدعاة في طبقات اللغويين والنحاة ، القاهرة

سنة ١٣٢٦ ص ٢٣١

ورد في الاخبار ان ابن خالويه دخل على سيف الدولة ولما مثل بين يديه قال له : اقعد ولم يقل اجلس، فتبينت بذلك اعتلاقه باهداب الادب واطلاعه على اسرار كلام العرب<sup>(١)</sup> .

ويذكر السيوطي في بغية الدعاة ان سيف الدولة سأل جماعة من العلماء كانت بحضرته ذات ليلة : هل تعرفون اسما ممدودا وجمعه مقصور ؟ فقالوا : لا ! فقال لابن خالويه : ما تقول انت ؟ فقال ابن خالويه : انا اعرف اسمين ، قال : ما هما ؟ قال ابن خالويه : لا اقول لك الا بالف درهم لئلا تؤخذ بلا شكر، وهما صحراء وصحارى ، وعذراء وعذارى . ولما كان بعد شهر اصاب ابن خالويه حرفين آخرين ، ذكرهما الجرمي في كتاب "التنبية" وهما صلفاء وصلافي وهي الارض الغليظة وخبراء وخبارى ، وهي الارض فيها ندوة ، ثم بعد عشرين سنة وجد حرفا خامسا ذكره ابن دريد في "الجمهره" هو سبتاء وسباتى وهي الارض الخشنة<sup>(٢)</sup> .

ويذكر ياقوت في معجم الادباء ان رجلا قال لابن خالويه : اريد ان اتعلم من العربية ما اقيم به لساني . فقال له ابن خالويه : انا منذ خمسين اتعلم النحو ، ما تعلمت ما اقيم به لساني<sup>(٣)</sup> ، ولئن كان ما رواه ياقوت صحيحا فانني استغرب ان يكون ابن خالويه قد قدر على مناقشة اللغويين في البلاط ان كان لم يقوم لسانه بعد .

(١) ابن خلكان : وفيات الاعيان ج ١ ص ٤٣٣

(٢) السيوطي : بغية الدعاة ص ٢٧٢

(٣) معجم الادباء او ارشاد الاديب القاهرة طبعة الرفاعي لا تاريخ ج ٩ ص ٢٠٢ .

وكان لابن خالويه بعض المناظرات مع لغويي البلاط ، وكانت اشد هذه المناظرات ما عقد بينه وبين ابي علي الفارسي . ذكر الانباري ان ابن خالويه سأل ابا علي : كم للسيف اسما ؟ قال : اسم واحد . فقال له ابن خالويه : بل اسما كثيرة ! واخذ يعددها نحو الحسام والمخزم والقضيب والمقتضب فقال له ابو علي : هذه كلها صفات (١) .

ويذكر الدلجي في كتابه " الفلاكة والمفلكون " ان كلاماً جرى بين ابي علي

الفارسي وابن خالويه ، فقال ابن خالويه : نتكلم في كتاب سيبويه ، فقال له الفارسي لا بل نتكلم في النصيح . ولابي علي الفارسي في تغليط ابن خالويه كتاب " الهادور قلت " (٢) ولم يكن سيف الدولة يقف محايداً في المناظرات بل كان ضالعاً مع ابن خالويه ينصره على منافسيه (٣) .

ولابن خالويه من الكتب : الاشتقاق ، الجمل في النحو ، اطرفش القراءات المبتدى ، اعراب ثلاثين سورة من القرآن الكريم ، المقصور والمدود ، المذكر والمؤنث ، الالفات ، ليس في كلام العرب (٤) . كما شرح ديوان ابي فراس الحمداني ونشر هذه النسخة الدكتور سامي الدهان في طبعة علمية (٥) .

(١) الانباري : ابوالبركات عبد الرحمن بن محمد . نزهة الالباء في طبقات الادباء مصر

سنة ١٢٩٤ ص ٣٨٥

(٢) الدلجي : احمد بن علي : الفلاكة والمفلكون القاهرة سنة ١٣٢٢ ص ١٠٢

(٣) القنطي : جمال الدين ابوالحسن علي بن يوسف : انباء الرواة على انباء النحاة ،

تحقيق محمد ابوالفضل لبراهيم القاهرة سنة ١٩٥٠ ج ١ ص ٣٢٧

(٤) ابن النديم : ابوالنرج محمد بن اسحق : الفهرست القاهرة سنة ١٣٤٨ ص ١٢٤

(٥) ابوفرأس الحمداني : الديوان بيروت سنة ١٩٤٥ .

ولا بن خالويه من الشعر قوله : (١)

إذا لم يكن صدرنا المجالس سيد      فلا خير فيمن صدرته المجالس  
وكم قائل مالي رأيتك راجلا      فقلت له من أجل أنك فارس

وتوفي ابن خالويه سنة ٣٧٠ هـ (٢)

---

(١) ياقوت: معجم الادباء ج ٩ ص ٢٠٥

(٢) ابن النديم : الفهرست ص ٢٢٤

## ٢ - ابو علي الفارسي :

هو الحسن بن احمد بن عبد الغفار بن محمد بن سليمان بن اباان الفارسي النحوي (١) . وكان الملمم الاول لكثير من تأليف ابن جني (٣) ، وفد على بلاط سيف الدولة في حلب سنة ٣٤١ هـ (٢) . وكان الامير حينئذ في اوج عظمته اولاً ، ويفدق العطاء ثانياً كما كان سيف الدولة <sup>شيعياً</sup> وابو علي شيعي ثالثاً (٤) ولكن تقوم المنافسة بين ابي علي وابن خالويه كما ذكرت في الحديث عن ابن خالويه ، ويرى ابو علي ان سيف الدولة يؤثر ابن خالويه على غيره من علماء اللغة ، فيفضل مضارعة البلاط لتحامل ابن خالويه واقتراه عليه ، وتحريف الكلم عن مواضعه ، وقلة تحفظه فيما يرمي به ابا علي . وهذا هو ما يذكره ابو علي في " المسائل الحلبيات " ويظهر ان الصلة بين سيف الدولة وابي علي ، بعد مغادرته حلب ، اصبحت قاصرة على الكتابة والمراسلة . (٥)

كتب ابو علي الى سيف الدولة في مقدمة " المسائل الحلبيات " يقول : " قرأ - اطلال الله بقاء سيدنا الامير سيف الدولة - عبد سيدنا الرقعة النافذة من حضرة سيدنا ، فوجد كثيراً منها شيئاً لم تجر عادة عبده به ، لا سيما مع مثل صاحب الرقعة . . . . . "

(١) ابن خلكان : وفيات الاعيان ج ١ ص ٣٦١

(٢) ابن جني ابوالفتح عثمان : سر صناعة الاعراب تحقيق مصطفى السقادر وآخرين القاهرة سنة ١٩٥٤ ص ٧ من المقدمة .

(٣) ابن خلكان : وفيات الاعيان ج ١ ص ٣٦٢

(٤) شلبي ، عبد الفتاح اسماعيل : ابو علي الفارسي القاهرة سنة ١٩٥٨ ص ٥٩ - ٦٠

(٥) شلبي : عبد الفتاح اسماعيل : ابو علي الفارسي القاهرة ص ٦١

ويرد في آخر الكتاب على ابن خالويه<sup>٢</sup> بقوله : وليس في الرقعة التي وصلت الى عبد سيدنا شيء حكمه ان يتكلم عليه ، وآخرها حرف لم يبعد فيه وهو قوله : وليس يعرف احد ما يقول فكيف ينقصه ؟

ومما يصدق هذا ان رقعة من ثلاث رقاع وردت حضرة سيدنا الامير سيف الدولة اطل الله بقاءه - فمما ذكره فيها قول الشاعر :

قالت الا ليت ما هذا الحمام لنا •

وتعاطى تفسير الرفع والنصب في الحمام فقال : " ومن رفع الحمام جعله خبر

ليت ، وهذا - اطل الله بقاء سيدنا الامير - من العويص الذي يفهمه احد ، ولا يعرفه ولا ينقصه ولا يبرمه وقد نفذ جواب عبد سيدنا في ذلك حل الوجه الذي يعرف • (١)

والجزء الباقي من مخطوطة الحلبيات يحوى ست عشرة مسألة اصلية ، تضمنت مسائل

فرعية وبذلك اصبح مجموع المسائل ما يقرب من الستين • ولا ترابط بربط بين هذه

المسائل ، فهناك ما يتميز بطابعه اللغوى بجانب ما طابعه صرفي ، ويبدو الترابط

في بعضها كالباب الخاص بابنية الافعال فقد تحدث عن الابواب الاتية متتابعة ، وهي :

ا - باب ابنية الافعال الثلاثية الصحيحة التي لا زيادة فيها •

ب - تسكين عين فعل ( العين <sup>هَمْزٌ</sup> الحركة ) تخفيف وكون عينه اذا كانت حرف حلق كان فيه اربع لغات •

ج - باب ابنية الافعال الثلاثية المعتلة التي لا زيادة فيها •

د - باب ما كانت اليا في اوله نحو ( يمن ويمن ويسر ويسر ، وينع ويينع )

---

(١) شلبي : عبد الفتاح اسماعيل : ابو علي الفارسي القاهرة هـ ١١٤

هـ - باب ما كانت الياء الواو في ثانيه .

و - باب ما كانت الواو والياء في ثالثه : غزا ورمى .

ز - باب التضعيف .

وبعض المسائل معقود لسيف الدولة اما صراحة واما دلت عليه اشارات . و ابو علي في هذه المسائل يحكي عن عدد من سابقه منهم محمد بن السري ، والتوزي ويعقوب و ابو زيد والخليل وسيبويه ويونس و ابو عثمان وابن حبيب ، وهو كذلك يحتج بشعر عدد الشعراء منهم الاعشى وابن هرقة ، وحميد ابن نور . والحجاج وحسان ابن ثابت و اوس و طرفة و علي بن الغدير الغنوي ، وقيس بن الخطيم ، و ابو و ابن عقيل والكميت ، و جرير و الفرزدق و ذو الرمة . (١)

وفي الرسالة عناصر ثلاثة متميزة : (٢)

(١) بيان مكانة ابي علي من علماء عصره .

(٢) دفاع الفارسي عن نفسه برد ما نسب اليه ابن خالويه .

(٣) خلاص الفارسي بعد الدفاع الى الهجوم علي ابن خالويه بتفنيد آرائه وبيان وجه الخطأ فيها .

روى ابن جنبي عن ابي علي قوله : \* اخطي\* في خمسين مسألة في اللغة ولا اخطي\* في واحدة في القياس . (٣) ولا يبي علي تصانيف لم يسبق الي مثلها منها : كتاب الايضاح في النحو ، وكتاب الحجة في القلاعات السبع ، وكتاب المقصور والمدود (٤)

(١) شلبي : ابو علي الفارسي ص ٤٩٩ - ٥٠١

(٢) شلبي : ابو علي الفارسي ص ٥٠٧ - ٥٠٨

(٣) الانباري : نزهة الالباء ص ٣٨٩

(٤) الانباري : نزهة الالباء ص ٣٨٧ - ٣٨٨



وأورد القفطي الرواية التالية : " قال ابو القاسم بن أحمد الأندلسي :

جرى ذكر الشعر ، فقال ابو علي وأنا حاضر ، اني لأغبطكم على قول الشعر ،  
فان خاطري لا يوافقني على قوله ، مع تحققي بالعلوم التي هي من مواد ، فقال  
له رجل : فما قلت شيئا منه قط البتة ، قال : ما أعلم أن لي شعرا الا ثلاثة  
ابيات في الشيب وهي قولني :

خضبت الشيب لما كان عيي وخضب الشيب أولى أن يعابا  
ولم أخضب مخافة هجر خل ولا عيبا خدشيت ولا عقابا  
ولكن الشيب بدا ذميما فصبرت الخضاب له عقابا<sup>(٢)</sup>

ولعل ابن جني كان اشتهر علما اللغة الذين أخذوا عن أبي علي  
الذي توفاه الله سنة ٣٧٧ . ويورد له ابن العماد الحنبلي من الكتب زيادة  
على ما أورد الأثيري : كتاب التذكرة ، وكتاب الاغفال فيما أغفله الزجاج من  
المعاني ، وكتاب العوامل المائة ، وكتاب مسائل الحلبيات ، وكتاب المسائل  
البغداديات ، وكتاب المسائل الشيرازيات ، وكتاب البصرية ، وكتاب المسائل  
المجلميات . (٣)

(١) الاثيري : نزهة الالباء ص ٣٨٢ - ٣٨٨

(٢) القفطي : انباء الرواة ج ١ ، ص ٢٧٥

(٣) ابن العماد الحنبلي : شذرات الذهب ج ٣ ، ص ٨٨ - ٨٩ .

ابن جني ١

هو أبو الفتح عثمان بن جني العالم اللغوي ، الذي ليس لأحد من  
أئمة الأذنب في فتح المغفلات وشرح المشكلات ما له ، ولا سيما في علم الأعراب ، حتى  
قيل فيه انه وقع عليها من ثمرة الغراب ، ومن تأمل مصنفاته وقف على بعض صفاته . (١)  
ويقول الأثباري عنه : " ولم يكن في شيء من علومه اكمل منه في التصريف ، فانه لم يصرف  
أحد في التصريف ولا تكلم فيه أحسن ولا أدق كلاما منه ، كان أبوه جني مملوكا روميا  
وهو في ذلك يقول (٢)

فان أصبح بلا نسب	فعلني في الزرى نسبي
على اني أوول الى	قروم سادة فجب
اولا دعا النبي لهم	كفى شرفا دعا نسبي

أخذ ابن جني عن عدد من العلماء هم : أبو علي الفارسي ، أبو صالح  
السليل بن أحمد بن عيسى بن الشيخ ، أبو اسحق إبراهيم بن أحمد القرمييني ،  
أبو الحسين علي بن عمر بن عمرو ، بشار بن عبد الحميد الكرخي ابن دريد أبو بكر  
محمد بن الحسن ، أبو بكر جعفر بن الثاني ، أبو الفرج الأصفهاني ، أبو بكر محمد بن  
يعقوب بن مفسم ، أبو بكر محمد بن هارون الروماني ، محمد بن سلمة . كما أخذ  
عن جماعة من الأعراب الفصحاء الذين كانوا يرددون الحواضر ، ومنهم السليل بن  
أحمد السابق ذكره ، ومحمد بن العساف الشجري الجوتي التميمي . (٣)

أطلس دلفه

وتقلد أبو الفتح بعض مهام الدولة فكتب لسيف الدولة الحمداني  
عنده اجتمع باستاذة أبي علي الفارسي ، وكتب لعهد الدولة الديلمي ، والتقى  
بأبي الطيب عندهما فاعجب به . (٤)

يرى البعض ان أبا الفتح كان يحضر <sup>بجانب</sup> عند المتنبّي كثيراً ،  
وينظره في شيء من الفخر من غير ان يقرأ عليه شيئاً من شعره انفة واكباراً لنفسه ،  
وكان المتنبّي يقدره ويحترمه وقال فيه : (٥) " هذا رجل لا يعرف قدره كثير  
من الناس " ولكن الحقيقة ان أبا الفتح قرأ ديوان المتنبّي عليه وشرحه وسماء  
" الفسر " وورد في شرحه قوله : سأل شخص أبا الطيب عن قوله :

" باد هواك صبرت أم لم تصبرا "

فقال كيف أثبت الألف في تصبرا مع وجود لم الجازمة وكان من حقه  
ان تقول : " لم تصبر " فقال المتنبّي : لو كان أبو الفتح هنا لأجابك ، وهذه  
الألف هي بدل نون التوكيد الخفيفة ، ونون التوكيد الخفيفة اذا وقف الأنسان  
عليها ابدلت الفا (!)

(١) الباخري ، أبو الحسن علي بن الحسن ، دمية الفسر وعصرة أهل العصر ، حلب  
سنة ١٣٤٨ ص ٢٩٧ .

(٢) الانباري - نزهة الألباء ص ٤٠٦ - ٤٠٧

(٣) طلس ، محمد اسعد : أبو الفتح باجني . مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق تموز  
سنة ١٩٥٥ ص ٤٤٧ - ٤٤٨ .

(٤) طلس ، محمد اسعد ، أبو الفتح بن جني ص ٤٥٢

(٥) ياقوت : معجم الادباء ج ١٢ ص ٨٩

(١) ابن خلكان : وفيات الأعيان ج ٢ ص ٤١٢ .

دليل آخر يثبت قراءة ابن جني لديوان المتنبي هو قوله : كنت

قرأت ديوان أبي الطيب عليه فقرأت عليه قوله في كافور القصيدة :

أغالب فيك الشوق والشوق أغلب وأعجبتك ذا الهجر والوصل أعجب

حتى بلغت إلى قوله :

ألا ليت شعري هل أقول قصيدة ولا اشتكي فيها ولا أتعجب

ولي ما يزود الشعر عني أقله ولكن قلبي يا ابنة القوم قلب

نقلت له : يعز علي كيف يكون هذا الشعر في مدوح غير سيف الدولة ؟

نقال : حذرنا وأذرننا فما نفع ! ألسنا القائل فيه :

أخا الجود اعط الناس ما أنت مالك ولا تعطين الناس ما أنا قائل

فهو الذي اعطاني كافورا بسوء تدبيره وقلة تمييزه . (٢)

ولما توفي المتنبي رثاه ابن جني بقوله : (٣)

غاض القريض وأودت نضرة الأذب وصدحت بعد رثي دوحة الكتب

---

(١) ابن جني : سر صناعة الاعراب ص ٣٧ من المقدمة .

(٢) الباخري : دمية القصر ص ٢٩٧ - ٢٩٨

ومن تلامذته محمد بن عبد الله بن شاهويه ، وعلي بن زيد القاسمي ،

والأعور الساعر عبد الله بن محمد بن سعيد بن سلمان الخفاجي ، وعبد السلام

بن الحسن بن محمد البصري ، وعلي بن عبيد الله بن عبد الغفار السمني ،

وأبو عبيد الله الحسن بن أحمد بن نصر ، وثابت بن محمد الجرجاني الأندلسي . (١)

ذكر ابن النديم في كتابه " الفهرست " اسماً كتب ابن جني . فصفياً

على النحو التالي : التعانف في العربية ، المعرب ، التلفيز ، اللمع ، الفسر لشرح

ديوان أبي الطيب ، الفصل بين الكلام الخاص والعام ، العروض والقواني ، جمل

أصول التصريف ، الوقف والابتداء ، الألفاظ من المهموز ، المذكر والمؤنث ، تفسير

المراتي ، القصيدة الرائية للشريف الرضي ، معاني أبيات المتنبي ، الفرق بين

الكلام الخاص والعام . ويعين كتاب الفهرست تاريخ وفاة أبي الفتح سنة ٣٩٢ هـ (٢)

وإذا ما علمنا أن ابن النديم عوفي سنة ٢٨٦ فاما أن يكون تعيين سنة وفاة ابن جني

مدسوساً أو أن ترجمة ابن جني بأجمعها مدسوسة .

وذكر ياقوت في معجم الأدباء " اجازة أبي الفتح لكتبه : " بسم الله

الرحمن الرحيم : قد أجزت للشيخ أبي عبد الله الحسين بن أحمد بن نصر - أدام

الله عزه - أن يروي عني مصنفاتي وكتبي مما صححه وطبطه عليه أبو أحمد عبيد

السلام بن الحسين البصري - أيد الله عزه - عنده منها . . . (٣)

(١) طلس : المصدر السابق - ص ٤٥٦ - ٤٥٧

(٢) ابن النديم : الفهرست - ص ١٢٨

(٣) ياقوت : معجم الأدباء - ج ١٢ ، ص ١٠٩ - ١١١ .

ويعدد بعد ذلك الكتب وأوراقها ويزيد ياقوت في الصفحات التالية اسما  
كتب لابن جني لم يرد ذكرها في الاجازة . (١)

### ابو الطيب اللغوي :

عبد الواحد بن علي ابو الطيب اللغوي الحلبي ، ولد في عسكر مكرم  
من نواحي خوزستان ، قدم الى حلب وأقام فيها الى ان قتل وقت دخول الدمشق  
واحتلاله لها سنة ٢٥١ ، وهو احد العلماء المبرزين المتقنين لعلمي اللغة  
والعربية . (٢) روى الصقلي ، قال : كنت في مجلس ابن خالويه ان وردت  
عليه من سيف الدولة مسائل تتعلق باللغة فاضطرب لها ودخل خزانته ، وأخرج  
لها كتب اللغة وفرقها على من كان عنده من اصحابه يفتشونها ليجيب عنها ،  
وتركته وذهبت الى ابي الطيب اللغوي وهو جالس وقد وردت عليه تلك المسائل  
بعينها وبيده قلم الحمره فأجاب به ولم يغيره قدرة منه على الجواب . وله من  
الكتب : شجر الدر ، الابدال ، مراتب النحويين وكتاب في الفرق ولطيف  
الاتباع . (٣) درس ابو الطيب على ابن عمر الزاهد المطرز الوراق فلام ثعلب  
وأخذ عن محمد بن يحيى الصولي . (٤)

(١) ياقوت : معجم الأدباء - ج ١٢ ص ١١١ - ١١٢

(٢) الطباق : اعلام النبلاء ج ٤ ، ص ٢٥

(٣) الطباق : اعلام النبلاء ج ٤ ص ٢٥ - ٢٦

(٤) التنوخي ، عز الدين : ابو الطيب اللغوي ، مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق

نيسان سنة ١٩٥٤ ص ٢٨٠ .

وكان ابن خالويه يلقبه قروطة الكبرتل ، يريد دمرجة الجمل  
 لأنه كان قصيرا . (١) اما كتابه شجر الدر فيدل على تعمقه في اللغة ،  
 وتضلعه من مفرداتها ، والأصل فيه مداخلة الكلام بالمعاني المختلفة ، سماه  
 شجر الدر لأنه ترجم كل باب منه بشجرة ، وجعل للشجرة فرعا . وكل شجرة مئة كلمة  
 اصلها كلمة واحدة ، تتضمن من الشواهد عشر ابيات من الشعر ، وكل فرع عشرين  
 كلمات فيها من الشعر بيتان . الا شجرة ختم بها الكتاب لا فرع لها ولا شاهد  
 فيها وعدد كلماتها خمسمائة كلمة ، اصلها كلمة واحدة وفي آخرها بيت واحد  
 من الشعر ، وانما سمي الباب من ابواب الكتاب شجرة لاشتجار بعض كلماته ببعض  
 أي تداخله ، مثال ذلك :

الصحن : قدح النبيذ ، والنبيذ : الشيء المنبوز ، والمنبوز :  
 اللقيط ، واللقيط : النوى ، والنوى : الشحط ... (٢)

ولأبي الطيب كتاب مراتب النحويين تحدث فيه عن ظهور اللحن فسي  
 الكلام كما تحدث عن أبي الأسود الدؤلي ومن أخذ عنه واتبعه بعدد الله ابن أبي  
 اسحاق وأبي عمرو بن العلاء وعيسى بن عمر الثقفي ويوسف بن حبيب الضبي  
 وشيبيل بن عزة الصبغي ... الخ (٣)

نظم قصيدة من ستة عشر بيتا فانيتها كلمة واحدة تلك هي كلمة " الخال " (٤)

(١) المعري ، أبو العلاء . رسالة الغفران ، تحقيق بنت الشاطئ ، القاهرة سنة ١٩٥٢

١٩٥٢ ص ٩٣

(٢) أبو الطيب اللغوي ، شجر الدر تحقيق محمد عبد الجواد القاهرة ١٩٥٢ - ص ٥٩ - ٦١

(٣) أبو الطيب اللغوي ، مراتب النحويين تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم القاهرة ١٩٥٢ ص ٥ - ٢٣

(٤) أبو الطيب اللغوي ، مراتب النحويين ، ص ٣٥ - ٣٦ .

كانت مجالس سيف الدولة الحمداني ندوات ادبية يشترك فيها الادباء ويتناقشون ، ويتناولون الشعراء بالنقد ! قال ابن بابك (١) : حضر المتنبي مجلس ابي احمد بن نصر البازيار وزير سيف الدولة وهناك ابو عبد الله بن خالديه النحوي و فتاريا في اشجع السلمي و ابي نواس البصري فقال ابن خالدية : اشجع اشعر اذ قال في هارون الرشيد رحمه الله تعالى :

وعلى عدوك يا ابن عم محمد      رصدان ضل الصبح والاضلام  
فاذا تنبه رعته واذا غضا      سلت عليه سيوفك الاحلام

فقال المتنبي لابي نواس ما هو احسن في نبي برمك وهو :

لم يظلم الدهر ان توات      فيهم مصيباته دراكا  
كانوا يجارون من يعادى      منه نعاذاهم لذاكا

فما دام المتنبي قد شارك في هذه المجالس فمن الطبيعي ان يؤخذ شعره بالجرح والنقد ، بل ان الشعراء والادباء نقدوا اول بيت انشده في حضرة سيف الدولة ويروى الروايات انه حين انشد المتنبي سيف الدولة :  
وفاء كما كالربيع اشجاء طاسمه      بان تسعدا والدمع اشفاء ساجمه  
كان ابن خالويه حاضرا فقال للمتنبي : تقول اشجاء وهو شجاء ، فقال له المتنبي : اسكت ليس هذا من علمك ، انما هو اسم لافعل ٠٠٠ يريد المتنبي انه اسم



تفضيل أي أشده شجوا لا كما ظن ابن خالويه أنه فعل . (١)

فما دام الحال قد بدأ مع صاحبنا أبي الطيب هكذا فلا بد من أنه كان كذلك مع غيره من الشعراء ، وكان هؤلاء جميعاً يتسقطون أخبار غيرهم ، وللنجاة من هذه النقذات كان لا بد من أعمال القريحة قبل الإرشاد . ولعل مرد ذلك يعود في رأيي - إلى ما يلي :

لا سبيل إلى إنكار ما كان عليه ذوق سيف الدولة الأدبي ، فللرجل ذوق خاص به يصيب في بعض نقدهاته ، ويخطئ في البعض الآخر .  
روى أن المتنبى حين أنشد سيف الدولة :

وقفت وما في الموت شك لواقف      كأنك في جفن الردى وهونائم  
تمر بك الأبطال كلمس هزيمة      ووجهك وضاح وثغرك باسم  
قال الواحدى : سمعت الشيخ أبا ماهر الفضل بن اسماعيل القاضي يقول :  
سمعت القاضي أبا الحسين علي بن عبد العزيز يقول لما أنشد المتنبى سيف  
الدولة هذين البيتين أنكر عليه سيف الدولة تطبيق عجزيهما على صدريهما  
وقال له : كان ينبغي أن تقول :

وقفت وما في الموت شك لواقف      ووجهك وضاح وثغرك باسم  
تمر بك الأبطال كلمس هزيمة      كأنك في جفن الردى وهونائم

ثم قال : وانت في هذا مثل امرئ القيس في قوله :

كأنني لم أركب جواداً للذة      ولم اتبطن كاعباً ذات خلخال  
ولم أسبأ الزق الثوى ولم أقل      لخليكي كرى كرة بعد إفعال

قال : روجه الكلام في البيتين على ما قاله العلماء بالشعر ان يكون  
عجز الأول مع الثاني وعجز الثاني مع الأول ليستقيم الكلام ، فيكون ركوب الخيل  
مع الأمر للخيل بالكر ويكون سبأ الزق مع تبطن الكاعب :

كأنني لم أركب جوادا ولم أقل      لخيلى كرى كرة بعد اجفأ ل  
ولم أسبأ الزق الروى للذة      ولم أتبطن كاعبا ذات خلخال

نقال ابو الطيب : أدام الله عز مولانا سيف الدولة ، ان صح ان  
الذى استدرك على امرئ القيس هذا اعلم منه بالشعر ، فقد اخطأ امرؤ القيس  
وأخطأت انا ومولانا يعرف ان الثوب لا يعرفه البزاز معرفة الحائك لأن البزاز  
يعرف جملة والحائك يعرف جملة وتفصيله لأنه اخرجهم من الغزلية الى الثوبية ،  
وانما قرن امرؤ القيس لذة النساء بلذة الركوب للصيد وقرن السباحة في شرا  
الخمير للأضياف بالشجاعة في منازلة الأعداء . وانا لما ذكرت الموت في أول البيت  
اتبعته بذكر السرى لتجانسه ، ولما كان وجه المهزوم لا يخلو من ان يكون عبوسا  
وعينه من ان تكون باكية قلت " ووجهك وضاح وثغرك باسم " لأجمع بين الأضداد  
في المعنى . فأعجب سيف الدولة بقوله ووصله بخمسين دينارا من دنانير الصلات  
وفيهما خمسمائة دينار " . ويضيف الواحدى رأيه فيقول : " ولا تطابق بين  
الصدر وللعجز أحسن من بيني المتنبى ، لأن قوله " كأنك في جفن الردى وهو  
وهو نائم " ، معنى قوله وقفت وما في الموت شك لواقف فلا معدلة لهذا العجز  
عن هذا الصدر لأن النائم اذا أطبق جفنه أحاط بما تحته ، وكان الموت قد أظله

من كل مكان كما يحدث الجنين بما يتضمنه مع جميع جهاته ، وهذه هي حقيقة الموت .  
وقوله : تمريك الأبطال هو النهاية في التطابق للمكان الذي تكلم فيه الأبطال فتكلم  
وتعيس ، وقوله : ووجهك واضح لاحتفارك الأمر العظيم \* (١)

وجرى البحث في بعض المجالس في مسألة لغوية : قال عبد المحسن علي  
ابن كوجك ان ابا حذافه قال : كنت بحضرة سيف الدولة وأبو الطيب اللغوي وأبو عبد الله  
ابن خالويه اللغوي والنحوي وقد جرت مسألة في اللغة تكلم فيها ابن خالويه مع أبي الطيب  
اللغوي والمتنبي ساكت فقال له سيف الدولة الا تتكلم يا أبا الطيب فتكلم بما قوى كحجة أبي الطيب  
اللغوي وضعف قول ابن خالويه ، فأخرج هذا من كفه مفتاحا حديدا ليلطم به المتنبي فقال  
له المتنبي : اسكت ويحك فانك اعجمي وأصلك خوزي فمالك وللعربية ، فضرب وجه المتنبي  
بذلك المفتاح فأسال دمه على وجهه وثيابه فغضب المتنبي لذلك ، اذ لم ينتصر له سيف  
الدولة لا قولا ولا فعلا \* (٢)

ويروى عن أبي فراس انه قال لسيف الدولة : ان هذا المشدق كثير الادلال  
عليك وانت تعطيه كل سنة ثلاثة آلاف دينار على ثلاث فصائد ، ويمكن ان تفرق مائتي دينار  
على عشرين شاعرا يأتون بما هو خير من شعره . فتأثر سيف الدولة من هذا الكلام وعمل فيه ،  
وكان المتنبي غائبا وبلغته القصة فدخل على سيف الدولة وأشده : (٣)

---

(١) المتنبي : الديوان - شرح البرقوقي ج ٤ ص ١٣١ - ١٣٢

شرح الواحدى ص ٥٥

مندور ، محمد ، النقد المنهجي عند العرب ص ١٦٧ - ١٦٩

البديعي : الصبح ص ٤٣ - ٤٤

الشعالبي : يتيمة الدهر ج ١ ص ٢١ - ٢٢

(٢) البديعي : الصبح ص ٤٥

(٣) البديعي : الصبح ص ٤٥

الا ما لسيف الدولة اليوم عاتبا      فداه الورى أخص السيوف مضاربا  
وما لي اذا ما اشتقت ابصرت دونه      تنائف لا اشتاقها وسيا سبا  
وقد كان يدني مجلسي من سماه      احادث فيها بدرها والكواكبا  
حنانك مسوء ولا ولبيك داعيا      <sup>وحسبي</sup> موهوبا وحسبك راهبا  
أهذا جزاء الصدق ان كنت صادقا      أهذا جزاء الكذب ان كنت كاذبا  
فان كان ذنبي كل ذنب فانه      <sup>هنا</sup> الذنب كل الذنب من جاء تائبا

فأطرق سيف الدولة ولم ينظر اليه كعادته ، فخرج المتنبي من عنده  
متغيرا وحضر ابو فراس وجماعة من الشعراء فبالغوا في الواقعة بحق المتنبي وانقطع  
ابو الطيب بعد ذلك ونظم القصيدة التي أولها :

واحر قلباه ممن قلبه شيم      ومن بجسمي وحالي عنده سقم  
وانشدها وجعل يتظلم فيها من التفتير بحقه بقوله :

ما لي اكنم حبا قد برى جسدي      وتدعي حب سيف الدولة الاثم  
ان كان يجمعنا حب لغرته      فليت أنا بقدر الكعب نفتسم  
قد زرتة وسيوف الهند مغمدة      وقد نظرت اليه والسيوف دم

~ فمهم جماعة بقتله في حضرة سيف الدولة لشدة ~~الافلا~~ ادلاله ، واعراض  
سيف الدولة عنه ، فلما وصل في انشاده الى قوله :

يا أعدل الناس الا في معاملتي      فيك الخطا م وأنت الخصم والحكم

قال ابو فراس سلخت قول دعبل وأدعيته وهو :

ولست ارجو انتصافا منك ما ذرفت عيني دموعا وانت الخصم والحكم

فقال المتنبي :

اعينها نظرات منك صادقة ان تحسب الضحم فيمن شحمه ورم

فعلم ابو فراس انه يعنيه فقال : من أنت يا دعي كنده حتى تأخذ

اعراض الأمير في مجلسه ، واستمر المتنبي في انشاده ولم يرد عليه الى ان قال :

سيعلم الجمع من ضم مجلسنا بأنني خير من تسعى به قدم

انا الذي نظرا لأعني الى أدبي وسمعت كلماتي من به صمم

فزاد ذلك ابو فراس غيظا وقال : سرقت هذا من قول عمرو بن عروة بن

العبد في قوله :

أوضحت من طرق الآداب ما اشتكلت دهرها وظهرت اغرابا وأبدعا

حتى فتحت بأعجاز خصمت بسسه للعمي والصم ابصارا واسمعا

ولما وصل الى قوله :

الخيلى والليل والبيدا تعرني السيف والرمح والقرطاس والقلم

قال ابو فراس : وماذا أبقيت للأمير ان وصفت نفسك بالشجاعة والفصاحة

والرياسة والسماحة تمدح نفسك بما سرقت من كلام غيرك وتأخذ جوائز الأمير ،

انما سرت هذا من قول هيثم بن الأسود والنجفي الكوفي المعروف بابن  
عريان العثماني :

اعاذلني كم مهمة قد قطعته      أليف وحوش ساكتا غير هائب  
انا ابن الفلا والطمع والضرب والسرى      وجرد المذاكي والثقات والقواضب  
حليم وقور في البلاد وهيبني      لها في قلوب الناس بطش الكناشب

نقال المتنبي :

وما انتفاع أخي الدنيا بناظره      اذا استرت عنه الأنوار والظلم

قال ابو فراس : وهذا سرته من قول معقل العجيلي :

اذا لم أمز بين نور وظلمة      بعيني فالعينان زور وباطل

ومثله قول محمد بن احمد بن أبي مرة المكي :

اذا المرء لم يدرك بعينه ما يرى      فما الفرق بين العمي والبصير

" وغضب سيف الدولة من كثرة منافسته في هذه الفصيدة وكثرة دعاويه

فيها فضربه بالدواة التي بين يديه ، فقال المتنبي في الحال :

ان كان سرکم ما قال حاسدنا      فما لجرح اذا أرضاكم ألم

نقال ابو فراس : أخذت هذا من قول بشر :

اذا رضيت بأن نجفی وسرکم      قول الرشاة فلا شکوی ولا ضجر

ومثله قول ابن الرومي ١

إذا ما الفجائع اكسبني      رضاك فما الدهر بالفاجع

" فلم يلتفت سيف الدولة الى ما قاله ابو فراس وأعجبه بيت المتنبي

فرضي عنه في الحال وأدناه اليه وقبل رأسه وأجازه بألف دينار ثم أرفقه بألف

أخرى فقال المتنبي ٢

جاءت دنائير مخنومة      عاجلة الفا على ألف

أشبهها فعلك في فيلق      قلبته صفا على صف

وفي آخر القصيدة يقول ٣

شر البلاد مكان لا صديق له      وشر ما يكسب الانسان ما يحم

وشر ما قنصته راحتي قنص      شهب البزاة سواه فيه والرحم " (١)

ويعتقد الدكتور مندور أن هذه القصيدة موضوعة لما فيها من ترتيب لمناسبة

الآبيات والتمهيد بها لتلك الأحداث التي لا تكاد نصدقها كرمي سيف الدولة المتنبي

بالدواة التي كانت بين يديه ، فهذه واقعة لا نعلم كيف توفق بينها وبين ما يروونه عن

أن المتنبي قد أخذته العزة عندما انتصر على ابن خالويه في المناقشة اللغوية التي

أوردتها .

فاذا صح ان المتنبى قد غضب لأن الأمير لم ينتصف له من ابن خالويه فكيف به لو صدق ما ورد في هذه الحكاية من غضب الأمير نفسه له بالدواة ، وهل يعقل ان يستمر بعد ذلك في الانشاد . ثم ان اتها م ابي فراس له بأنه دعي كنده أمر مشكوك به ، وذلك لأن المتنبى لم يدع قط ولا ادعى له أحد من معاصريه بأنه من كنده ، وانما هذه نسبة قال بها بعض المتأخرين ، ان خلطوا بين قبيلة كنده ، ومحلة كنده احد احياء الكوفة والتي ولد المتنبى فيها (١)

واذا كانت هذه الحكاية موضوعة ، فانها تحتفظ بدلالاتها العامة وتعزز كل ما ذكرت سابقا من مظاهر لنشاط النقد في بلاط سيف الدولة ونقد شمر المتنبى بوجه خاص .

ويذكر الدكتور عبد الوهاب عزام في كتابه " ذكرى ابي الطيب بعد ألف عام " ... انه لما انتهى المتنبى من انشاد قصيدته هذه اضرب المجلس وقال ابو الفرج السامري احد كبار كتاب الأمير : " دعني اسمع في دمه " (٢) فرخص له بذلك ، وفي ذلك يقول المتنبى (٣) :

أسامري ضحكة كل را	فطنت وكنت اغبي الأغبياء
صغرت عن المديح نقلت أهجي	كأنك ما صغرت عن الهجاء
وما فكرت قبلك في محال	ولا جرت سيفي في هباء

(١) مندور ، النقد المنهجي عند العرب ص ١٦٦ - ١٦٧

(٢) عولم : ذكرى كذا ولعلها " دمه "

(٣) عزام : ذكرى ابي الطيب بعد ألف عام القاهرة سنة ١٩٥٦ ص ١٩ .



وكاد أبو الطيب يهلك في هذه القصة .

والواضح من هذا الأمر الذي بينت ، أن النقد انصبَّ أكثر ما انصبَّ على شعرا أبي الطيب ، فكان شعره مشارا للنقد الأدبي في بلاط سيف الدولة ، وبقيت هذه الموجات النقدية إلى ما بعد وفاته ، فنقد المتنبي نفاذ كثيرون ، قدامى ومحدثون ، واختلف هؤلاء في تقديمهم بين نصير وخصم ، وقلة هي التي وقفت موقف الحكم بين الجانبين ، فكثرت المصادر التي بحثت في أبي الطيب وشعره حتى عدت قول القائل : " وجاء المتنبي فعلا الدنيا وشغل الناس " .

### خاتمة =====

والآن ، بعد ان فرغت من هذا البحث الذى صحبته عاما وبعض العام ، لا أزم اني وفيته حقه وأتيت به على الصورة التي أتمناها ، وكيف أزم هذا وهناك صعوبات وعقبات ونفت بي عن ادراك ما أرجو ، وأول هذه الصعوبات تشعب اطراف الموضوع وامتدادها حتى لممكن القول ان كل فصل منها حقيق بدراسة وافية ، وأنى لي ان ألم اطراف هذا الموضوع في دراسة واحدة ، وثانيها صعوبة الوصول الى المصادر ، فهناك كثير من المخطوطات عز علي منالها ، وهناك المصادر الأجنبية كالفرنسية مثلا - التي اجهل لغتها - ربما كانت ذا فائدة اكبر لو استطعت قراءتها بنفسى بدل الاعتماد - كما فعلت - على ترجمات قام بها بعض اصدقائي وزملائي ، وثالثها صعوبة تختص بالموضوع ذاته ، وهي ان المصادر لا تروى غل الباحث في مسائل كثيرة ، فمثلا نرى ان الخوارزمي قضى مدة طويلة في بلاط سيف الدولة ، ومع ذلك لا نجد في المصادر رسالة واحدة له موجهة الى سيف الدولة او يدور موضوعها حوله . وقد حاولت جهدى ان استبين هذه العلاقات المختلفة ، ملتزما حدود المسؤوليات البحث العلمي ، غير مستطرد الى نتائج لا تسندها حجة قوية او حقيقة ثابتة . هـ

كان ندر الدولة الحمدانية أمرا طبيعيا لما كان يعتور الخلافة العباسية من ضعف وتراخ اطمعا فيها اعداءها الكثر ، فقامت الدولة الحمدانية سدا منيعا في وجه الروم ، وكان على رأسها رجل قوى تركت حوله الحياة السياسية ،

والأدبية في القرن الرابع . ولم يخيب سيف الدولة أمل الأدباء ، فأغدق عليهم العطاء ما وسعت يداه ، فجاءت اليه افواج الأدباء واللغويين ينهلون ويعلمون من أنهار جوده ، فسار الشعر في فلكه لا يحيد عنه ، وأكثر الشعراء من مدحه والتغني بصفاته في الحرب والسلم ، فكانت شخصيته القوية الجامعة مادة خصبة لموضوعات شعرهم ، فجعله بعض مداحيه البطل الذي يمكن ان يجمع شمل الأمة تحت الراية الاسلامية ، وأسهب بعض شعرائه في وصف حروبه ، فكانت اوصافهم سجلا صادقا لما دار في هذه الحروب ، واعتبروها حروبا دينية كانت نقطة الانطلاق للحروب الصليبية . وتأثر البعض بالبيئة الطبيعية المحيطة بالبلاط ، فوصف الطبيعة ومظاهرها ، من فصول وازهار ، ووصف الحياة الاجتماعية وما اشغلت عليه من شعر في الخمر ، ووصف للديارات والغلمان . ووجد بعضهم في البلاط الحمداني مكانا ينفسون فيه ما في نفوسهم من هوى شيعي ، وما كانوا يجروا على ذلك في غير هذا المكان ، وتشيع سيف الدولة وساعدهم على ذلك .

<sup>واكتفت</sup>  
~~والكتاب~~ علاقة الكتاب بسيف الدولة بعض الغموض وما كان بالامكان تحديد هذه العلاقة وتبيانها ، وكذلك كان الحال بالنسبة للغويين . ولم يشذ عن هذا الأمر الا ابن خبابة الخطيب ، فقد تمكنت من تحديد صلته بسيف الدولة ، فكان خطيب سيف الدولة وخطيب الجهاد ، وتأثر النثر بالشعر ، فانتج هذا الشعر الغزير حركة من النقد الأدبي تناولت في أكثرها شعرا المتنبي ، فكانت هذه الحركة نقطة الانطلاق لنقد المتنبي فيما بعد .

ولعل الجديد الذي أتت به هذه الدراسة هو أنها حددت العلاقة القائمة بين سيف الدولة وشعرائه ، فأزالت الكثير من اللبس والغموض الذي انطبع في أذهان البعض عن علاقات الأمير بالأدباء ، ولعل هذا الانطباع يعود في الغالب إلى مبالغة المؤلفين القدماء الذين هم ذكروا نبذاً من أخبار سيف الدولة ، واتضح هذا الأمر جلياً في علاقة سيف الدولة بالكتاب والخوارزمي خاصة ، وباللغويين وابن خالويه وابن جني وأبي الطيب اللغوي بوجه خاص . فنحن لا نرى في آثار هؤلاء نصاً يمكن القول بأنه يفقدنا إلى تحديد العلاقة بينهم وبين الأمير الحمداني .

هذه هي الأمور التي اجتهدت في أن أعطي صورة واضحة وصادقة لها ، ولعلي في هذا الاجتهاد أصيب مراراً بالحديث الشريف القائل " من الاجتهاد فأصاب فله اجران ، ومن اجتهد فأخطأ فله اجر واحد " . وأرجو أن أكون ممن قدر لهم الصواب في اجتهادهم . -

## ثبت مصادر البحث

### الدواوين الشعرية

- ١- ابو فراس الحمداني : الديوان ،  
 أ - شرح ابن خالويه ، تحقيق الدكتور سامي الدهان ، بيروت  
 سنة ١٩٤٥ .  
 ب - رواية ابن خالويه ، طبعة دار بيروت ودار صادر بيروت  
 سنة ١٩٥٩ .
- ٢- السرى الرنّاء : الديوان ،  
 القاهرة سنة ١٣٥٥ هـ .
- ٣- كساجم : الديوان ،  
 بيروت سنة ١٣١٢ هـ .
- ٤- المتنبّي : الديوان ،  
 أ - تحقيق الدكتور عبد الوهاب عزام  
 ب - شرح الواحدى  
 ج - شرح البرقوقي  
 هـ - الرواة الدمشقي : الديوان ،  
 تحقيق الدكتور سامي الدهان ، دمشق سنة ١٩٥٥

## المصادر التاريخية والإدبية

- ٦- ابن الاثير ، علي بن احمد :  
الكامل في التاريخ ، بولاق سنة ١٢٢٤ .
- ٧- ابن تغرى بردى ، جمال الدين ابوالمحسن :  
النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة . القاهرة سنة ١٩٢٣ .
- ٨- ابن جني ، ابو الفتح عثمان :  
سر صناعة الاعراب ، تحقيق مصطفى السقا وآخرين ، القاهرة سنة ١٩٤٥ .
- ٩- ابن حوقل :  
كتاب المسالك والممالك ، لندن سنة ١٨٧٣ .
- ١٠- ابن خلكان ، شمس الدين :  
وفيات الاعيان وابناء ابنا الزمان ، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد  
القاهرة سنة ١٩٤٨ .
- ١١- ابن رشيقي ، ابو علي الحسن  
العمدة في صناعة الشعر ، القاهرة سنة ١٩٥٥ .
- ١٢- ابن الشحنة ، محمد  
الدر المنتخب في تاريخ مملكة حلب ، بيروت سنة ١٩٥١ .
- ١٣- ابن الطقطقي :  
الفخرى في الآداب السلطانية ، القاهرة سنة ١٩٢٣ .

١٤- ابن العديم ، كمال الدين ؛

وبدة الحلب من تاريخ حلبه تحقيق الدكتور سامي الدهان ، دمشق سنة ١٩٥١

١٥- ابن العماد الحنبلي ، عبد الحي ؛

شذرات الذهب في اخبار من ذهب القاهرة سنة ١٣٥٠ .

١٦- ابن كثير ، عماد الدين ابو الفداء اسماعيل بن عمر ؛

البداية والنهاية ، القاهرة لا تاريخ

١٧- ابن نياته ، عبد الرحيم بن محمد ؛

ديوان الخطب ، بيروت سنة ١٣١١ .

١٨- ابن النديم ، ابو الفرج محمد بن اسحاق ؛

الفهرست ، القاهرة سنة ١٣٤٨

١٩- ابو الفداء ، الملك المؤيد اسماعيل ؛

المختصر في اخبار البشر ، مصر ، المطبعة الحسينية ، لا تاريخ

٢٠- أمين ، احمد

ظهر الاسلام ، القاهرة سنة ١٩٤٥ .

٢١- أمين ، احمد

فيض الخاطر ، القاهرة سنة ١٩٤٩

- ٢٢- الامين ، السيد محسن  
ابو فراس الحمداني ، دمشق سنة ١٩٤٥
- ٢٣- الامين : السيد محسن  
ايمان الشيعة ، دمشق سنة ١٩٤٤
- ٢٤- الانباري ، ابو البركات عبد الرحمن بن محمد  
نزهة الالباء في طبقات الادباء ، مصر سنة ١٣٢٢
- ٢٥- الانطاكي ، يحيى بن سعيد :  
التاريخ : تبعاً لتاريخ سعيد بن البطريق  
نشر كراتشكوفسكي وفازيليف ، باريس سنة ١٩٣٢
- ٢٦- الباخرزي ، ابو الحسن علي بن الحسن :  
دمية القصر وعصرة أهل العصر ، حلب سنة ١٣٤٨
- ٢٧- البديعي ، يوسف :  
الصبح المبني عن حيشة المتنبي ، دمشق سنة ١٣٥٥
- ٢٨- البصير ، محمد مهدي :  
في الآداب العباسي ، بغداد سنة ١٩٥٥
- ٢٩- البغدادي ، عبد القادر :  
خزانة الآداب وللباب لسان العرب ، بولاق سنة ١٢٩٩ .



٣٠- بينر ، نورمان :

الامبراطورية البيزنطية ، ترجمة حسن مؤنس ومحمود زايد ، القاهرة  
سنة ١٩٥٠ .

٣١- التنوخي ، ابو علي المحسن بن علي :

نشوار المحاضرة واخبار المذاكرة ، باعتنا مرجوليت ، القاهرة سنة ١٩٢١

٣٢- الثعالبي ، ابو منصور :

نكتة اليتيمة ، تحقيق عباس اقبال ، طهران سنة ١٣٥٣

٣٣- الثعالبي ، ابو منصور :

نثر النظم ، دمشق سنة ١٣٠٠

٣٤- الثعالبي ، ابو منصور :

يتيمة الدهرني محاسن اهل العصر ، تحقيق محي الدين عبد الحميد  
القاهرة سنة ١٩٤٧ .

٣٥- جبرى ، شفيق :

المتنبي مالى الدنيا وشاغل الناس ، دمشق سنة ١٩٣٠

٣٦- حسن ، حسن ابراهيم :

تاريخ الاسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي ، القاهرة سنة ١٩٥٥

٣٧- حسين ، طه :

مع المتنبي ، القاهرة سنة ١٩٣٦

٣٨- الحصرى :

زهر الآداب ، تحقيق علي محمد البجاري ، القاهرة سنة ١٩

٣٩- الحموى ، ابن حجة :

ثمرات الأوراق ، مطبع علي هاشم المستطرف ، القاهرة سنة ١٣١١

٤٠- الخوارزمي : ابوبكر محمد بن العباس :

رسائل الخوارزمي ، بولاق سنة ١٢٢٩

٤١- الدبحي ، احمد بن علي :

الغلاظة والمنلوكون ، القاهرة سنة ١٣٢٢

٤٢- الدوري ، عبد العزيز :

دراسات في العصور العباسية المتأخرة - بغداد

٤٣- رستم ، اسد :

الروم - بيروت

٤٤- السيوطي ، جلال الدين :

بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة - القاهرة سنة ١٣٢٦

٤٥- الشاشي ، ابراهيم الحسن علي بن محمد :

الديارات ، تحقيق كوركيس عواد - بغداد سنة ١٩٥١

- ٤٦- شاكرو ، محمود محمد ،  
 المتنبي ، مجلة المقتطف - القاهرة يناير سنة ١٩٢٦
- ٤٧- الشكعة ، مصطفى ؛  
 فنون الشعر في مجتمع الحمدانيين - القاهرة سنة ١٩٥٨
- ٤٨- شلبي ، عبد الفتاح اسماعيل ؛  
 ابو علي الفارسي - القاهرة سنة ١٩٥٨
- ٤٩- ضيف ، شوقي ؛  
 الفن ومذاهبه في الشعر العربي - بيروت سنة ١٩٥٦
- ٥٠- ضيف ، شوقي ؛  
 الفن ومذاهبه في الشعر العربي - القاهرة سنة ١٩٤٦
- ٥١- الطباخ ، راغب ؛  
 اعلام النبلاء بتاريخ حلب الشهباء - حلب سنة ١٩٢٢
- ٥٢- الطبرى ، محمد بن جرير ؛  
 تاريخ الرسل والملوك - القاهرة سنة ١٢٢٦
- ٥٣- عزام ، عبد الوهاب ؛  
 ذكرى ابي الطيب بعد ألف عام - القاهرة سنة ١٩٥٦

٥٤- الغزولي ،

مطالع البدور في منازل السرور - القاهرة سنة ١٢٩٩

٥٥- القفطي ، جلال الدين ابو الحسن علي بن يوسف :

انباء الرواء على انباء النحاء - تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم

القاهرة سنة ١٩٥٠

٥٦- الفلقسندی ، ابو العباس احمد :

صبح الاغثنى في كتابة الانشا - القاهرة سنة ١٩١٦

٥٧- الكتبي ، ابن شاکر :

فوات الوفيات - القاهرة سنة ١٩٥١

٥٨- كشاجم :

المصايد والمطارد - تحقيق الدكتور محمد اسعد طلس - بغداد سنة ١٩٥٤

٥٩- كتار ، ماريوس :

نخب تاريخية وأدبية جامعة لأخبار الأمير سيف الدولة الحمداني

الجزائر سنة ١٩٣٤

٦٠- اللغوی الحلبي ، ابو الطيب عبد الواحد بن علي :

شجر الدر ، تحقيق محمد عبد الجواد - القاهرة سنة ١٩٥٧

- ٦١- اللغوى الحلبي ، ابا الطيب عبد الواحد بن علي :
- مراتب النحويين - تحقيق محمد ابراهيم - القاهرة سنة ١٩٥٤
- ٦٢- مبارك ، زكي :
- الفن الفني في القرن الرابع الهجري - القاهرة سنة ١٩٥٢
- ٦٣- مقر ، آدم :
- الحضارة الاسلامية في القرن الرابع الهجري - ترجمة محمد عبد الهادي  
ابوريدة - القاهرة سنة ١٩٤٢
- ٦٤- المحاسني ، زكي :
- شعر الحرب في ادب العرب - القاهرة سنة ١٩٤٢
- ٦٥- مسكويه ، علي بن احمد :
- تجارب الأمم - مصر سنة ١٩١٥
- ٦٦- المعري ، ابراهيم :
- رسالة الغفران - تحقيق بنت الشاطئ - القاهرة سنة ١٩٥٠
- ٦٧- مندور ، محمد :
- النقد المنهجي عند العرب - القاهرة - لا تاريخ
- ٦٨- نوفل ، سيد :
- شعر الطبيعة في الادب العربي - القاهرة سنة ١٩٤٥

٦٩- النويري ، شهاب الدين :

نهاية الأرب في فنون العرب - القاهرة سنة ١٩٢٢

٧٠- الهمداني ، ابراهيم بن عبد الملك :

كتاب التكملة - نشره البرت يوسف كنعان - مجلة المشرق - بيروت

كانون ثاني - شباط سنة ١٩٥٨

٧١- ياقوت :

معجم الأديب - طبعة الرناي - القاهرة - لا تاريخ

٧٢- ياقوت :

معجم البلدان ، نشره روستنفيك - ليزج - سنة ١٨٦٧

#### المقالات

٧٣- البستاني ، فؤاد افرايم :

حلب عاصمة الأديب الحمداني ، صحيفة البشير - بيروت ، كانون ثاني - تموز ١٩٣٨

٧٤- التنوخي ، عز الدين :

ابو الطيب اللغوي ، مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق - نيسان سنة ١٩٥٤

٧٥- طلس ، محمد اسعد :

ابو الفتح بن جني - مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق - تموز سنة ١٩٥٥ .

#### المصادر الأجنبية

Blachere, R.

— ٧٦

Une Poete Arabe du 1V eme. Sicle de L'Hegira About-  
tayyib al Mutanabbi,  
Paris 1935

Institut Francaise du Damas

— ٧٧

Al-Mutanabbi; Recueil Public a L'Occasion de Son Mil-  
lenaire,  
Beyrouth 1936

Schlumberger, G.

— ٧٨

Une Empereur Byzantin du dixieme sicle, Nicephor Phocas  
Paris 1890

فهرس الرسالة

ص	المقدمة
ج	القسم الأول : نظرة في التاريخ الحمدانيين
٢	١- الدور الأول - دور النشأ - في الجزيرة العراقية
٧	٢- الدور الثاني - دولة الحمدانيين في ديار الشام
١٥	٣- سيف الدولة
	القسم الثاني : اثر بلاط سيف الدولة في الآدب
١٩	مقدمة
-	<u>اثر البلاط في الشعر والشعراء</u>
٢٥	١- المديح
٥٣	٢- الرثاء
	٣- شعر الحرب
٦٥	(١) حروب سيف الدولة ضد القبائل العربية
٧٦	(٢) الروميات
١٢٨	٤- شعر الوصف
١٥٧	٥- الشعر الشعبي
	<u>اثر البلاط في النشر</u>
١٦٦	١- الكتابة والكتاب
١٧٤	٢- الخطابة
١٨٤	٣- اللغة واللغويون
200 page ٢٠٠	٤- النقد الآدبي
٢١٨	خاتمة
٢١٩	ثبت مصادر البحث